ANCORA IMPARO



٢٨-٦-٨ ٥

العصور

ابريل ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ٢٠

علاقة الموضوعى بالذاتى

— ٢ —

تكلمنا فى هذا الموضوع فى العدد الماضى ووقفنا عند تحديد هذين المعقولين الفلسفيين ، وعرفنا أن النظام الكونى عالم الموضوع . فلنمض من ثم فى هذا البحث لا لنخرج منه بشىء جديد ، ولا لأن نضع فيه فكرة جديدة ، بل لنقربه من الأذهان بقدر المستطاع . وقد أصبح مدارا لكثير من الابحاث الفلسفية والاجتماعية والنفسية فى العصر الحديث :

الفكر عالم الذات

فضلنا فى مقالنا الأول اصطلاح الفكر على اصطلاح النفس لاسباب أبديناها . وأشرنا إلى أن الباحثين طالما خلطوا بين ما يقصد فى الفلسفة ومباحث الاجتماع من اصطلاح ذاتى Subjective واصطلاح أنانية Egoism على أن الفرق ظاهر بين

الاصطلاحين. فالذاتى هو كل ما تعلق بالذات من الأشياء، ولو لم يكن فيه أية فكرة تحمل الذات على تسويد مصالحها الدنيوية على مصالح غيرها من الذوات، أو اختصاصها بشيء تحاول الاستئثار به دون غيرها. أما الأثرى أو الأنانية فالنزعة التى تغرى الذات على أن تفضل مصالحها على مصالح غيرها من الذوات، ولو لم تفطن إلى أنها تنزع إلى شيء لا تجيزه شرائع الآداب الاجتماعية. والفرق جلى ظاهر بين الحالتين.

ومثال الحالة الأولى الفكرة الدينية التى تتملك من زمام كل فرد بقدر ما فيهامن مؤهلات لتؤثر فى ذهنه ونفسه تأثيراً ما. ولسنا ننكر مطلقا أن فى الدنيا من صور الدين بقدر ما فيها من رؤوس - وفيها من مختلف الفكرة الآلهية بقدر ما فيهامن أذهان. فان الناس إن اتفقوا اصطلاحاً على تحديد كل دين تحديدا يكاد يكون مثاراً للجدل وموضعا للجدال فى كل حين - وإن اتخذوا من النصوص الدينية فكرة بدائية عن الله أو خالق الكون أو مدبر الطبيعة أو الذات الكاملة المختفية وراء عالم الظواهر - فانهم لدى الحقيقة انما ينظرون فى تلك النصوص والتحديدات نظرات مبهمة غامضة. اذ انهم لا يدركون من الدين ولا من الألوهية ألا بقدر ماتؤهل اليهم به نزعاتهم وكفاياتهم التى لا يمكن أن تأتلف فى فردين من أبناء آدم، بله مجموع منهم. هذا مثال يكاد يكون كاملا عما يعنى بالذاتية فى مباحث الفلسفة - يمكن اتخاذه لحالات أخرى قياسا وقاعدة يجرى عليها المفكرون

أما الحالة الثانية فليس لدينا مثالا عليها أظهر من مثال النفعيين Utilitarians أصحاب المذهب النفعى، الذين ظهروا فى انجلترا. فان هذا المذهب هو خليط من جملة مذاهب ظهرت فى العصر القديم وفى العصر المدرسى. قد حاول أصحابه أن يقاوموا به نزعة الفرد مجتمعا إلى انكار أنانيته وجحد ذاتيته فى سبيل الخير العام. أو التضحية من أجل الأجيال المستقبلة - أو غير ذلك من النزعات التى لا يراعى فيها الفرد أنانيته أولا. وهؤلاء ان كانوا فى الواقع أكثر تقديسا للفرد واعترافا بما للفرد من الآثار فى اسعاد الجماعات، فان محاولتهم هذه لم تكن بأكثر من محاولة قصد بها الاستواء على نزعة فطرية بمبدإ فلسفى، وهى فضلا عن ذلك مثال لما نعنى من الانانية وتقويتها فى الفرد.

ولا جرم أننا نستطيع بعد ذلك أن نفرق بين الذاتية والانانية تفريقا نحدد معه

مايتابع ذلك من المعقولات والمدركات تحديدا يمكننا من المضي في درس الفكرة ونحن على مأمن من أن نقع في خلط أو يغشانا شطط في التمثيل

ولنرجع الى شرح الفكرة الأصلية - فانا عند ما نقول « ان الفكر عالم الذات » فانا لا نقصد بذلك أن للفكر عالماً مادياً تتحيز فيه الماديات، ويتحدد فيه المكان والزمان، كما هو شأن العالم الموضوعي، عالم النظام الكوني. بل نقصد بذلك أن الذاتيات لن تكون الا في « الفكر » او في « النفس » وكلا الاصطلاحين صحيح عندي، وأنه لا يمكن أن تخرج الذاتيات عن منطقة محدودة في المخيلة، بحيث لاتتناول شيئا من عالم الظواهر بأثر مادي أو غير مادي. فانك إذا فكرت في دينك أو في حياتك باعتبارها ملكاً لك وحدك، فانك انما تفكر في اشياء ذاتية لاعلاقة لها بغير فكرك أو نفسك. ولكنك إذا فكرت في فلسفة ارسطو الطبيعية اومبادىء سقراط الأدبية، فانك انما تفكر في اشياء موضوعية صرفة للناس أن تفكر فيها مثل تفكيرك وان تتناول منها نواح من البحث ليست وقفاعليك وحدك. ولا هي متعلقة بذاتك دون بقية الذوات.

وهنا يجب أن ننبه الى مسألة ذات بال. فانا اذا قلنا بان الفكر عالم الذات فليس من قصدنا أن نقصر الذات على الفكر أو الفكر على الذات، وانما نقصد بذلك أن الذاتيات لا تخرج عن الفكر او النفس. ذلك لان الفكر قد يتناول مسائل موضوعية صرفة يدركها ويحللها و يعللها و يعود بها الى مناشئها الأولى، من غير أن يكون لهذه الاشياء علاقة بذواتنا اكثر مما لها بذوات اواشياء أخرى، وكذلك قد يتناول الفكر مسائل ذاتية من غير أن يكون لهذه المسائل علاقة بموضوع تفكيرنا اكثر مما لها بموضوعات أخري لايتناولها تفكيرنا وقتاً ما.

هل في الحيوان شعور بالذاتية ؟

يدرك الحيوان الموضوعات ولا شبهة ادراك حس - Sense—perception - ولكنه لايدركها إدراك فكر تقوم فيه المقارنات وتتضارب فيه الترجيحات والمرجحات كما تقوم في نفس الانسان. فالحيوان يدرك الجوامد أنها جوامد، والسوائل أنها سوائل — من طريق الحس وحده، فادراكه موقوف على ماتنقل اليه الحواس من صور، تثبت في عقليته، على قدر ما، بالتكرار من طريق الكسب، وبالغريزة من

طريق الوراثة . على أنى أشك فيما اذا كانت الابحاث العلمية الصرفة تجيز لنا أن نجعل ما يدرك الحيوان من طريق الوراثة داخلا فى دائرة التجاريب التى تنقل اليه من طريق الحواس . غير أن الابحاث النشوئية الحديثة وعلى الاخص تلك الابحاث التى قامت على نظرية العلامة دارون فى الوراثة ، لاتجعل الفارق بين الغريزة والعادة ، وهى لدى الواقع « تجاريب » تصبح مع التكرار اثبت من غيرها فى سلوك الكائن الحي ، كبيراً . بل هى ترمى الى القول بان الغريزة فى اصلها عادة تنقلت بالوراثة و اصبح لها فى تكوين الجراثيم التناسلية اصولا تنقلها من الاسلاف الى الاخلاف . وعلى هذا يصح لنا أن نجعل الغريزة والكسب من اصل واحد وان اختلفا فى المظهر الخارجى والآثار العامة

و بعد هذا نتساءل : هل يمكن أن يكون للحيوان من مجموع التجاريب التى يكتسبها بالمران والغريزة التى تنتقل اليه عن اسلافه شيء ندعوه « شعور بالذات » على الصورة التى حددناها فيما كتبنا ؟ لاجرم أن ذلك يتوقف على أن فى الحيوان عقلا يناظر فى الانسان جماع مايقوم فى حياته من شعور وتصور وحكم على الاشياء . ولكن ماهو العقل أولا ؟ ذلك سؤال يتحتم علينا أن نجيب عليه قبل ان نستطرد فى بحثنا هذا

لاجرم أننا نضرب بأقوال القدماء مثلا لما كانوا يدركون من العقل . فقد ذهبوا مذهباً واحداً أجمعوا عليه الا قليلا ، وهو أن العقل عبارة عن خاصية فى مبدإ مفارق للبدن — الروح — ينتقل معه هذا المبدإ فى اللحظة التى يفترق فيها عن البدن . اذن فالعقل صفة فى الكائن العاقل يحملها مبدأ يفارق الكائن لدى الموت . وما دام العقل صفة من صفات الحياة اذن فذلك المبدأ المفارق هو الحياة . واذن فهو المحل الذى يحل فيه العقل استتباعاً .

على أن المحدثين لم يستطيعوا أن يثبتوا للعقل وجوداً مادياً يمكن قياسه أو لمسه أو الوصول اليه بطريق من طرق الحس . فالعقل عندهم أحد مظاهر الحياة . والحياة عندهم ضرب راق من ضروب النشاط والحركة . عندهم أن العقل هو الحياة الداخلية . وعندهم أن الحياة الداخلية عبارة عن الناحية الذاتية للسلوك الموضوعى . وهم فوق ذلك مقتنعون بأن العقل على قدر اتصاله بالحاجات والحالات العالمية التى ندركها ونحس بها ، لايمكن فصله بأى وجه عن صور النشاط التى ترى فى الجسم على وجه عام ، وفى

الجهاز العصبي على الأخص . غير أنهم فوق ذلك يقرون بأنه من الأشياء التي لا تمكن وصفها أو تحليلها بوسائل اساسها التجاريب الكيماوية أو الفوسيقية . وعلى الرغم من أن أوجه النشاط العقلي يمكن قياسها على اعتبار امكان قياس مقدار النشاط التي يصحبها في الجسم ، فهم على الرغم من ذلك يعترفون بأن « العقل » انما يلحق بتلك الأشياء التي لا تقبل الوزن ، أو بالاحرى الأشياء التي هي لدى الانسان في حكم العدم، ولو أنه يضطر اضطراراً الى فرض وجودها « فرض ضرورة » .

خذ لذلك مثلا . كيف تستطيع أن تعرف أن صديقك الذي تماشيه يحوز شيئا تدعوه العقل ؟ انك لا تستطيع أن تراه أو تحس به أو تتناوله بتجربة تتخذ مجهر الطبيب أو مشرط الجراح أو مجهزات الكيماوي أداة لها . فاذا كان معتقدك في عقل صاحبك عائد الى مقدار ما تستطيع أن تدرك منه عليا ، فانك لا تستطيع أن تعتقد في وجوده مطلقاً ؛ لان مفخرة العلم تنحصر في إدعائه بأن كل مستنتجاته من المستطاع أن توضع تحت حكم الحواس . اذن يكون وجود العقل في ذوات غير ذواتنا اعتقاد الزامي أو كما نقول دائماً فرض ضروري . أي أنه كأحد تلك الفروض الضرورية الجوهرية التي يقوم عليها اكبر جزء من معرفتنا ومعتقدنا .

على هذا لا نجد لاحد من حق في أن يسألنا أن نثبت له وجود العقل في الحيوان من طريق علمي . لأننا اذا عجزنا عن ذلك في الانسان فأولى بهذا العجز ان يكون مضاعفا اذا نحن اخترنا الحيوان موضعا لاثبات وجود العقل بطريق علمي . أما اذا ثبت لدينا بالقياس أن في الحيوان عقلا ، فهنالك نسلم أيضا بأن في الحيوان شعور بالذاتية . لان العقل مقر الفكر ؛ والفكر عالم الذات كما قدمنا .

ولكن هل يترتب على وجود عقل ، ان يوجد فكر أيضا ؟ وهل من الضروري مع وجود الفكر أن يقوم أيضاً شعور بالذاتية؟ لاجرم أن اثبات ذلك من طريق علمي، ونقصد بالطريق العلمي طريق الحس ، متعذر تماما . اذن فلا سبيل لنا الى ذلك الا باتباع طريق المشابهات والقياس . ولقد نحا هذا النحو العلامة داروين في كتابه أصل الانسان والعلامة « ويلدر » في كتابه « أسلاف النوع البشري » ، والعلامة « طومسون » في كتابه « العقل في الحيوان » . ولقد اثبت هؤلاء وغيرهم من الباحثين أن في الحيوان عقلا يشابه عقل الانسان ؛ ولا يختلف عنه في الكيف ، بل يباينه في الكم فقط . أي أنه لا يختلف عن العقل الانساني صفة ، بل يباينه في الدرجة والمقدار .

تلك مسألة فرغ من اثباتها الطبيعيون. ونحن هنا نجاريهم فيما قرعليه رأيهم إزاء هذه المسألة الخطيرة . ولكن هل تتساوى كل مراتب الحيوان في العقل، لتكون استتباعا متساوية فى القدرة على الشعور بالذاتية ؟ كلا . فان لنشوء العقل فى الحيوان درجات تدرجية نشوئية تتبعها العلامة طومسون فى كتابه من أدنى اللافقاريات إلى أرقى ذوات الثدى . ولا جرم أن أول درجات النشوء العقلى فى الحيوان لا يصحبها شعور بالذاتية جدير بأن يقال فيه إنه شعور صحيح بوجود الذات . ولكن ظاهرة العقل مادامت موجودة فى الحيوان فلا شك فى أن وجودها لابد من أن يصحبه شعور بالذاتية، وان عجزنا عن أن ندركه قياسا بالمشابهة . غير أننا فى أرقى ذوات الفقار وفى الثدييات يمكننا ادراكه واثبات وجوده على صورة تابعة بالضرورة للقدرة العقلية التى تكون للحيوان الذى نعكف على دراسته. على أننا لا نغفل هنا عن أن ننبه على أن ادراك الحيوان بالذاتية لا يتعدى قدرته على ادراك الحس . إذن فادراك الحس صفة يشارك فيها الانسان الحيوانات. وما دام إدراك الحس دليل قاطع على الشعور بالذاتية ـ إذن يكون الشعور بالذاتية فى الانسان له بداياته فى صور الحيوانات من أدناها إلى أرقاها ، وأن هذا الشعور مازال يتدرج فى صور من النشوء متعاقبة ، حتى تحيز فى الانسان على الصورة الفلسفية الأخيرة التى أوجزنا شرحها فى الصفحات السالفة

اسماعيل مظهر

ابحاث كيماوية عملية

الزيوت والمواد الدهنية — الصابون

للاستاذ امين ابراهيم كحيل
مدرس الكيمياء بالجامعة المصرية

قسمت المواد الكيماوية فى الاصل الى قسمين رئيسيين هما المواد العضوية وهى تلك المواد التي تحصل عليها من الكائنات الحية أو تدخل فى تركيبها أو افرازاتها، والمواد غير العضوية أو المعدنية، وهى التى تنشأ من أصل معدنى.

ولقد كان من المسلم به قديما ان الانسان يعجز عن تجهيز أى من المواد العضوية و ذلك لاعتقادهم أن هناك قوة حيوية من اللازم توفرها لتولد المواد العضوية ولكن تقدم علم الكيمياء وابحاثه جعل من الممكن استنباط مواد عضوية كثيرة باستخدام الآلات المتداولة. واصبح اسم الكيمياء العضوية شاملا لدراسة جميع مركبات الكربون سواء منها المجهز فى الكائنات الحية أو فى المعمل بدل أن يقصد بها دراسة الأولى فقط .

والكيمياء العضوية علم متسع المباحث يتفرغ لدراسته فريق من علماء الكيمياء ، الا ان مركباته جميعا يدخل فيها الكربون ومعه واحد أو اكثر من فريق من العناصر وهى فى الغالب الايدروجين والاوكسجين والازوت والكلور (واليود) والكبريت والفصفور والزرنيخ و ربما دخل فى تركيب المواد عناصر فلزية كالصديوم والبوتاسيوم والمغنسيوم والكلسيوم

وكما انه يوجد فى الكيمياء غير العضوية طوائف من المواد تتميز بميزات خاصة كالحوامض والقواعد والاملاح مثلا ، فكذلك فى الكيمياء العضوية طوائف تماثلها تعرف بالحوامض العضوية والقلويات العضوية والاملاح العضوية لها خصائصها ومميزاتها فمن الحوامض العضوية المألوفة حامض الخليك (الخل)وحامض الستريك (حامض الليمونيك) كما انه بين الاملاح العضوية ، وتعرف

عادة باسم الاملاح الاثيرية ، المواد الدهنية كالزيوت المالوفة وغيرها.

المواد الدهنية

تمتاز الحوامض فى الكيمياء المعدنية (غير العضوية) باحتوائها على ذرة أو اكثر من الايدروجين يمكن احلال فلز محلها ، وتسمى المادة الناشئة من تفاعل كهذا بالملح . وينشأ الملح كذلك من تفاعل الحامض ومادة قاعدية أو قلوية ، ويحصل فى هذا التفاعل الماء كذلك . هكذا . —

حامض + قاعدة =: ملح + ماء

« + قلوى =: « + ماء

والحوامض كلها تحتوى على الايدروجين كما أن بعض القواعد والقلويات تحتوى على مجموعة الايدركسل (اكسجين وايدروجين) وينشأ الماء من اتحاد أيدروجين الحامض باكسجين أو ايدركسل القاعدة أو القلوى .

وكذلك الحال فى الحوامض العضوية اذ تحوى كلها الايدروجين كذلك . أما مجموعة الايدروكسل فتحويها فريق من المواد العضوية لا تمتاز بخاصة القلويات المعدنية. فمثلا الكحول والجلسرين مادتان عضويتان تحويان مجموعة الايدركسل ولكن ليستا قلويتين كالصودا الكاوية مثلا ، أو ماء الجير ، وكلاهما مادتان معدنيتان تحويان الايدركسل وتمتازان بخاصة تغير لون عباد الشمس الاحمر الى الازرق وليس الجلسرين ولا الكحول كذلك .

وهنالك طائفة من المواد تنشأ من ارتباط الحوامض العضوية والمواد الايدركسيدية العضوية كذلك (الجلسرين) وتسمى لذلك بالاملاح الاثيرية تمييزا لها عن الاملاح المعدنية ويكون الماء ثانى نتائج التفاعل كذلك

حامض عضوى + مادة ايدروكسلية عضوية =: ملح اثيرى + ماء

وما المواد الدهنية والزيوت الا املاح اثيرية نتجت من ارتباط حوامض عضوية خاصة بالجلسرين .

فالزيوت والمواد الدهنية هى فى الغالب مخلوط من ثلاث مواد هى الاولين والبالمتين والاستبارين وتركب كل منها كيمائياً من حامض وجلسرين مرتبطين ببعضهما ارتباطاً كيمائياً وثيقاً ، كارتباط الحامض والقاعدة فى تكوين الملح

فعلى ذلك يكون :—

الاولين ═ حامض الاوليك + جلسرين ــ ماء
البالمتين ═ « البالمتيك + « ــ ماء
الاستيارين ═ « الاسياريك + « ــ ماء

والاولين سائل فى درجات الحرارة العادية . وأما البالمتين والاستيارين فصلبان ولذا يوجد الاول فى الزيوت بنسبة أكبر من الاخيرين، والعكس فى المواد الدهنية الصلبة، ويكاد يكون دهن البقر من الاستيارين الخالص .

وتوجد الزيوت والمواد الدهنية الدسمة بكثرة فى النبات والحيوان اذ تحوى جميع البزور والانسجة الحيوانية تقريباً مادة او اكثر من المواد الدسمة والزيتية تستخلص منها بالضغط والعصر.

ومن الزيوت المألوفة زيت الزيتون(الطيب) و زيت بزر السمسم (السيرج) وزيت بزر الكتان (الحار) و زيت بزر القطن (الابيض) و زيت الخس و زيت النخيل و زيت السمك

وعند استخلاص هذه الزيوت من أصولها بالضغط تخرج مذابا فيها مواد غريبة تكسبها طعما ولونا خاصا فى كل حالة يتميز بها الزيت عن أمثاله، وغالبا ما تكون المواد الغريبة سببا فى جعل الزيت غير قابل للاستعمال كما أنه يحدث أن يكتسب الزيت مما يلوثه نكهة خاصة تميزه عن غيره وتجعله مقبول الطعم والرائحة كزيت الزيتون . الا انه اذا نقيت الزيوت المذكورة آنفا مما يشوبها من الادران ظهرت متقاربة جداً فى التركيب واللون والطعم والرائحة بحيث يصعب معرفة أصولها. ولقد تمكن الكيمياويون من تنقية الغالبية منها وبذا يمكن استعمال زيت بزر القطن الرخيص مكان زيت الزيتون دون أن يشعر متناولوه بالفرق بينهما

تحويل الزيوت السائلة الى مواد دهنية صلبة

ذكرنا أن المواد الدسمة والزيوت مخلوط من

الاولين (السائل) وتركيبه الكيمياوى ك$_{٣}$ يد$_{٥}$ (ك$_{١٨}$ يد$_{٣٣}$ أ$_{٢}$)٣
البالمتين (الصلب) « « ك$_{٣}$ يد$_{٥}$ (ك$_{١٦}$ يد$_{٣١}$ أ$_{٢}$)٣
الاستيارين « « « ك$_{٣}$ يد$_{٥}$ (ك$_{١٨}$ يد$_{٣٥}$ أ$_{٢}$)٣

وبامتحان تركيب جزئيات هذه المواد الثلاث يلاحظ ان الاولين السائل يحوى مقداراً من الايدروجين يقل ذرتين عن مقدار الايدروجين فى الاستيارين الصلب. ولقد تمكن العالم الفرنسى (ساباتيه) من ادخال هاتين الذرتين فى الايدروجين فى جزىء الاولين وبذا اصبح صلبا كالاستيارين. وطريقة ذلك سهلة اذ يمرر غاز الايدروجين بالزيت المسخن المضاف اليه برادة النيكل الدقيقة (وعملها هنا من نوع الوساطة فقط) فتنقل هذه الايدروجين الى جزئيات الاولين فيرتبط به متحولا الى الاستيارين الصلب ، وبعد ان يتم التفاعل تترك دقائق النيكل فتهبط لزيادة ثقلها النوعى عن الوسط الزيتى الآخر وتستقر فى قعر الاناء حيث تفصل.

ولقد امكن بهذه الطريقة تحويل زيوت سائلة عديدة الى مواد دهنية صلبة

زيت بزرة القطن (الزيت الابيض)

يحلج القطن بعد جمعه والحلج عبارة عن فصل بزور القطن عن شعره وبعد تنظيف البزور مما عساه ان يكون مخلوطا بها من حصى ورمال وتراب وغيره تجرش البزور وتحمص ثم تعصر عصرا جيدا فى مكابس خاصة تحت ضغط شديد فيخرج الزيت ويبقى الكسب (وهو عبارة عن نحو ٢٠ فى المئة من وزن البزور واصله جدران واغلفة الخلايا والقشور والجنين والياف اخرى) والكسب غذاء صالح مفيد للمواشى.

اما الزيت الخام فيجمع فى احواض متسعة ولونه اسمر وينقى باضافة الصودا الكاوية ومواد كيماوية اخرى عليه ثم يرشح فوق طبقة من طين مسامى خاص تعرف بطين فولر (خاما) وينفذ منها نظيفا نقيا عديم اللون خال من الادران التى كانت تشوبه

الزبدة والمارجرين (الزبدة الصناعية)

تتركب الزبدة من مخلوط من الاولين والاستيارين والبالمتين ومادة دهنية أخرى اسمها البيوترين، وتوجد فى الزبدة بمعدل ٨ ٪ من زنتها وهذه المادة الاخيرة هى التى تكسب الزبدة طعمها ورائحتها الخاصة.

ولا تختلف الزبدة الصناعية عن الطبيعية الا فى معدل ما تحويه من البيوترين، وتصنع عادة من مواد دهنية حيوانية ، أو زيوت نباتية كزيت بزر القطن وزيت جوز الهند يضاف اليها قليلا من اللبن ومن الزبدة الطبيعية وبهذه الطريقة يدخل البيوترين

فى الزبدة الصناعية ثم تصلب بامرار الايدروجين فيها اذا كانت من زيوت سائلة فتكتسب شكل وبعض رائحة وطعم الزبدة الطبيعية. ولقد شاع استعمالها اثناء وبعد الحرب العظمى فى بريطانيا العظمى وأوربا عند ماتعذر الحصول على الزبدة الطبيعية من كندا واستراليا والممالك الزراعية الأخرى .

الصابون

تركيبه والمواد المستعملة فى صناعته

الصابون مخلوط من أملاح الصديوم والبوتاسيوم لحوامض الاوليك والبالمتيك والاستباريك والمواد الاولية المستعملة فى صناعته هى : —

ا — الزيوت والمواد الدهنية

ب — قلوى ويستعمل عادة ايدركسيد الصديوم وينشأ منه الصابون الصلب أو ايدركسيد البوتاسيوم وينشأ منه الصابون الرخو

ولا يمكن استخدام ايدركسيد الكلسيوم ولا المغنسيوم لان الصابون الناشئ منهما لايذوب فى الماء

التفاعلات الكيميائية فى صناعة الصابون

تخلط المادة الدهنية بالقلوى ويغلى المخلوط فيتحلل الاولين الموجود فى المادة الدهنية بالتدريج الى حامض وجلسرين ثم يعود الحامض بمجرد تكوينه فيتعادل مع الصودا الكاوية مكونا أوليات الصديوم وكذلك يفعل البالمتين والاستبارين فيصبح عندنا مخلوطا من أوليات وبالميتات واستبارات الصديوم (أو البوتاسيوم اذا كان القلوى المستعمل هى ادركسيد البوتاسيوم) وهذا المخلوط هو الصابون وتعرف الخطوة الأولى فى التفاعل وهى تفكك الملح الاثيرى الى حامض وجلسرين بالتعين ، والعامل المهم فيها هو الماء .

استبارين + ماء ——: حامض الاستباريك + جلسرين

وأما الخطوة الثانية فعبارة عن تعادل عادى بين حامض وقاعدة .

حامض الاستباريك + صودا كاوية ——: ستبارات الصديوم + ماء

عمل الصابون فى الصناعة

تستعمل لذلك أوان ضخمة يوضع فيهما الزيت أو المادة الدهنية ثم يضاف اليه

فى بادىء الامر مقدار من محلول الصودا الكاوية المركز يعادل ربع المطلوب تقريباً ويسخن الاناء و يعرف عادة بالحلة. وتحرك المواد المتفاعلة تحريكاًمستمراً. وفى المعامل الراقية الحديثة يستخدم بخار الماء المضغوط الذى يمر فى جملة أنابيب داخل الحلة للتسخين وكذلك يستعمل الهواء أو بخار الماء الذى ينفذ من أنابيب ضيقة تخترق قعر الحلة للتحريك. ثم يضاف باقى الصودا الكاوية اللازمة بالتدريج وتكون الطبخة ناضجة فى يومين و بعض الاحيان فى خمسة أيام حسب نوع المادة الدهنية المستعملة. وعند ذلك يوقف التسخين و يضاف ملح الطعام وتعرف العملية بالاملاح . والغرض منها هو اذابة مادة رخيصة فى الماء الموجود ليتشبع بها و يطرد بذلك الصابون المذاب فيه . فاذا ماسخنت الحلة بعد اضافة الملح و تركت لتبرد طفا الصابون على وجه السائل فيها فيترك حتى يستقر قليلا و بعدها ينقل الى أوانى أخرى حيث يترك ليستقر تماماً ويتجمد و يقطع قضباناً طويلة تترك معرضة للهواء فى أمكنة رحبة حتى تجف نسبياً وبعدها تقطع الى قطع صغيرة وتعد للبيع

و أما صابون الزينة الملون وذو الرائحة، فيصنع من فتات الصابون العادى اذ تخلط هذه باللون و الرائحة المطلوبة وتحرك جيدا لتمتزج بها تماما ثم تضغط فى قوالب على الشكل المطلوب

والصابون الشفاف هو صابون عادي يذاب فى الكحول و يرشح و يبخر الكحول من المحلول فيبقى شفافا

ويستخرج الجلسرين من سوائل التفاعل بعد فصل الصابون عنها بطرق خاصة.

فعل الصابون فى التنظيف

تتوقف خواص الصابون فى التنظيف على أمور عدة منها

(أولا) يكون الصابون مع الماء شبه محلول أو نوع من المستحلب كاللبن والقشدة

(ثانيا) عند مايذوب الصابون فى الماء يتحلل تحليلاجزئيا الى حامض وقلوى فهو قلوى التفاعل لانه فى الاصل مكون من حامض ضعيف وقلوى قوى وعلى هذه الخاصية تتوقف تسهيل ازالته للمواد الدهنية التى تتعين بمقدار مايفعله القلوى

(ثالثا) للصابون ملمس خاص يشعر بسهولة الانزلاق وانعدام الاحتكاك فاذا

ماغسل جسم بالماء والصابون يتوقف فعله على نوع المادة الملوثة للجسم ففى الاتربة وغيرها كسحوق الكربون وماشابهه من المساحيق التى لاتذوب فى الماء تتكون كرة صغيرة من الصابون حول دقيقة المادة وتبقى هذه على شكل نواة فى الداخل ويسهل على الماء ازالتها اذ تنزلق بسهولة عن الجسم العالقة به

واذا مااستعملت مادة كلسيه أومغنيسية مع الصابون تكون فى الحال ملح الحامض مع الكلسيوم أو المغنسيوم وهذه لاتذوب فى الماء بل تبقى على هيأة ريم خشن الملمس وذلك مانحس به ونشاهده عند استعمال الماء العسر مع الصابون، واذا كانت المادة دهنية تصبنت بفعل الصابون القلوى

السكر والنشا

الكربوايدراتات . يطلق هذا الاسم على طائفة من المواد بينها السكر والنشاء وما قاربهما فى التركيب . وتتركب موادهذه الطائفة من الكربون والاكسجين والايدروجين ويدخل هذان العنصران الاخيران فى تلك المواد بنفس النسبة التى يدخلان بها فى تركيب الماء أى جزء من الايدروجين لكل ثمانية أجزاء من الاكسجين بالوزن .

وأهم الكربوايدراتات هى: -

سكر القصب ويحوى ١٢ جزءا من الكربون لكل ٢٢ جزءا من الايدروجين ١١ جزءا من الاكسجين

سكر اللبن ويحوى ١٢ جزءا من الكربون لكل ٢٤ جزءا من الايدروجين ١٢ جزءا من الاكسجين

سكر العنب ويحوى ٦ جزءاً من الكربون لكل ١٢ جزءا من الايدروجين ٦ أجزاء من الاكسجين

سكر الفواكه ويحوى ٦ جزءاً من الكربون لكل ١٢ جزءا من الايدروجين ٦ أجزاء من الاكسجين

الخلوين ويحوى ٦ س جزءاً من الكربون لكل ١٠س جزءاً من الايدروجين ٥ س جزءاً من الاكسجين

النشا ويحوى ٦ ص جزءاً من الكربون لكل ١٥ ص جزءا من الايدروجين ٥ ص جزءاً من الاكسجين

وليلاحظ أنا ذكرنا س وص عند ذكر تركيب الخلوين والنشا وذلك لأن تركيب هاتين المادتين كبير التعقيد ولم يعرف بالضبط حتى الآن التركيب الحقيقى لهما. إلا أنا نعرف تماما أن س وص هما معاملان مختلفان فى الخلوين والنشاء وأن النسبة بين عدد ذرات الكربون والايدروجين والاكسجين فيهما هى ٦ : ١٠ : ٥ بحيث لو رمزنا لذرة الكربون بالرمز ك ولذرة الايدروجين بالرمز يد ولذرة الاكسجين بالرمز أ يكون مجموع هذه الذرات فيهما يسمونه جزىء السكر هو (ك$_{١٢}$ يد$_{٢٢}$ أ$_{١١}$) ولجزىء النشاء بالرمز (ك$_{٦}$ يد$_{١٠}$ أ$_{٥}$) ولرمز جزىء كل من سكر العنب وهو ص المعروف بالجلوكوز وسكر الفواكه وهو المعروف بالفركتوز هو (ك$_{٦}$ يد$_{١٢}$ أ$_{٦}$) وليس معنى هذا أن المادتين متشابهتان من كل الوجوه بل لكل منهما خصائص تميزها عن الأخرى، ولو أنهما متحدتا التركيب وذلك لأن الترتيب الداخلى لذرات العناصر الثلاث تختلف فيما بينها فى كل واحد منها عن الآخر

السكر (السكروز) — : توجد هذه المادة فى كثير من النبات خصوصا فى القصب والبنجر ويستخرج الآن منهما . وينمو القصب فى المناطق الحارة وأشهر بلاد تزرعه هى جزائر كوبا والهاواى ومصر .

وينمو البنجر فى المناطق الباردة كالمانيا ومنطقة اوهيو بالولايات المتحدة ويحوى البنجر حوالى ١٥ فى الماية وسكر القصب حوالى ١٧ فى الماية من وزنهما سكرا . ولقد كان ينمو القصب قديما فى مصر والهند فادخله العرب الى بلاد الاندلس ومنها انتقل الى امريكا وجزائر الهند الغربية

استخراج السكر من القصب .. تقشر عيدان القصب من غلافاتها وتمر فى معاصر وهى عبارة عن اسطوانات متقاربة تكاد تكون متلامسة تدور فى اتجاهات متضادة تسحب العيدان وتضغطها فتخرج منها العصارة سائلا يحتوى على نحو ٢٠ فى الماية من وزنها سكرا وهى مشوبة بمقادير قليلة من أملاح معدنية وحوامض عضوية ومواد زلالية فتخلط لذلك بالجير فى أحواض متسعة وتغلى فيتحد الجير بالحوامض العضوية

مكونا أملاحا جيرية لتلك الحوامض لا تذوب فى العصارة. بل تطفو على سطحها حاملة معها المواد الزلالية التى تتجمد بفعل الحرارة وتكون زبدا (الريم) يسهل ازالته . ثم تنقل العصارة الى أوان أخرى حيث تركز بالتبخير الى درجة التبلور فتنقل مرة ثانية الى أوان محماة تدور قواعدها حول مراكزها دورانا سريعا وتعرف «بالسنترفيوج» وهناك يهبط المحلول المركز على القعر قطرات لا يلبث أن تقذف الى جدران الآنية بقوة بفعل القوة الطاردة المركزية ويفقد المحلول شيئا من مائه فى سقوطه وطرده ويتبلور الى بلورات صغيرة تلصق بجوانب الاناء وبعد أن تتجمع طبقة سميكة منها على الجدران يزيلها العامل المنوط به ملاحظة الاناء بمجراف من الخشب فتهبط ثانيا وثالثا الى القعر الدائر حيث تطرد الى الحوائط جملة مرات ويزيد جفافها فى كل مرة عن السابقة لها. اما العسل فينفصل عن البلورات ويتسرب من شق ضيق بين القعر والحوائط ويسير فى مجار خاصة . واما البلورات اذا تم جفافها فاما أن تباع كما هى وتعرف حالئذ بالسكر « السنترفيش» اصله سكر السنترفيوج وهو كما اسلفنا اسم تلك الاحواص الاخيرة. ولونه ضارب الى الصفرة، وإما أن يكرر فيعمل منه السكر الابيض المتداول

استخراج السكر من البنجر . يوجد السكر محلولا فى الماء فى خلايا البنجر وجدرانها بروتوبلاسمية لا تسمح للسكر بالخروج منها . فللحصول عليه يغسل البنجر ويقطع الى شرائح رقيقة لا يزيد سمك الواحد منها عن ٢-٣ مم . ثم توضع الشرائح فى ماء ساخن لا تزيد درجة حرارته عن ٨٥ م حيث تتجمد البروتوبلاسم بالحرارة وتشقق بذلك جدران الخلايا فيخرج منها السكر مشوبا بكثير من الحوامض العضوية مثل حامض الليمونيك والطرطريك والاكساليك وغيرها. وكذلك مواد زلالية أخرى . وتستعمل فى هذه العملية أوان متراصة توضع جنبا الى جنب وفيها شرائح البنجر ويمر فيها الماء بالترتيب بحيث اذا وصل الى آخرها كان متحملا بكمية كبيرة من السكر مذابة فيه مع الادران الاخرى .

ويؤخذ المحلول من الاناء الاخير ويضاف اليه الجير ويغلى معه فى آنية أخرى فتتكون فيه رواسب صلبة من املاح الحوامض الجيرية والمواد الزلالية المتجمدة بفعل الحرارة فيمر فيه بعد أن يروق تيار من غاز الكربونيك وفائدة ذلك أن بعض السكر يكون مركبا كيمياويا مع الجير يتحلل بفعل هذا الغاز الحامضى ويخلص منه السكر ثانية

ويرسب الجير على هيئة كربونات الكلسيوم . فيرشح المحلول و يركز بعدذلك بالتبخير إمابالحرارة و إما بتقليل الضغط عنه . والطريقة الثانية تفضل الاولى لان درجة غليان المحلول حالتئذ تقل عن درجه غليان الماء (١٠٠ م) بكثير ولا يتفحم السكر أصلا كما يرجح حصوله لو كانت درجة الغليان تزيد عن (١٠٠ م)

وعندما يدرك المحلول درجة التبلور يترك ليبرد وتفصل منه البلورات بالسنترفيوج. وبلورات السكر الحاصلة فى هذه العملية كمثيلاتها الحاصلة من عصير القصب سمراء اللون تحتاج الى التكرير .

تكرير السكر ... يكرر السكر الخام الحاصل من العمليتين السالفتين عادة فى معامل افردت لذلك عادة مثل معمل الحوامدية، وللحصول على السكر النقى يذاب السكر الخام فى الماء و يغلى المحلول الجديد مخلوطا بالجير حيث يخلص مما عساه يكون عالقا به من الحوامض العضوية و يترك فى احواض متسعة دون أى تحريك فيرسب الجير والاملاح الجيريه منه. ومنها ينقل الى احواض أخرى حيث يضاف اليه قليل من الدم الحيوانى و يحرك معه فترسب بذلك آثار المواد الزلالية منه وبعدها يرشح فى أحواض تحوى طبقات من الفحم الحيوانى فيزول عنه كل أثر للتلوين ويخرج من المرشحات نقيا نظيفا خاليا من جميع الشوائب

ثم بالتبخير يركز المحلول حتى درجة التبلور وتفصل البلورات بالسنترفيوج وتحمل وهى لا تزال مبللة وتغسل مرة أو مرتين بالماء زيادة فى التنقية وبعدها تصب وهى منداة فى قوالب اما مخروطية لعمل سكر الرأس و يترك هذا فى قوالبه فى مكان حسن التهوية والتدفئة ليجف وإما فى قوالب مستطيلة لعمل سكر (البلاط والماكينة) .

ويستخرج من السكر سنويا ما يربو على ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤ طنا

العسل ـــ هو محلول من السكر، غير نظيف ملوث، بكثير مما شاب نقاء السكر فى القصب والبنجر . وهو عبارة عن المحلول الباقى بعد ان يتبلور معظم السكر فى السنترفيوج و يستخدم كطعام أو كمورد لاستخراج الكحول منه بالتخمير .

خواص السكر ـــ السكر مادة بيضاء متبلورة حلوة الطعم و يذوب فى الماء بكثرة واذا سخن أصبح جافا ، وكذلك اذا أضيف اليه حامض الكبريتيك المركز فقد ما به من

الايدروجين والاكسجين ويتبقي الكربون. واذا سخن السكر مع حامض الكلورودريك حوالى درجة ٧٠ تحول الى مخلوط من مقدارين متساويين من الجلوكوز والفركتوز، ويعرف هذا المخلوط بالسكر المحول ويستخدم بكثرة فى صناعة الجعة وفى عمل الحلوى. وينصهر السكر عند ١٦٠ م واذا سخن عند درجة ٢١٥ م يتحلل جزئيا بالحرارة فيتغير لونه تدريجا الى الاسمرار ويعرف هذا الصنف الملون بالكارامل ويستخدم بكثرة فى عمل حلوى الاطفال

النشاء. توجد هذه المادة فى الحبوب والبصيلات النباتية وهى أكثر الكربوايدراتات شيوعا فى المملكة النباتية وتستخرج من حبوب القمح والذرة والارز فى الولايات المتحدة ومن البطاطس فى أوروبا

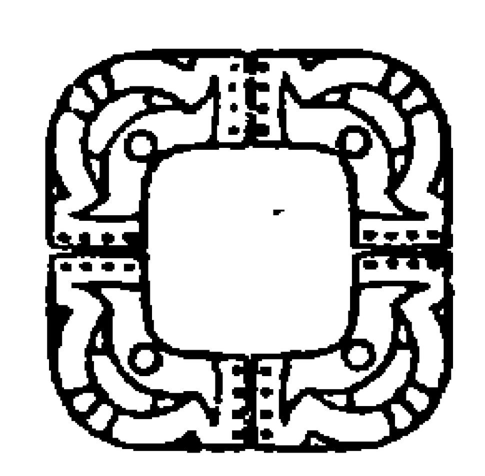
استخراج النشا من الحبوب. يحوى القمح حوالى ٦٠ ٪ من وزنه نشاء ولاستخراجه منه يبلل القمح بالماء المحتوى على قليل من حامض الكبريتوز وهذا يلين الحب ثم يجرش الحب بعد ذلك حتى لاتتفتت الاجنة وبعدها يغمر القمح المجروش بالماء فتطفو الاجنة على سطح الماء لصغر كثافتها عن باقى اجزاء القمح وذلك لاحتوائها على زيت القمح المشهور الذى يستخرج منها. وأما النشاء والجلوتين (عرق القمح) والردة فتجفف ثانية ثم تطحن وتمزج بالماء ثالث مرة لتكون معه عجينة رقراقة تمرر فوق مناخل تحجز الردة وتمر العجينة الرقراقة فى مجار حيث تسير ببطء عظيم وتنظم سرعة سيرها بحيث يرسب النشا منها ويحمل الماء الجلوتين. وينقل النشاء بعد ذلك الى حيث يجف ببطء عظيم. وتتبع طرق مماثلة لهذه مع الحبوب الاخرى

استخراج النشاء من البطاطس.. يفرى البطاطس فى (مفارم) خاصة حيث تتقطع جدران خلاياه ويخرج منها ماتخزنه فى جوفها من النشاء ثم تغسل العجينة فى تيار ضعيف من الماء الجارى فوق مناخل تحجز عيونها فتات جدران الخلايا الخلوينية ويمر منها النشاء مع الماء الى احواض يرسب فيها النشاء ويحمل منها الى حيث يجف

فوائد النشاء وخواصه .. يتركب النشاء من حبيبات دقيقة تختلف أشكالها باختلاف المادة التى استخرجت منها واذا غليت تلك الحبيبات مع الماء انفجرت غلافاتها ويذوب جزء من النشاء فى الماء. ويستخدم النشاء فى مرافق عدة فاذا غلى

مع الماء كون عجينة تستعمل في لصق الاوراق واذا غلى فى الماء وغمرت فيه قطعة من القماش ثم كويت بالمكواة الحامية اكتسب القماش صلابة ولمعة معروفة والسبب فى ذلك تحويل النشاء الظاهرى الى مادة جديدة سكرية اسمها « الدكسترين » . أما قيمته الغذائية فليس هنا مقام البحث فيها .

أمين ابراهيم كحيل



كل عام وأنتم

تحرك ركابى العالى صباح أول يوم عيد الفطر الى منزل موظف كبير من موظفى الحكومة فدار بيننا بعد تبادل التبريكات الحديث الآتى

— مر رمضان بخير هذا العام

— وهل تقع فيه مذابح كل سنة ؟

— لا . أقصد اننا صمنا وأفطرنا دون «شوشرة» تستدعى ضحك الفرنجة منا فقد امكن رؤية الهلال

— اعتقد ان من السهل رؤيته كل شهر

— أبدا . وذلك لانه يبدو صغيرا جدا لمدة قصيرة

— ولكن الفلكيون يرصدونه حتى اذا ولد فى منتصف النهار ...

— الرؤية المجردة شرط لازم الاتباع فقد قال عليه السلام - وهنا نظر الى محدثى طويلا غير متابع حديثه - صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته

— كان من الواجب اذن اضافة « بالتلسكوب » ليصح لنا استعماله. اليس كذلك؟

— ولم لانستفيد من « الميكروسكوب » . لانه من السهل احضار شاهدين عادلين بعد تعيين مكان الهلال بالضبط فينظر كل منهما بعينه فى العدسة و يتطلع بالاخرى الى الفضاء وهكذا يتم الاثبات الشرعى

— ولكن الحديث او الآية على ما أظن لم يرو فيه لفظ « المجردة »

— صحيح ولكن المفهوم هو هذا ، لانه لم يكن لدى العرب «ميكروسكو بات» «هكذا»

— ولهذا يجب أن نحرم استعمالها حتى لانكون أرقى عقلا من السلف الصالح

— هذه حال الدنيا فواجب الالتجاء الى الاحتيال الشرعى

— هذه فكرة حسنة ولذلك سأرسل كتابا الى المستر «فورد» اقترح فيه عليه أن يكسو سياراته جلود البغال والجمال والحمير لتظهر للرائين فى مظهر السلف الصالح .

كل عام وأنتم

قصدت بعد ذلك منزل أحد حملة (الدبلومات) سابقا وكان من أولاد الحظ فتدروش دفعة واحدة فلم أجده ولما حاولت الانصراف رأيته مقبلا يلهث

ــ لامؤاخذة . كنت أعيد على محمد بك وأظنك تعرفه

ــ أسمع عنه فقط

ــ يجب اذن أن تذهب معى مرة لزيارته. هذا رجل ليس له نظير . تأكد أنك لاتمل من الاصغاء الى حكمه وهى تنساب فيتملكك الخشوع وانك ترى نور الايمان متجليا فى وجهه. مسكينة مصر؛ وتعسا لابنائها، فانهم لايعرفون كيف يستفيدون من هذا البحر الزاخر: هذا العالم الفيلسوف المؤمن الـ . الـ ...

ــ وما تظن فى امكان هذا الرجل أن يفعل

ــ عجباً . ألم تطلع على آثاره الفلسفية والعلمية والأدبية ؟

ــ أعتقد أنه يصلح ان يكون مفتشاً فى المعاهد الدينية اذ يظهر لى انه ملم بمبادىء العلوم العصرية وأظنه واقفا على (العلوم) الأزهرية

ــ تقول مفتشا فى المعاهد ! وهل له أخ فى العالم أجمع يعرف عشر مايعرفه قل أيها الانسان انه جدير بوزارة المعارف أو على الاقل برئاسة الجامعة . أقسم لك بانه عرف ذات مرة من مجرد قراءته لوصفة طبية كانت معى نوع المرض . ياصاحبى انه درس الطب، واليه يتراكض المحامون للاستئناس برأيه فى أعوص القضايا وهو الذى أشرف على بناء سراى يوسف باشا وهو .. وهو ..ــ سبحانه وتعالى فهو محيط بكل شىء . كل عام و أنتم ..

زرت بعد ذلك مدرساً معمما ملحقاً باحدى المدارس العالية فدار بيننا الحوار الآتى

ــ كيف لم أرك من مدة وعلى الاخص خلال رمضان المعظم

ــ انى لا أسهر لافى رمضان ولا فى غيره

ــ ولكن النوم بعد الافطار مضر بالصحة

ــ وكذلك هو مضر بعد السحور

ــ انك لاتثقل معدتك فى السحور كما تفعل وقت الافطار

ــ لاتخف فانى لم أعود نفسى على الأكل بعد وجبة الظهر

ــ غريب هذا . إذن أنت لاتصوم

ـــ « نو » . يعنى لا

ـــ لماذا ـــ لأنى لا أريد أن أدخل الجنة

ـــ « يضحك » بالطبع تطعم مسكينا مادمت تفطر لعذر

ـــ أجل أطعم نفسى! ولكنى لم أفكر فى البحث عن عذر

ـــ اسمح لى ان أقول بانك غريب الاطوار ، إذ كيف تفضل على الصوم الاختفاء لتناول الطعام أو لاطفاء العطش أو للتدخين فهل هذا خير من الصوم؟

ـــ أختفى . لماذا . ! ألأنى آكل وأشرب ؟

ـــ اذا ابتليتم فاستتروا

ـــ لا أفهم ماتقصده بقولك هذا

ـــ أقصد أن أقول انه مادام الله قد أصابك ببلية فلتستتر

ـــ الله لايصيب الناس بالبلايا . . . هل أنت تلبس هذه العمامة الكبيرة لكى تستر قرعتك ـ حضرته أقرع ـ كل عام وأنتم بخير.

وأخيراً زرت عينا من الأعيان فقابلت لديه عالما استمر فى الافاضة بذكر كرامات أحد أولياء الله قال

ـــ فدعاه السفير ذات مرة ورغبة فى إحراجه سأله قائلا لم حرم الله يامولانا الأستاذ عليكم لحم الخنزير ولم يحرم الدجاج فى حين ان كلاهما يأكل النجاسة

فسأله القطب إذا كان لدى السفير حظيرة للخنازير ولما أجيب بالايجاب قاد القوم الى مكان يحوى خنزيراً وانثاه ثم سأل كم من الوقت عاش الاثنان معاً فقال السفير لعدة شهور فطلب أن يأتوه بخنزير ذكر أدخله عليهما فما لبث الدخيل حتى ائتلف مع الأنثى فلم يتحرك ذكرها للنضال. فقال مولانا كفى لنذهب الآن إلى حيث تربون الدجاج ولما ذهبوا ادخل ديكا غريبا فى قفص فاذا بالديك زوج الدجاجات يقاتله فقال مولانا هذا هو السبب فى ان لحم الخنزير محرم ولحم الدجاج غير محرم ولانكم معشر الكفار تأكلون الخنزير تخرج نساءكم عاريات إلى الطرق ويمتزجن بالشبان الفاسقين فاحمر وجه السفير خجلا وأطرق الى الأرض

هنا رفع المحدث رأسه تيها وظهر البشر على وجوه السامعين والتفتوا الى شامتين فقلت

ـــ أظن السفير كان يجهل سبب سكوت الخنزير عن ائتلاف الخنزير الدخيل بزوجه. وأما أنا فقد وقفت من الجرائد على جلية الامر فقد حدث أن أقسم الخنزير بالطلاق ثلاثا على خنزيرته فلما أدخلوا إلى الحظيرة الخنزير الدخيل استبشر الزوج لسهولة عثوره على المحلل.

كل عام وأنتم بخير

مسلم صميم

جمعية المافيا

الرهيبة

انهدم بنيان جمعية المافيا المجرمة التى كانت قابضة بيد من حديد على رقاب اهالى جزيرة صقلية منذ عدة اجيال تقتل وتنهب ملقية الرعب فى قلوب السكان البؤساء ولكن اتيح لحاكم الجزيرة الفاشستى القضاء عليها قضاء مبرما بعد نضال استمر اربع سنوات قدم على اثرها ١٥٤ مافيوزى (نسبة الى مافيا) من الجنسين ومن مختلف الطبقات الاجتماعية مصفدين بالحديد الى المحكمه لمعاقبتهم على الجرائم التى اقترفوها من قتل الى نهب الى تسميم الى اضرار بالمحاصيل فلم يبرأ الا سبعة فى حين حكم على كل فرد من الآخرين بعشرين سنة مع الاشغال الشاقة او بما يقل عن ذلك وقد بلغ مجموع سنى الحكم زهاء العشرين قرنا (٢٠٠٠ سنه)

وقد تعود الناس على جرائم هذه الجمعية لطول مدة عبثها بالامن ولشد ما كانت دهشتهم عند ما افاقوا من نومهم ذات صباح وعلموا ان آخرة المافيا قد اتت

وتكونت نواة الجمعية من فرسان العصور الوسطى الذين شردتهم الكنيسة والاقطاعيات فكان تكوينها لقصد مشرف وكان همها منحصر فى البدء فى سلب الكنيسة والاقطاعيين الاغنياء لمساعدة الفقراء المظلومين وسارع اليها الناس رغبة فى درء الاخطار عن ذواتهم او للانتقام من مضطهديهم فكانت تفعل ذلك وتمدهم ايضا بالمال ولكنها لم تلبث حتى اصبحت مجموعة من القتلة واللصوص والنصابين والمقامرين والمزورين وكان كل منهم يقوم بالعمل الذى اختص به تحت حمايتها وكانت تضرب الضرائب على المزارعين والصناع وكافة العاملين وحتى على العاهرات . وكانت تقوم بالمظاهرات السياسية نظير أجر ولسوء الحظ كان الاهالى لا يشهدون ضد افرادها مفضلين فى بعض الاحوال السجن عن تعريض ذواتهم لانتقامها وكانت الجمعية تلقب الذى يضلل البوليس « رجل شريف »

ويرجع بعض الناس بتاريخها الى ما قبل المسيح « هم يقولون بان الذين اسسوها

هم مستعمرو اليونان من الفيثاغوريين (اتباع الفيلسوف المشهور) ولكن البعض الآخر يقول ان اصلها عربي بدأت حين كانت الدولة الاندلسية في ازدهارها

ومما لاجدال فيه انها كانت في عصر من العصور جمعية سرية تعمل للاستقلال وكان من بين تعاليمها عدم طلب التدخل من الغاصب لاجراء العدالة ولذلك كانت الجمعية تسعى لارجاع الحق لذويه بيديها وكانت تضطهد كل من التجأ الى المحاكم النظامية ولكن كل هذا قد استبدل رويدا رويدا حتى ان دورها السياسي في الآونة الاخيرة كان مملوءا بالاغراض الفاسدة فكانت تتداخل في الانتخابات لصالحها حتى أنه يقال إنه قد عين وزيران لايطاليا من بين زعمائها وكذلك بعض القضاة ورجال البوليس منها. ولم يكن امام الذين يعارضونها من ذوى المناصب الا ان يستقيلوا من مناصبهم فاذا ما قام مثلا احد وكلاء النيابة من غير المنتسبين اليها للتحقيق مع احد اعضائها يجد امامه عقبات جمة ثم يضيع مستقبله ان لم يقتل في رابعة النهار وهو سائر في شارع مطروق وكم حاولت الحكومة الايطالية القضاء على هذه الجمعية ولكنها اخفقت وقد حوكم نائب ينتمي الى هذه الجمعية بتهمة قتله لاحد الماليين عام ١٨٩٢ ومع ان الحكومة اتخذت كافة الاحتياطات للقضاء على سيطرة الجمعية حتى انها اجرت المحاكمة بواسطة قضاة ومحامين ووكلاء نيابة من الذين لم يدخلوا الجزيرة بعد التأكيد لهم بانهم لن يدخلوها ، فقد اخفقت .

وليس من السهل التسليم بان الضرائب كان تدفع للجمعية من الآهلين قبل دفع ضرائب الحكومة ، ولكن هذا هو الواقع لانهم اذا امتنعوا عن الدفع فليس امامهم الا الخراب العاجل وكانت تجبر اصحاب الاعمال على استخدام بعض اعضائها ليعطوا بيانات عن مقدار الثروة الواجب دفع ضريبة عليها وفي نظير ذلك كانت تقوم الجمعية بحراسة الآهلين ضد السرقه وغيرها وكانت الجمعية تحتكر لاعضائها حق الاجرام وتناهض كل مجرم لا يأتمر باوامرها

وقد حدث ان شجر خلاف بين اعضاء الجمعية فصاروا يقتلون بعضهم البعض واستمر ذلك لعدة اشهر الى ان اتفق الحزبان على المصافاة. وكثيرا ما كانت تنصف حتى في اواخر ايامها من يلتجىء اليها من المظلومين ضد المرابين والرأسماليين دون ان تتقاضى لخدمتها رسما

ومن حسناتها ان احد الموسيقيين الفقراء شكا اليهاسرقة معزفه وهو كل رأس ماله فلما رجع الى منزله في اليوم الثاني وجده في مكانه وكانت هذه الافعال تحبب بعض الناس فيها وهم غير المعرضين لاضطهادها لفقرهم وكانت افعالها هذه اكبر صعوبة واجهها «موسيليني» ورجاله عند محاولة القبض على اعضائها وقد عمل احصاء في ٧٩ منطقة من ٣٦١ منطقة في صقلية فقدر انه قد قبض على ١٠٨٦ عضواً من المافيا اتهم ٣٥٧ منهم بالقتل و ١٠٦ بشروع في قتل و ٨٣ سرقات باكراه وقد ذكر موسوليني في خطبة له سنة ١٩٢٧ ان الحكم الفاشستي قد افلح في انقاص الجرائم هناك وقدم الاحصاء الآتي

سنه	سرقات	نهب	نصب	قتل	تخريب	اغتصاب
١٩٢٣	١٢١٦	٢٣٨	١٦	٦٧٥	١٣٢٧	٧٣٩
١٩٢٧	٢٩٨	١٢١	٢	٢٩٩	٨١٥	٤٦٩

وقد ساعد في القضاء عليها قاض اسمه جيامبيتر و لم يتهم بالتهديد والترغيب فكان يحكم بشجاعة احكاما قاسية على من يقع في يديه من اعضاء الجمعية ولهذا القاضي قول ماثور هو أن نهاية المافيا تأتى عندما تقدر المحاكم على محو ذكرها من افكار الاهلين وقد اختار موسيليني رجلا صلب العود من رجال حزبه هو (موري) فعينه حاكما على الجزيرة وخوله سلطات واسعة ولم تزد تعليمات موسيليني اليه عن وجوب إبادة المافيا بكل الطرق وباى ثمن واوصاه بألا يهتم بعقبة تعترضه « فانت حاكم مطلق لصقلية و كل مساعدة تحتاج اليها تقدم اليك بدون مناقشة ولن تجد من يحاسبك على ما تفعله ولكن اتصالك دائما معي . اضرب بسرعة وبدون رحمة لا تراعي مركزا ولا ثروة ولا سنا وأمر اتباعك ان يطلقوا الرصاص دون رحمة » وقد فعل موري ما امره به موسليني ونفذه حرفيا حتى ان الجمعية لقبته (بالجزار) لعظم الضرر الذى كان يصيبها به

بدأ عمله برفت رؤساء البوليس و القضاة ورجال النيابة لاعتقاده بانهم كانوا ضمن اعضاء الجمعية وأحل بعد ذلك من يثق فيهم مكانهم وقد استورد رجالا للبوليس من ايطاليا واستمد مساعدة رجال الفاشيست وبذلك امسك بآلة موالية وبدأ بالقاء القبض على العظماء ممن اشتبه فيهم واستنطقهم في السجن واستنتج منهم براهين قوية تمكن بها من القبض على أهم رجال العصابة وقدمهم للقضاة ولكنه صادفته عقبة هى

خوف الناس من تادية الشهادة وهنا لعبت النيابة دورا لبقا فى الاستنتاج والايقاع حتى باح البعض بما عندهم من الاسرار فلم يتر لهم الحاكم عرضة للخطر بل حماهم حماية تامة من الجمعية فشجع غيرهم للادلاء بما عندهم واستمر القبض على أعضاء الجمعية متتابعا وتمت المحاكمة فى ارض صقلية للمرة الاولى منذ عدة قرون وقد بلغت خسارة الحكومة من رجال البوليس فى هذا النزاع ١١ قتيلا و٥٣ جريحا وقد كوفىء ٣١ من رجال البوليس لشجاعتهم الخارقة

ولم يكن مورى بالرجل السهل فكم من مرة رأس حملات المطاردة بنفسه متعرضا للخطر . الامر الذى القى الرعب فى قلوب رجال العصابة ومن ضمن القصص المسلية التى يتناقلها اهالى صقلية فى الوقت الحاضر قولهم إن بعض رجال العصابة تحصنوا فى منزل وعبثا حاول البوليس اقتحامه فما كان من مورى الا ان تقدم الى الباب وطرقه فسأل من فى المنزل من هذا فقال لهم انا مورى فخاروا فى امرهم وفتحوا له الابواب مسلمين ذواتهم له

وليس معنى هذا أن عمل الفاشست قد تم بموت المافيا بل بالعكس فان امام الحكومة اليوم عمليات تنظيفية عديدة ولا زالت القمارسخ فى الاذهان بفضل تعاليم الجمعية من وجوب كراهية الحكومة ومعاداتها حتى اصبحت هذه التعاليم من لزوميات عقلية الصقللى

ـ ملخصة ـ ابو العنين

على السفود

وقعت الينا كراسة طبعت فيها قصيدة سماها ناظمها الشيخ عبد الله عفيفي (تحية العيد) الى مقام صاحب الجلالة الملك الكامل المؤيد فؤاد الاول أعزه الله، يهنئه فيها بعيد الفطر . وهذه القصيدة نشرت كذلك فى بعض الصحف فهى بروباجنده لناظمها وبذلك تدل على ان الناظم يباهى بها ويعدها فى الطبقة الاولى والا لكان نشرها واكتفى بنشرها فى جريدة لا تقرأ كما يفعل (شاعر الاخلاص حسن الدرس) الذى ينظم فى كل مناسبة قصيدة ملكية ثم لا يحفل بها أحد

اذن فالشيخ عفيفي المحرر بالديوان العالى الملكى يريد أن يعلم الأقلين انه شاعر جلالة الملك وانه شاعر ذو قيمة وانه بشراك يامصر بهذا الذى لا يليق بمدح جلالة الملك غير شعره . واذن فهذه هى النغمة الثانية فى طنبور هذا الشعرور . أما النغمة الاولى فهى زعمه لمن يجالسهم انه أخذ الى الديوان العالى لاصلاح لغته ومباهاته بذلك مع انه لو سأل الأدباء ورؤساء تحرير الصحف لعلم انه حين كان يرسل البلاغات الرسمية عن رحلة جلالة الملك فى صحراء سيوة كان يرسل فى البلاغات أخبار الصحراء ورملها وحصاها وحجارتها فكان لا يقرأ هذه البلاغات أحد من الناس لألفاظها الثقيلة الجافية الغليظة وبذلك كانت تأتى مع الريح وتذهب فى الريح لان القراء لا يرون فيها شيئا من جمال الانشاء ولا بلاغة التعبير ولا ما يمس عواطفهم المتشوقة لأخبار مليكهم ولروعة الصحراء الخالدة وأسرارها وشعرها مما لا تنفع فيه كلمات القاموس ولا يصلح له مثل هذا الشيخ

ولكن هل قصيدته (تحية العيد) تستحق أن تطبع فضلا عن ان ترفع الى جلالة الملك فضلا عن ان يتباهى بها؟ ننظر فيها نظرة سريعة ليرى القراء بعيونهم أى شعر سخيف وأى ذوق فاسد وأى قريحة جامدة لم تبلغ بالشيخ عفيفي ولا درجة هذه القصيدة التى نشرت فى المقطم من أيام بتوقيع (أنيسه حصلب) وعنوانها (يجود أبى التاروق قد نطق الحصى) فلعل الشيخ يتحصلب ويرتقى ليبلغ هذه الدرجة على الأقل لأننا لا نظنه يحلم أن يقرن يوما من الايام بأى شاعر من شعرائنا المعروفين

أول القصيدة هكذا : يوم أضاء بوجهك المتهلل لله من يوم أغر محجل

فأما الشطر الاول فمن قول البحتري: والبدر فوق جبينه المتهلل . وأما الثاني فمن قول البحتري أيضا في وصف خيل المتوكل : غر محجلة تحاول وقعة : بالروم في يوم أغر محجل

وهنا يظهر فساد ذوق الشيخ أوضح مما ظهرت لصوصيته الادبية فان البحتري يبدأ بذكر الخيل التي من أهم أوصافها أن تكون غراً محجلة كما هو معروف ثم ينسب اليها يوم الوقعة الذى تكسبه وتنتصر فيه فيكون مثلها أغر محجلا لانه موصوف بها ولانه لم يكسب لولا عتقها وكرم أصلها الذى تدل عليه الغرر والحجول فلما كانت كذلك كان هو أيضا كذلك ، والا فما معنى ان اليوم أغر محجل . هل هو حصان له جبهة وله أرجل ويولد بعلامة تدل على كرم أصله وعتقه هي الغرة فى الجبهة والحجول فى القوائم

وانظر ياسيدى إلى قول هذا الشيخ « لله من يوم » تقول للداهية الخبيث «لله منك» إذا أردت أن تعلم خبثه ودهاءه والقوم يقلبونها ويقولون « منك لله » فهل يوم العيد بعد أن صار حصانا انقلب عدوا أو خبيثا أو داهية

ثم ما معني « اضاءة » اليوم بوجه جلالة الملك . أليس اليوم مضيئاً بنفسه؟ لو كان الليل لجاز أن يضيئه الوجه لأن الليل غير مضيء بطبيعته . وهل يجوز فى ذوق هذا العصر ان تنسب الاضاءة للوجه الملكى الشريف . وهل ضرب الشعر فى هذه القريحة العتيقة حتى لاتستطيع أن تتحيل بمجاز من المجازات لاظهار نور الملك فى وجه المليك اليوم مضيء بطبيعته فأى فخر فى اضاءته بل تكون هذه الاضاءة ذات قيمة وانت ترى أقوى المصابيح الكهربائية اذا اضيء فى نور النهار لم يكن له أى شأن ونزلت درجته . نعوذ بالله. نعوذ بالله من هذه الاذواق التى أولى بها أن تكون فى كتب النحو لا فى شعر الملوك .

ايدرى هذا الشيخ ماشعر الملوك إن الملوك هم الذين يوجدون عصرهم الشعرى فمن كان يكون المتنبي لو لا الذين كان يمدحهم وخصوصاً اميره سيف الدولى وهل الادب الذى يخلفه عصر الملك فؤاد يليق أن يكون من مثل هذه السرقات المكشوفة البليدة المقلوبة عن قيمتها

والطامة الكبرى أن الشيخ عفيفي يقول أيضا فى وصف جلال النور الملكى

نفسى ومن أهوى الفداء لمالك ملكت محاسنه هواى ومقولى

فى عارضيه وفى سرار جبينه بدر بأشراف الكنانة يعتلى

هل تظن (أشراف الكنانة) هم الذين لهم رئيس يقال له نقيب الاشراف أسرع والجأ الى القاموس فالاشراف جمع شرف وشرف الشيء أعلاه فالمعنى في عارضي جلالة الملك وفي اسرة جبينه بدر يعتلي بأعالي الكنانة . فاذا كان بأعالي الكنانة . فما معنى يعتلي وأين أعالي الكنانة والاقبح من ذلك أنه جعل هذا البدر في عارضي الوجه وسرار الجبين فقط . نعوذ بالله نعوذ بالله من هذا الذوق . والأقبح الأقبح أن يقول هذا الشيخ « ملكت محاسنه هواى » افهذا يقال في مدح الملوك وبعد أن تجعل محاسنهم تملك الهوى يشبه وجههم بالبدر

على أن البحترى كما تقدم قال « والبدر فوق جبينه » وهذا تشبيه صحيح تام فمن ذوق الحلاقين ذكر العارضين ، وهي ثرثرة في نهاية القبح . والشيخ عفيفي يريد ان يقلد المتنبي. فالمتنبي كان يتغزل أحيانا في ممدوحه وقد عد ذلك من تفننه وجهلوا السبب الحقيقي وهو غرور المتنبي وارادته الأعلان عن كبريائه كأنه لكبر نفسه ينزل الملوك عن درجة الملك الى درجة الهوى الذى لا يكون عادة إلا في أخص أنواع المصاحبة والمخالطة . فهل هذا هو التقليد الأعمى الذى وقع فيه الشيخ بلابصيرة ولا فهم حتى ولاذوق ولا أدب نعوذ بالله نعوذ بالله !

وقبل يقي (المحاسن) يقول مخاطباً غرة العيد :

واجلى بمشرقه المشارق وانشرى   مافاض منك على الربيع المقبل

وأحب أن يكون الشيخ الثغ وأن ينشد هذا البيت فانه يقول حينئذ : (وأجلى بمسرقه المسارق وانسرى . ماهذه الشينات الثقيلة المتتابعة ثلاثا . لقد طلق الشيخ ذوقه ثلاثا على مايظهر . واذا كانت غرة العيد تجلو بمشرق جلالة الملك المشارق ، فهل يكون الكلام : وانشرى فاض منك اومافاض منه . وهو أيضا في هذا البيت يسرق البحترى في قوله :

غشى الربيع ديارهم وغشيتها   وكلا كما ذوعارض متهلل

فأضاء منها كل فج مظلم   بكما وأخصب كل واد ممحل

أنظر كيف يتصرف البحترى وكيف يهذى الشيخ الذى يطلب من غرة العيد أن تجلو المشارق من نور الشروق الملكى « وتخلى شويه » للربيع !! ماهذه السخافة ياناس

ويقول بعد بيتى (المحاسن) :

ملك أعاد الله فى قسماته عزم الرشيد وسنة المتوكل

هذا فى المتن !! وقال فى الشرح !! « السنة صورة الوجه وكان الخليفة المتوكل أجمل الخلفاء صورة وأصبحهم وجها » يعنى لانزال فى شعر (المحاسن) فاذا كان هكذا واذا كانت (القسمات) هى تقاطيع الجمال فى الوجه فما موضع (عزم الرشيد) هنا هل دلالة العزم الا الصلابة والنقن البارز العريض الامريكانى . الشيخ جاهل بفن الفراسة ولا شك . وهل لايوجد فى تاريخ العالم القديم أجمل من المتوكل أم « المتوكل » حكمت به القافية على الشيخ ولذلك جر معه « الرشيد »بالقوة !! لأنهما سيرحلان رحلة طويلة تبلغ ألف سنة ليقيما فى (بيت) الشيخ عفيفى

وبعد هذا يقول : كالسيف يجمع فى صفاء فرنده قهر العزيز ورقة المتبتل

وقال فى الشرح !! فرند السيف جوهره وماؤه ولم يشرح المتبتل . والقاموس يقول الملك كالسيف يجمع فى جوهره القهر والرقة . وتكون العزيز والمتبتل حشوا . وجوهر السيف ليس فيه رقة ولا قهر بل القهر فى حده و الرقة فى متنه . و المصيبة ان هذا المعنى الركيك المغلوط مسروق من بيت هائل، وهائل جدا . فهل الشيخ لايحسن البيت الهائل فى قول بشار

لكالسيف إن لاينته لان متنه وحداه إن خاشنته خشنان

هكذا يكون الشعر لاتلك البلادة نعوذ بالله نعوذ بالله

ثم يرجع بعد أبيات الى نور جلالة الملك فيقول

بك عيده الزاهى استفاض بهاؤه كالشمس تملأ ناظر المتأمل

(اترك النكتة فى كلمة البهاء) عند العامة، وقل لى هل الشمس تملأ ناظر من يتأمل فيها أم تجعله حالا يقفل عينيه ولا يتأمل خوفا من أن يصاب بالزغللة وما يعرض منها مما هو معروف فى طب العيون ولكن نعمل ايه والشيخ دائما يسرق سرقات مضحكة وهذا المعنى أصله فى الشعر العربى هكذا : « كالشمس تعشى ناظر المتأمل » أى تصيبه بالعشى أى ضعف النظر .فهل هذا يليق فى وصف نور الوجه الملكى الكريم . ألم يكن الواجب ترك هذا الشيخ فى مدرسة أو التنبيه عليه « مؤكداً » بأن يسكت عن الشعر ؟

ويقول: في كل قاصية وكل محلة تأهيل محتفل وجلوة محفل

أي يجاري محمود باشا البارودي إذ يصف الحرب من قصيدته الشهيره

في كل مربأة وكل ثنية تهدار سامرة وعزف قيان

فالتقسيم في بيت البارودي ذو معنى ولكنه في بيت الشيخ عفيفي لغو لأنه يريد ان يقول في كل مكان احتفال.فلم يستطع خط الكلام وثرثر بهذا الهذيان. وقوة الشاعر العربي لاتظهر بعد المعاني الا في القدرة على حبكها بدون حشو . وكل بيت في هذه القصيدة من أولها الى آخرها لايخلو من عيب الحشو البارد الذي يتلف المعنى وتأثيره في النفس : كقوله بعد هذا :

ذكر بناحية الشمال يجيبه ترديد ذكر بالجنوب مرتل

فاذا كان ذكر الجنوب مرددا فما معنى مرتل الا الحشو للقافية وهو اسخف الحشو. وهو بكل أسف الذي تراه في القصيدة . ثم قوله (ناصية الشمال) كان يقتضى ان يقول (رجل الجنوب) والا فالناصية حشو . والبيت كله هو هذا :ذكر بالشمال يجيبه ذكر بالجنوب! فهو ثمان كلمات منها ثلاث للحشو.وهكذا في كل كلامه.ويقول بعدهذا

ان الذي جعل الحنيفة دينه أولاك منها عقدة لم تحلل

وسكت عن ذلك وانتقل الى معنى آخر. فهل الله ادخر لجلالته عقدة لم تحل ليحلها ام لتبقى عقدة ! وماهي هذه العقدة وماتفصيلها وما شرح الاعمال التي بذلت في حلها. اليس هذا رجل يتعلم الشعر

وبعد مرحلة في الخراب من هذا الكلام يقول

يارافع البيت المقدس عش له ولكل متصدع بجودك يعتلى

ألوى الزمان بركنه فترجحت جنباته بين الصبا والشمأل

قال الشارح !! الشمأل ريح عاصفة تهب من القطب !! فاين القطب من بيت المقدس لعل بيت المقدس في بلاد السويد والنرويج . ولاحظ ان (يعتلى) قدمرت ووضعت في سجل نقابة ، اشراف الكنانة ، وهناك معناها يرتفع فامعناها هنا المتصدع يحتاج الى الترميم والترديم فلا معنى (ليعتلى) . ويارافع البيت المقدس لامعنى لها لانه لا احد يرفعه ولا يضعه بل المطلوب ترميم لابناء الدور الثاني!!

ولما ألوى الزمان بركن المسجد الاقصى ماذا حصل فى رأى الشيخ عفيفى الجواب وضع المسجد فى مرجيحة تهزها الريح الآتية من بلاد نجد و العاصفة الآتية من القطب! ومن فساد الذوق مادامت القصيدة تحية العيد ان تكون المرجيحة هكذا وكان يحسن ان يجعلها مرجيحة لطيفة من مراجيح العيد كصندوق او حصان خشبي

ويقول : فبذلت أعناق الالوف تواليا تنصب كالوسمى يعقبه الولى

وفى الشرح !! الوسمى المطرة الاولى والولى المطر بعد المطر . ولكن ما معنى « اعناق الالوف » ؟ هنا يظهر فساد ذوق الشيخ بأقبح مظهر بل هذا جهل بعلم البيان وصناعة الكلام ! ! ! أمن كتاب النحو فى المدارس للشعر الملكى بخطوة واحدة . هل انت من أهل الخطوة ياشيخ ؟

كان لعمر بن الخطاب عامل فعزله بتهمة الرشوة فبعد عزله ظهر له مال فقال عمر : أبت الدراهم إلا ان تظهر أعناقها . فيسرق الشيخ عفيفى الكلمة من هذا الموضع المخطر و يضعها فى هبة جلالة الملك لتعمير المسجد الاقصى . هذا فظيع ! هذا فظيع ! والهبة كانت خمسة آلاف جنيه مرة واحدة وهذا هو الذى يجعل لها قيمة فجعلها الشيخ (متوالياً) ولم يكتف بهذا بل زاد التفسير مطرة بعد مطرة . اذن لم تبق لها قيمة ولعن الله الحشو !

وبعد مرحلة فى الكلام الخراب يقول

ملك اقام على المعارف عرشه أرسى عماداً من تبير ويذبل
أولاه اسماعيل فضل زمامه عهد الهصور الى الهصور المشبل

قال فى الشرح !! تبير جبل بمكة ويذبل جبل بنجد . و الشيخ لايعرف الشعر أبدا وينظم نظم المتون تماما . وقاعدته « كله عند العرب صابون » والبيت الثانى لا يرضى احداً من العامة ان يمدح به فضلا عن جلالة الملك لان معناه ان اسماعيل أعطاه القطعة الزائدة من زمامه . فهل يليق هذا . هل يليق وضع (الزمام) هنا ولو كان له أبدع معنى . فكيف وهو معنى بارد وسخيف . واين الزمام والأسد المصور ابو الاشبال . هل للاسد زمام

وبعد هذا يقول . ما ضره والرأى منه يصونه ألا يصول بمدفع او منصل

والمعنى مسروق كما لا يخفى وقد أحكمه المتنبي بابداع فائق يلتحق بالاعجاز فى قصيدته التى مطلعها : الرأى قبل شجاعة الشجعان . وبيت واحد منها بكل ما يقوله الشيخ عفيفى طول عمره . ولكن هل يليق ان يجرد ملك الملوك فى هذا الزمن حتى من « مدفع » واحد ومنصل واحد مهما كان الرأى ولو كان نازلا من السماء . وما ابرد واسخف ان يجعل الملك هو الذى « يصول » بمدفع ومنصل . و يقول :

حب الرعية فى خلالك خلة   تتبدل الدنيا ولم تتبدل

فهل المعنى ان جلالة الملك من خلاله حب الرعية ام الرعية تحب فى خلال الملك وحبها خلة الخ . و إذا « تبدلت الدنيا » فهل تبقى الرعية وهل تبقى حجارة وهل تبقى من الكون وحدها وهل لم تنفى الفعل فى الماضى ام فى المستقبل ياشيخ عفيفي . وهبها تجوز فى بعض اللغات الضعيفة فهذا يكون للضرورة فقط وانت كل كلامك من هذا حشو وضرورة وثرثرة ومعان من الشوارع كما تقول بعدها :

مزجت ولاءك بالسرائر والنهى   مزج السلاقة بالمعين السلسل

سرقة بايخة جدا جدا والمعين السلسل حشو انظر كيف يقول البحترى

وجدت نفسك من نفسى بمنزلة   هى المصافاة بين الماء والراح
أثنى عليك بأنى لم أجد أحدا   يلحى عليك وماذا يزعم اللاحى

تعلم ياشيخ من قوله « هى المصافاة » ، كى تأتى على الاقل بكلمة بيانية ولكن هيهات. ويكفى الآن . ولعل الديوان العالى ينبه على هذا الشيخ « مؤكدا » ان لا يعود الى الشعر؟

العصور — مدح الملوك فى كل العصور وعلى الاخص فى الشرق زمنى أوج الحضارة العربية لفحول الشعراء ، وا كثر ما كان مدح الفحول للملوك فى عصور ازهرت فيها المدنية وعمل فيها الملوك على خير الشعوب . اما الشعارير من امثال (العبد الله بن عفيفى) فلم نسمع عنهم خبراً ولا نقل الينا منهم أثراً

و نحن والحمد لله فى مصر وعلى عرش مصر « ملك » يجله المصريون كل إجلال ان لم يكن لأيادى آبائه عليها فلعطفه على شعبه وحبه خير افراده والسهر على مصالحهم سهر الأب الشفيق على الابن البار . غير اننا نعلم أن الديوان العالى قد حال بين فحول الشعراء وبين الاعتاب الملكية ان يكونوا من المعبرين عن مفاخرها الخالدة ، فاتسع الباب لامثال هذا الشويعر أن يقول فى المناسبات الملكية شعراً وأن يدعى فى غير خجل

انه شاعر صاحب الجلالة «مليكنا» المفدى، وارث عرش محمد على. بل المتربع عن حق وجدارة على عرش الفراعنة العظام

ولا شبهة مطلقا فى أننا اضطررنا الى نشر المقال السابق مدفوعين الى ذلك باخلاصنا اولا. و باخلاص كاتبه الأديب ثانياً، حذر ان يتمادى عبد الله او (عبد اللاوى) بن عفيفى فى تشاعره هذا فيفسد الامر و ينقلب القصد الحسن عن غفلة وجهل الى ما ينل كل مصرى دمه قبل ماله ابتغاء درئه عن عتبة القصر الملكى بله المقام الاعلى والمجد الاسنى فى ديار مصر ورمز عظمتها جلالة «المليك» الذى يجل مقامه عن أروع الشعر العربى ان يكون له وصفا أو لخالد اعماله صفحة تتلوها الاعقاب الى أبد الآبدين

و بعد . فهذه صفحات ما املاها علينا الا الاخلاص الأكيد . نقول هذا تاركين لمن اراد أن يقول مايشاء وأن يهذى بما يشاء .

ابحاث زراعيه علمية

ارض الزراعة

أرض الزراعه هى سطح الطبقة الأرضية اليابسة التى يقوم عليها النبات . اما تعريفها فى علم طبقات الارض (الجيولوجيا) فهى الماده الصخريه المتكونه مما تحلل من الصخور القديمة والمواد الحيوانية والنباتيه بالمؤثرات الطبيعية .

المؤثر الطبيعى

هو فعل طبيعى او كيماوى ينتج عنه تحليل المواد المعدنيةوالعضوية وهذهالمؤثرات فضلا عن تفتيتها الصخور الصلبة لتكوين التربه الزراعية فهى على الدوام مستمرة التأثير فى جزئيات الارض لتذيبها حتى تجعلها صالحة لغذاء النبات ومن حيث انها السبب فيما تقدم لزم ذكر بعضها مما له اهمية عندنا فنقول .

الماء — هو اعظم تلك المؤثرات قوة على أنه من الضروريات فى بعض التأثيرات المحللة الأخرى فمن تأثيره العام اذابة المواد وتحليلها ومن تأثيره المكانيكى الاحتكاك بالارض حالة جريانه .

ان الماء الذى بالارض يحتوى عادة على احماض واملاح مخففة تزيده تأثيرا فى المواد المعدنية والعضوية وليست هذه المؤثرات فى بلادنا كغيرها من الاماكن الاخرى اذا نظرنا الى المطر وعدم وجودهباوانما يحصلهذا التأثيرفىالماء المخلفعنمياه الرشح ومياه الرى وعلى هذا فللنيل الجزء العظيم من هذه التأثيرات فى الارض وهو من هذه الوجهة أفضل المؤثرات الطبيعية عندنا لأن كل ما ينتج عندنا عن التأثيرات الطبيعية فى منابعه من الصخور يرد الينا ماؤه متحملا به وهو ما نسميه (بطمى النيل)

الهواء —

الغرض المهم منه اوكسجينه وهو العامل الوحيد الذى يحلل المواد المعدنية والعضوية دائما لانه يؤكسد كثيرا من المواد التى تلامسه ولكن اذا اعتبرناه من المؤثرات الطبيعية كان المراد بتأثيره الانتفاع به فى الاجسام الحيه — فهو فى الارض يغذى الجراثيم بالاوكسجين فتحلل به اجساما مختلفة كثيرة وسيأتى الكلام على اهمية هذه الجراثيم فى

الخواص الحيويه للارض وكذلك الحرارة بما ينشأ عنها من تمدد المواد وانكماشها على التعاقب تساعد فى تحليل المواد الصخرية وخدمة الارض وسيلة الى تحليل جزئياتها و يتكون الغذاء النباتى فيها بتعريضها للمؤثرات الطبيعية . فاستخدام هذه المؤثرات فى الصخو ر لتجديد تربة الارض والتأثير فى هذه التربة بتحليل جزئياتها تجهيز للغذاء النباتى وفائدة للفلاح .

ان فعل التأثيرات الطبيعية فى مصر ضعيف فيما عدا الاراضى التي تروى بمياه الرى.ومن المعلوم أن التربة الجديدة الواردة مع هذه المياه ليست مما ينتج عن صخور هذا القطر بل معظمها ر واسب نقلها الينا الماء من منابعه . فالمطر وغيره من المؤثرات الطبيعية فى اعالى وادى النيل على الدوام يفتت صلب الصخور جزئيات صغيرة يبقى كثير منها حيث انفصلت وتكون عنه ارض فى تلك البقاع وكثير منها تحمله الامطار الى مجرى النيل فيقذفه التيار الى الاقاليم السفلى وترسب بعد ذلك على الارض فتكون أرضا جديدة . وكثرة هذه المواد وقلتها تتوقف على قوة تيار الماء وحجم الجزئيات صغرا و كبرا . فان الحياض فى الوجه القبلى اذا ملأها الماء ركد بها ووقف تياره تقريبا وهناك ترسب المواد على سطح الارض فاذا صرفت المياه صرفت رائقة تاركة على سطح الارض طبقة جديدة من (الطمى) وأول ما يرسب فى هذه الحالة هو الجزئيات الكثيرة و اكثرها الرمل.اما الصغيرة الناعمة او الطينية فتبقى معلقة الى مسافة كبيرة من مدخل الحوض ثم تترسب ببطء ومن ذلك تجد عادة أن الارض الموجودة بقرب مدخل الحوض سهلة خر اصها وهى التى يسمونها (الارض الصفراء) اماما يكونه رسوب الطين الناعم فتكون ارضا سوداء . وهذه النظرية بعينها توجد فى الاراضى التى تروى ريا صيفيا ولكنها بحالة ابطأ مما ذكر لأن المواد التى يتحملها الماء فى هذا الوقت وكمية الماء نفسها اقل منها فى الحالة الأولى وفيما عدا هذه المواد الصخرية يحمل الينا الماء مواد عضوية عن الاجسام الحيوانية والنباتية الميتة التى كانت تعيش فى مجرى النيل او قريبا منه .

ولو ان اراضى النيل معظمها من رواسب الماء . الا أن خواصها ليست على نمط واحد .وهذا ناشىء كما سبق الكلام من الاحوال المختلفة فى ترسب الجزئيات الناعمة من الطمى كسرعة تيار الماء وبعد الأرض من النهر. فالأرض الواقعة فى شمال الدلتا

وسائر الأراضى المنخفضة بمصر على الدوام عرضة لأن يتشرب ملح الطعام (كلورور الصوديوم) اذا لم تجر بها عملية الصرف حتى يغوص الملح فى الأرض الى طبقة لا يصل تأثيره وهو فيها الى النبات المزروع . لأن وجود هذا الملح فى اراضى مصر يغير طبيعتها وله اهمية عظيمة عند زراع شمال مصر وانما تخلو الأرض من الملح اذا ارتفعت او توالت عليها عمليات التصريف التى تستأصله منها فالرى والصرف أنما يزيلان هذا الملح من سطح الأرض وبدون زراعة الأرض وربما يرتفع الملح على سطحها بواسطة الخاصية الشعرية . ومما يؤثر ايضا فى تغيير طبيعة الأرض الرمال التى تذروها الرياح .

واذا قارنا الأراضى المترسبة فى بلادنا بمنشئها الأصلى وهى تلك الأراضى الصخرية التى تتكون هناك من تأثير الطبيعة فى الصخور وجاءتنا عنها هذه الرواسب مع الماء وجدنا تباينا بين الأرضين اذ الأرض المترسبة عندنا ناعمة متشابهة الجزئيات وتلك تتكون من حصباء وحجارة لا يقوى تيار النيل على حملها الينا وعلى هذا فلا يكاد يوجد فى اراضينا شىء من تلك المواد الأصلية الصخرية مع أننا فى حاجة اليها لأن وجودها فى الأرض يسهل علينا الحراثة وتصريف المياه وان كانت الحاجة الى المادة الطينية اكثر لوفرة الغذاء النباتى فيها ، من حيث ان المساحات السطحية للجزئيات الدقيقة فى الحيز الواحد اكثر دائما من المساحات السطحية للجزئيات الكبيرة التى تشغل هذا الحيز بعينه وعليه فكمية الماء والهواء والجراثيم الحية التى تتخلل الطين الشاغل للحيز المذكور اكثر منها فى غيره

ان جميع الاراضى المصرية لا تشابه حمأ النيل تشابها كليا الا فى بعض أماكن الوجه البحرى كما ظهر ذلك من تحليل هذا الحمأ وتلك الأراضى اذ بعضها يحتوى على كمية كبيرة من الرمل وبعضها على كمية أقل خصوصاً أراضى الوجه القبلى فانها تحتوى على كربونات الكلسيوم اكثر من غيرها كما ظهر ذلك من تحليل أرض (الفيوم ومطاى) ومن الأصلح لمعرفة طبيعة الأرض الزراعية تقسيمها الى خمسة أقسام :

(١) الجزء المعدنى وهو ما يحتوى على جزئيات المواد الصخرية الصلبة .

(٢) الجزء العضوى وهو ما يحتوى على المادة الحيوانية والنباتية المحللة

(٣) الجزء الحى وهى ما يدخل فيه الديدان والحشرات وجذور النبات والجراثيم .

(٤) الماء الأرضى وهو يأتى من مياه الرشح والرى ومياه الامطار بما فيها من الأملاح الذائبة .

(٥) الهواء الأرضى .

يتكون جزء قليل من مادة الأرض المعدنيه من بقايا رماد الحيوان والنبات ولكن أعظمها يحتوى على جزئيات صخرية مختلفة الحجم والصلابة والتركيب على حسب طبيعة الصخر الذى نشأت عنه هذه الأرض فجزئيات الأرض الرملية كبيرة واما جزئيات الأرض الطينية فعظمها صغيرة لأن الارض الرملية تحتوى على مواد معدنية صلبة (حبوب الرمل) التى من الصعب سحقها وتتكون ايضا الاراضى الطينية من جزئيات المعادن الهشه كالبلق (الميكا) والصخر المحبب (الفلسبار) وغيرهما مما يسهل استحالته الى دقاق ناعم. وكل من الأرض الطينية الخالصة (اى المكونة من المواد السابق ذكرها) والرملية الخالصة سواء فى خلوها من الغذاء النباتى .

أما الأرض الاعتيادية فانما تنتج الغذاء الصالح للنبات من التفتت المستمر فى المحبب والبلق وغيرهما وعلى العموم فكل أرض طينية تحتوى عادة على أجزاء غير مفتتة من هذه المواد اكثر من الأرض الرمليه و ينتج عن ذلك ان تكون الأولى أغنى من الثانية فى الغذاء المعدنى للنبات والمراد من الحثة ما كانت جزئياتها أدق حجما من جزئيات الأرض الرملية ولكنها أكبر من جزئيات الأرض الطينية فالخواص الطبيعية للأرض وعمارتها من رى وصرف وخدمة يتوقف اكثرها على حجم جزئياتها .

الدبال

وتسمى المواد العضوية التى فى الارض بالدبال وهو يتركب على وجه العموم من النباتات الميتة التي احالتها المؤثرات الطبيعية و تحتوى أيضا على جميع العناصر التى فى الرماد الضرورى لتكوين نبات جديد . واستحالة الدبال عن النبات انما تكون حيث الهواء والرطوبة بواسطة الجراثيم التي تحيله بأوكسجين الهواء الى حمض ازوتيك ومواد اخرى صالحة لغذاء النبات والجزء العضوى من الارض يحوى معظم مواد الآزوت الغذائية وفضلا عن ذلك فله اهمية فى تغذية الجراثيم الارضية التى تفيد فى تحليله هو ايضا ، كما انه يؤثر فى المواد المعدنية الموجودة فى الارض و إذا تحلل نشأت عنه احماض

تفيد بذوبانها فى الماء فى تحليل المواد الاخرى ففائدة الدبال فى الارض أن يحسن خواصها الطبيعية كأن يزيد فيها قوة حفظ الماء وامتصاصه بالخاصية الشعرية وكأن يزيد جزئيات الارض الرملية تماسكا بعد رخاوتها ويرخى الارض الطينية بعد تماسكها .

واما الجزء الحى من الارض فهو مكون من مواد حية كجذور النبات والديدان والحشرات والجراثيم

اما فى النبات فالجراثيم هى المادة الفعالة ذات الاهمية فى أغلب عمليات التاثير الطبيعى .واذن فليس شىء يغني عنها فى ايجاد اغذية النبات .ويمكن اعتبار جذور النباتات من اسباب التأثير الطبيعي بما ينتج عنها من الاحماض التى بها يقوى النبات على تحضير غذائه

ومن الحشرات الارضية ما يكون ضره اكثر من نفعه . ومن الضرورى وجود الهواء فى الارض لتتنفس به جذور النبات وغيرها من الكائنات الحية فى الارض : ؟

عبد المجيد سيد احمد

اصل الانواع

ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة فى التناحر على البقاء

مقتبسات

من رواية « وليم تل »

للشاعر فريدريك شلر

(١) القناص

البرق يومض والرعود تثور ... والجسر يئن تارة ويمور
وترى على هام المتالع قانصاً ... ماروعته جنادل وصخور
لايرهب الاحدور فى وثباته ... إن كان دون طريدة احدور
وعلى ركام الثلج ينتهب الخطا ... حيث الربيع مكفن مقبور
لاتنبت الازهار فوق ضريحه ... متفتحات أو يفوح عبير
صقع تضل الشمس فى ظلمائه ... فلسابحات النور فيه دثور
والارض تشرق والمراعى دونها ... تحت الضباب هنيهة وتغور

***

(٢) انشودة الراعى

وداعاً أيها المرعى ... وتلك الأمرج الخضر
فراقك عند من يرعى ... عهودك — مثلنا — مر
أجل فالصيف قد ظعنا
تساقط نبتك الضاحى ... وصار غضيره أحوى
وسجى لونه الماحى ... وأذواه الندى أذوى
محاسن كل من حسنا
وهذا الشدو أخرسه ... صفير الريح فى الوادى

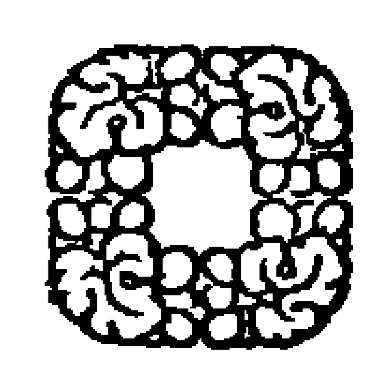
وهذا الغصن تحكمه هواه غير منقاد
يجر وراءه هتنا
اذا ما غرد الطير وزان السهل غدران
وغطى الهضبة الزهر دان الغصن فينان
أملنا نحوك الرسنا
وداعاً أيها المرعى وتلك الامرج الخضر
فراقك عند من يرعى عهودك — مثلنا — مر
أجل . فالصيف قد ظعنا

*
* *

(٣) الصياد والبحيرة

كأنك تستهويني بابتسامة إلى حيث أهوى للقرار وارسب
لقد رقد الصياد فى رونق الضحى على شاطىء حيث الاواذى تصخب
فهاجته انغام كأن رنينها من الملأ الأعلى تندى وتعذب
فنام طروبا ثم راح لنفسه يرى جسمه فى لجة الماء يغرب
واسمعه من جانب اليم صارخ يهيب به لا كنت ان كنت تذهب
ألا إن غرا قد غوى واستنمته لأودى به غر وان كان يعطب

عبد الحكيم عبد الله الجهنى



المدرسة المثاليه

اتضح لكل مفكر ، وقد شعرت بذلك وزارة المعارف أخيراً فقط ،أن براج التعليم المصرية ليست بالمستوفاة فهى لاتعد النشء لنضال الحياة بل تخرجهم غير صالحين إلا للاعمال الغير رئيسية أى الكتابية بكلمة مختصرة . كانت سياسة وزارة المعارف ولا تزال متجهة الى تخريج كتبه للمصالح الحكومية والافما المعنى من :

(١) اهتمامها بزيادة ساعات تدريس الرياضيات النظرية التى لاينتظر الطالب استعمالها فى الحياة العملية. وماعليك الا ملاحظة اهتمام البراج الحكومية بالرياضيات فى مدارسها المختلفة فان فرش الارض بالابسطة وضرب الحيطان بالبوية وانسياب الحنفيات لهما بالوعات غير موصدة هي المسائل التى تشغل بال المعلمين وتلامذتهم فى عهدى الدراسة الابتدائية والثانوية .أضف الى ذلك مساحة الاشكال المخروطية واستطالة أو انكماس الاظلال واطلاق القنابل ومسح البحيرات التى لا يمكن الانتقال من أحد شاطئيها الى الشاطىء الآخر على قارب

(٢) خلقها لموضوع اسمه القسم الجغرافى فى قسم الآداب بالمعلمين ولست أفهم مافائدة وقوف التلميذ على أسماء رؤوس وبواغيز ومقاطعات مختلف البلدان لاجل تلقينها بالحرف الواحد الى التلاميذ الذين يستظهرونها بسآمه لأجل الحصول على الشهادة

(٣) وأين هى طرق الاستنباط التى تساعد الطلبة على المشاهدة للاختراع فى دروس العلوم الطبيعية فهل هناك تلميذ حتى من متخرجى قسم العلوم بمدرسة المعلمين العليا يشعر من نفسه القدرة على تركيب آلة تليفون أوجرس كهربائى ؟ أن كل مايفهمه التلاميذ هو حفظ قانون ويبر وقانون ارخميدس عن ظهر قلب. أما العمل فليست له غير ساعات قليلة لاتتسع للوقوف على الوجهة العلمية ولو لبعض النظريات التى تحشد فى رأسه

(٤) واذا التفتنا للغات نجد التلامذة مكبون على الحريرى والشنفرى واللاميات أو السينيات فاذا ماطلبت منه الكتابة فى موضوع وجدته ينتج كلاماً مرصوصا ليس فيه أثر للمعلومات حتى ولا السطحية منها .والذى ينهى أحد الاقسام فى اللغات الأجنبية تراه يجيد تلك اللغة كما لو كانت ماتية لاتستعمل .فهو يعرف شيئا عن شعر لونجفيلو وشكسبير

ويبرون ولكنه عاجز عن الاعراب عما يجول بدماغه بتلك اللغة والفضل فى ذلك لعدم المران ولتوجيه التفات الطلبة الى حفظ قطعة لغوية كتبت من مئات من السنين فكأنهم تلامذة آثار لغوية - الذى نفهمه من اللغة أنها واسطة للتعبير عن رأى وأما نحن فلا نزال المتمسكين بمفهومها القديم من أنها كلام متين ونسق صعب. ألم يحن الوقت بعد لازالة النحو والصرف والبديع والبيان تلك الرطنات المملة التى يمجها الذوق العصرى مع توجيه التفات الطلبة الى قراءة نظريات العلوم الحديثة الطبيعى منها والاجتماعى

(٤) حاول ان تجد شيئا فيما يلقنونه لمدارس المعلمين والحقوق والآداب مما يثقف فانك ترجع بصرك وهو كليل فهناك يخصصون ساعات لا تذكر لعلم التربية النظرى. أما المنطق فموضوع وضع لهم لاجل التسلية وكذلك قل عن الاقتصاد واما علم الاجتماع فيحتاج الى نظارة مكبرة ليتمكن الباحث من العثور على أثر له ويعلمون شيئا اسمه علم النفس تأنفه النفس لانه مجموعة مغلطات لغوية المقصود منها التقصير فى الكلام وليس التفهيم

(٥) يقال فى مصر مدرسة للهندسة ولكن مهندسونا يهيمون فى واد بينا يهيم مهندسو الغرب فى وادى البحث. يحقق مشروع تعلية الخزان أو انشاء سد قرب جبل الاولياء فماذا تعمل هذه النكبة المسماة مدرسة. أما مشرعونا فهم يذكرون معاهد فرنسا بالثناء اذ لو لاها لما كان لهم رأى يصح الاعتماد عليه ويحقق. تلامذة المدارس الصناعية حتى فى اصلاح ماكينة وابور الطبخ من ماركه بريموس ويكتفى خريجو الزراعة بالتفريق بين دودة اللوز ودودة القطن القرنفلية. وأما التجارب والابحاث فمواضيع تدخل ضمن علم ماوراء الطبيعة ويجدر بنا هنا الاشادة بذكر مدرسة الطب فهى وحدها التى يصح ان تحمل لقب «مدرسة» المقدس ولكن تاريخها كان دائما بعيدا عن رياح السياسة

ان دكاكين العطارين لم تتشرف بعد بادارة أحد خريجى التجارة وكذلك دكاكين السمكرية تتمنى التشرف بمشاهدة طلعة احد متخرجى المدراس الصناعيه

وينفطر قلب المزارع ولهاً لشروق طلعة احد خريجى المدارس الزراعية وامام المحاكم فتتشرف ادائما بمثول سماسرة الجهلة من الشعب امامهم لتجويز اخذ الاتعاب. فهل من الضرورى ان يكون مقدم الفعلة العاملين فى اصلاح طريق زراعية من حاملى

دبلوم مدرسة الصنايع وان يكون كتبة الاعداد من خريجى المدارس التجارية وان يكون المشرف على تنقية الدود واللطع وبرشمة الاجولة المملوءة قطنا من خريجى مدرسة الزراعة

هنالكشيء اسمهفراز يفرقمابين القطن الاشمونىوالنوبارىوالبليونو السكريدس ولكن اغلبهم ان لم يكن كلهم من الاجانب الذين الغوا عن اكتافهم مهنته التقييد فى الدفاتر ودرسوا هذا الموضوع الذى يحله حضرات المهندسين الاختصاصيين فى فن الزراعة وهناك معلمو بنائين أو بعض المتربين من أولاد الذوات اهتموا بمسألة العمارة. وحتى توصيل البيوت بالمجارى العمومية قد أصبحت مهنة جماعة من العصاميين بينا حضرات مهندسى المبانى والطرق والرى منزوون بين جدران المكاتب قانعين بالمرتب المضمون والذى يجمع القطن ويعقد عليه سلفيات هم أصحاب الخانات من اليونانيين الذى ينزلون الى مصر وهم أنظف منى جيباً يبدأون حياة تشتهى رؤية ورق البنكنوت وينتهون من حياة طالما عبثت برزم منه

واسمع ، وهذا كثير ، ان كتبة المحامين هم الذين يحضرون القضايا التى يجبر القانون أحد الليسانسيهات بقراءتها أمام هيئة المحكمة ولو لم يوجد هذا القانون لوجدنا هؤلاء الكتاب الثمن متعلمين اصحاب الحول والطول فى أهم القضايا

إن تربيتنا أيها القارىء تربية عقيمة بل أقصد أن اقول إنها غاية فى العقم فالمنزل وحدة الامة فى غاية من الاضطراب وبناتنا المحروسات يحفظن بتهوفن والشارلستون وبلزاك وأما الطبخ والكى فامور لاتتدانى المدارس لتعليمها للبنات

لم لايتعلم التلامذة تعليماعمليامنتظماوتترك لكل منهم فرصةتنتهز لاتباع العلم أو الفن الذى يميل اليه بطبيعته حتى نجد سمكريا وطنيا يصلح لنا الحنفيات بدقة بدلا من أن تاكف السمكرى البلدي اذا جهلنا طريق السمكرى الخواجة وحتى نعطى الفائدة الباهظة لحضرة المحترم فلان افندى دبلوم فى التجارة والعلوم الاقتصادية بدلا من الاجانب ولم لا نعد افرادا لاحياء اراضى البرارى الموات ولم لا يرحل عن قلب هذه البلد بعض أولئك التنابلة ليبحثوا عن طعامهم فيما وراء البحار بل لماذا يحرر جرائدنا ومجلاتنا بعض الذين يفكون الخط

ولا يحشد فى ادارات التحرير كتاب اقتصاديين واجتماعيين وسياسيين كما يوجد فى ادارات التحرير فى الغرب

أليست الوظائف الحكومية حجر عثرة أمام تقدم هذا البلد فهى شرهة تريد ابتلاع كافة الطبقات المتعلمة — أوالتى تدعى متعلمة — وأليست مستبدة حتى تسخر المدارس «لفبركة» تابلة للحلول بين جدرانها وعلى كراسيها

لما لاتكون مدرسة البنات مستكفية أى تقوم تلميذاتها بعملية الطبخ والغسل والمسح والكى والرتق فيها بل لماذا لا يضاف الى كل مدرسة للبنات ملجأ لصغار المتشردين لتتعلم فيه الطالبات بطريقة عملية كيفية التربية والحياكة والتمريض الخ ، ماهو مطلوب من السيدة الحقة أن تعرفه

الا ابنوا الجامعة هناك بعيداً فى القفر ومرنوا التلامذة أن يقوموا بأنفسهم بكل عملياتها وليكن منهم الترزى والنجار والحداد الخ ان هذه هى الجامعة النموذجية الكثيرة العمل والقليلة اللفظ

هل هناك رجل أوامرأة شجاع أوشجاعة تقوم أويقوم بأنشاء مدرسة نموذجية مستكفية لصغار الاولاد والبنات ؟

حسين محمود

شعر التصوير

المتأمّلة

THE MEDITATOR

عَزَفَت عن المِزْمَار واستغنت بما | لاقَتْ مِنَ الأنغام مِلْءَ تأمُّلِ
في عُزْلَةٍ بِحِمَى (الطبيعة) مثلما | تَحْمِي خشُوعَ الرَّاهِبِ المُتَبَتِّلِ
وَأَبَتْ سوى النورِ الثمينِ دِثَارَها | والنورُ منها يستعِزُّ ويجتلي
والسَّرْوُ تُنْميهِ حرارةُ قُرْبِهَا | مِثْلَ الحشائش في العزيزِ من الحُلي
ويُكلِّل الرَّأسَ النَّبَاتُ بنضرةٍ | منها كأنَّ النَّبْتَ شِبْهُ مُكَلَّلِ
وتَرَى الصخُورَ تكادُ تنبُتُ تحتَها | والجزْعَ إذْ لمَسَتْهُ كالمتهلّلِ
وتَرَى البعيدَ من التِّلالِ قريبةً | في الحِسِّ تَرْمُقُ حُسْنَها في مَأْمَلِ
والماءَ مُنْدَفِقاً هنالكَ صاخباً | حتّى تُرَى فيُرَى بحلو تَسَلْسُلِ
وتظلُّ بينَ تأمُّل وتأمُّلٍ .... | فيمَ التأمُّلُ وهيَ أعذبُ مَنْهَلِ ؟!

ابو شادي

ملك الحور

عن جوته

(١) من هذا الذى يسرى فوق حصانه فى جوف الليل مستهزئا بالريح !

(٢) هذا أب مع طفله يحمله بين ذراعيه . ويحنو عليه بقوة ليجدد له الدفء !

(٣) بنى ! لم هذا الخوف ولم تخف وجهك تحت أبطى

(٤) أبت ! . ألست ترى ملك الحور ! . . .
ملك الحور بتاجه وشعره الطويل ! . . .

(٥) هذا الضباب يابنى يولد الخيالات فى رأسك .... تعال أيها الطفل العزيز
تعال معى ! سنلعب سويا لعبا سارا مبهجا !!

(٦) حيث كثير من باقات الأزهار تشرق عند الشاطىء ! . هناك حيث أمى لها
كثير من الفساتين المذهبة !! . . .

(٧) أبت ! أبت ! .... ألست تسمع أيضا كيف يمنينى ملك الحور بوعود حلوة !!.

(٨) فلتهدأ يابنى ! . ولتبق مطمئنا . فلا شىء سوى الريح التى تعصف بين الاوراق
الذابلة ! . . أيها الطفل الرشيق ! . . ألا تود أن تتبعنى بناتى سيكن كبيرات
العناية بك وسيرقصن لك فى سواد الليل . سيلاطفونك وسيرقدونك فى ضجة
رقصهن وغنائهن

(٩) أبت ! . . . أبت !! . .
ألست ترى هناك بعيدا فتيات ملك الحور فى هذا المكان المظلم ! . . .

(١٠) نعم يابنى ! . إنى أراهن جيدا ! فلسن إلا شجر الصفصاف النخز التى تظهر
سوداء حزينة ! . .
أحبك أيها الطفل ! . جمالك أفقدنى صوابى . و إن لم ترغب فى المجىء معى
فسأستعمل قوتى !! . .

(١١) آه ! . . أبت أبت !! . . هاهوذا ملك الحور ينتزعنى آه ملك الحور أصابنى !!

(١٢) صعق الأب وأركض حصانه وضم الى قلبه الطفل الذى كان يذبل و يصفر
بين يديه ! فوصل الى المنزل بعد جهد . و لكن الطفل كان قد مات بين ذراعيه ! ، ؟

عبد الحميد على الشرقاوى

الشعر القصصى

ومقطوعات أخرى

للاستاذ المجدد عبداللطيف النشار

العم حنا

أظلم الليـــل والطريق طويل فاراد المبيت فى الدير « حنا »
ومشى نحوه يفكر فيمن جعلوا الدير دار شغل وسكنى
لا رحيل ولا كفاح ولكن وجدوا راحة هنـاك وأمنا
شغلهم كله صـــلاة وذكر طاب شغلا هذا وأكسب حسنى
وينالون فى الحياة وعند الله بعد الممات رزقا أسنى
قال حنا: « سأدخل الدير » هذا مسلك فيه أطلب الكسب مثنى
طلب الرزق فى الحياة جهاد والمعنى به يظـــل معنى
العداوات والضغائن والأحـــ... قاد فى مسلك المكاسب تبنى
لأريحن مهجتى من كفاح فى ســبيل الحياة أبلى وأضنى
وعلاج اللذات عذب ولكن ربما كان تركها لى أهنى
وجميع اللذات تعقب آلا ما جساما يكدن يرجحن وزنا
لأعيشن راهـــبا فبحسبى من تجاريبهن أن ذبت وهنا
ها هو الدير. فابتغى العم حنا فـــيه اذناً ونال فى الحال اذنا
وتلقاه بالتحية رهبان أجادوا تحية الضيف فنـــا
فوجوه تكاد تقطر بشرا وثغور تـــدلى بأفصح معنى
حادثوه ليدفعوا وحشة الضيـ ف فأمسى اليهمو مطمئنا
قدموا الزاد من فطير وتمر وسقوه من جيد الخمر دنا
ليس فى الدير مطلب البطن من لحم وشحم ولن ترى فيه دهنا
غير أن الفطير والتمر أشهى بنبيذ فيه تقـــادم سنا

وعزاء عن كل ماحـــرم الر هب من لذة تشار وتجنى
سـألوه من أين جاء وماذا كان يبغى وألف ماذا وأينـا
وأجاب الضيف الكريم وقد أطلا قت الخمر لفظـــه وارجحنـا
قال حنا . « قد ضاق الرزق فاخترت رحيـــلا الى مـكان أغنى
وتوجهت نحو عاصـــمة الاقليم أبغى بهـا الذى أتمنى
من ثراء ولذة وحبور كل هـــذا لدا العواصم يجنى
غير أنى لمـا اقتربت من الدير رأيت المقـــام فى الدير أهنى
ماحيـاة اللذات الا عنـاء شر ما فى الحـــياة ما تتمنى »

***

ثم مال الحـــديث نحو الملاهى والملذات . وانتشى العم حنـا
وغداً يذكر الصبـا ولقـــد كان بعهد الصبـا كما قد كنـا
ان ذكر الصبا ولو كان من فم النادم يغرى ويرهف السمع منـا
انصت السامعون فى الدير انصات شغوف وشجعوا العم «حنـا»
وصف الغانيات فى موقف الرقص وفى غـير ذاك اسمى وأدنى
والسويعـات ينقضين سراراً فى فتون تثير قلبـا وذهنـا

***

قال رأس الرهبـــان وهـو مسن كل هـذا الفساد بالقرب منـا !
كيف لانصلح المفاسد بالوعـــظ ؟ أليس القبوع فى الدير جبنـا !
فى غـــد يابـــنى تذهب للوعظ فان تابت البرية عـدنا »
هـو شيـخ فوق الثمـانين أضحت كل أعضائه من الضعف زمنى
ان لفظاً يقـال للطفـل والكهل مشـــير معنى لهـــذا ومعنى
خرجوا مثـــله من الدير لـكن ليقضوا حاجاتهم من ليـنى !

صلاة الشاعر

صلاتى لربى نظم شعرى فانتى بذلك أجلو ما حبا من مواهب
بآيتـــه فى صنع نفسى دعوته أكشف عن آى له وعجـائب

وما تكشف الأسرار الا لشاعر   شغوف بأسدار لها وعواقب
ألا يامنى نفسى لأية غاية   اطيل الى المجهول لحظ مراقب
فاما بدا لى منه ومض تبعته   لادرك منه جانباً بعد جانب
كانى باظهار الخفى موكل   فما تطبينى واضحات المطالب
ولو خلت الدنيا من الشعر مابدت   قلامة ظفر من جميل وصائب
فنحن عيون للورى ومسامع   ونحن ضياء كاشف للغياهب
فياخالقى شعرى صلاة فان اكن   عصيت فهب لى منك توبة تائب
يكفر عن آثامنا فى طلابنا   مجاهل ما أبدعت فوت الرغائب
تبسط معروف النعيم فعفته   لأطلب ما بعد المنى من مراتب
فان كان فى التأميل حظ فاز   نى سعيد وإلا كنت أخيب خائب
لحظى فى التأميل حتى إذا بدت   سهولته أسقطته من مطالبى
خلائقك اللهم أبناء شاعر   ولولاه عاش العالمون بلا أب
فما أدركوا إلا مناه ولا وعوا   بغير حجاه مأرباً فى المآرب
فيارب كافئنى بامتاع خاطرى   بما لقبوه بالأمانى الكواذب
فتلك التى تدرى وأدرى جوابها   وتدرى وأدرى الجد فى لعب لاعب
هو الكذب الخالى من الجد شغلهم   بواقع امر ذاهب غير آيب
سأعلم قومى كنه ما يجهلونه   يبث الامانى فى القلوب النواصب
سعادة قومى فى رضاء قلوبهم   وليست بانعاش الجسوم النواصب
وخير دليل للجماعات شاعر   وإن شغلوا عنه بترقيم حاسب
وان كان ذخر الناس بين قلوبهم   فقد أمنوا من بأس أغلب غالب
وان كان أسمى ذخرهم فى جيوبهم   فقد عرضوه للأكف الغواصب
وما تعمر الابدان الا بروحها   ولسن بغير الروح غير خرائب
ويا روح هذا الكون كل جماعة   تقدر قدر الروح شاعرها نبى
لك الحمدة والتبجيل ما دام شاعر   يراك بطرف فى الدياجير ثاقب
صلاتى فى الشعر الذى انا قائل   فيارب هل أديت فى الشعر واجبى

ديواني

كم هجت من حزن وأشجان لما أشرت بطبع ديواني
فعصير نفسي ما اضمنه شعري فشعري خمر بستاني
فيه خيالي فيه وجداني فيه ضميري فيه ايماني
فيه مسراتي وأحزاني فيه ملذاتي واشجاني
بل فيه ما آثرته أبداً عهد المحبة والصبا الفاني
ياناشرين وجلكم همج من ذا يقوم بطبع ديواني

الانسان والكون

نظري للحياة أفضى الى على بان الانسان جزء لكل
لم يكن قط كائنا مستقلا هو جزء من كائن مستقل
كبرت هذه الحياة وجلت عن فناء وعن خروج وفصل
فبوجدانها نحس ولا نعقل الا بما بها من عقل
كالأهيب موقد ماترا ه من جسوم والروح روح الكل
انا بعدى أعيش عمراً طويلا أنا من عشت في زمان قبلي
انا أعني نفسي بروحي وجسمي لاتخلني عنيت حيا مثلي
كالألاهيب تختفي وتراها بعد هذا الف شكل وشكل

شعر بلا غزل

عجبت ياصاح من عجيب ديوان شعر بلا نسيب!
لكنه هكذا نصيبي اذ محب بلا حبيب
اراك ياصاح لم تصدق قولي وما كنت بالكذوب
ياصاحبي لا تكن عجولا فبعد موتي ترى نسيبي!

التأثير الاقتصادى

للحرب العالمية العظمى

على دول أوروبا الناشئة

—١—

المقصود من دول أوروبا الناشئة التشيك سلوفاك واليونان وبولونيا وتركيا وايطاليا ورومانيا

تالت المحن الاقتصادية ابان الحرب وبعدها على هذه الدول ولكنها لم تلبث كثيرا حتى بدأت تقف على أرجلها . وليس من معنى هذا انها لم تعد تواجه الكفاح الاقتصادى أو لم تعد رازحة تحت عوامل الاضطرابات الداخلية من جهة، ومناصبة الدول الكبرى لها عداء اقتصاديا من جهة أخرى وقد كلف النير الاجنبي بعضها ثمنا باهظا قبل وقوع الحرب وقامت الدولة السائدة بعمليات تخريب فظيعة فى ربوع المنطقة التى صارت فيما بعد دولة . لذلك كان همها نفض غبار ذلك التاريخ القديم المحزن عنها . فبولونيا مثلا قضت مدة غير قصيرة بعد الحرب تصلح ما أتلف من أراضيها عمدا وكانت بعد الحرب أشد تعاسة مما كانت قبل اعلانها

أضف الى ماسبق الارزاء التى صادفت اليونان وتركيا من جراء تحريض الدول بعضهما على بعض فدارت بينهما رحى الحرب سجالا لعدة سنين كلفتهما كثيرا ونتج عنها مشكلة تبادل السكان

أما المشاكل الاجتماعية التى واجهتها أغلب هذه الدول ان لم تكن كلها فحدث عنها ولا حرج . ففى تركيا واجهت السلطات المحلية تعسفا من رجال الدين ضد كل جهد اتخذ وسيلة لاصلاح الحالة المريعة التى ورثتها الحكومة الحالية عن الحكومات السابقة وخصوصا الاستبدادية منها . وأما ايطاليا فقد حلت فيها الفوضى وعم الاضطراب أفرع الاعمال المختلفة لدرجة كادت تقع معها فى قبضة البلشفية ان لم تنشط الفاشستية لاقرار الحال ، وازدادت الديون زيادة لا تطاق وسقطت قيمة العملة فكان امام كل

دولة من هذه الدول عملا منهكا للاقلال من الديون ولاقرار العملة فسوت ايطاليا ديونها تسوية لابأس بها بمساعدة الولايات المتحدة وبالفعل أخذت تسدد ولكنها لم تتمكن من القيام بالتسديد من دخلها فعقدت ثلاثة قروض واحد منها اكتتب فيه محليا وقدره ٣ مليار ليره (فرنك) أصدرت به (لوتريه) وأما القرضين الآخرين فمقدارهما ٩٠ و ١٦٥ أى ٢٥٥ مليون دولار (= ٥١ مليون جنيه) أماسياسة الحكومة لاصلاح العملة الايطالية فاقتصر على طرد العملة الرخيصة من السوق واحلال العملة الجيدة محلها وكانت ترمى من وراء ذلك الى تخفيض الاسعار والانقاص من الضرائب وعملت على تسهيل المواصلات بانقاص مصاريف النقل ولم يفتها ان تضرب على أيدى المضاربين بالعملة ، ولكن محاولتها هذه انتجت عكس ما كانت ترجوه اذأخذ المضاربون يشترون على الصعود بدلا من ان يبيعوا على النزول ، الامر الذى أحدث تحسنا غير طبيعي أدهش الماليين أنفسهم واغتبط له الدائنون ، فى حين ان المصانع أصبحت فى حيرة لاتعرف كيف تصرف منتوجاتها وظلت ردحا من الزمن يتقاذفها عاملان (١) امساك المخزون لديها الى ان يهبط سعر الليرة أو (٢) تصريفه لأجل الاحتفاظ بالاسواق الخارجية . فألقت الحكومة فى السوق ما كان مخزونا لديها من الذهب مع ما اقترضته . فنتج لها من ذلك ربح وافر فى نفس الوقت الذى ضربت فيه على أيدى سيئي النية من المضاربين وبهذا أمكنها ايقاف تدهور الليرة . ولان هذا العمل ليس من اختصاص الحكومات انسحبت من السوق مكتفية . بما فعلته . ثم انها فكرت فى تقرير سعر الليرة وقررت بالفعل سعرا هو ٤٦ر٩٢ للجنيه الانكليزي و ١٨ للدولار وسحبت مليارين من الليرات فاصبح فى ايطاليا لاأكثر من ١٨ مليار ليره وكسور للتداول

ولكن تثبيتها لليرة لم يؤثر على تخفيض رقم المعيشة الذى لايزال يتراوح بين ٥٤٥ و ٦٨٥ ٪ عما كان عليه قبل الحرب فارتأت تخفيض الأجور والايجارات بنسبة ١٠ و ٢٠ ٪ فنتج عن ذلك زيادة العاطلين لضعف حركة الانتاج الناتج من كساد السوق ولكنها لم ترجع بعد ، بل لاتزال تفكر فى الانقاص

وقيدت المهاجرة الى ايطاليا لمنع التزاحم لجاوب الصناع على ذلك بالاقلال من

ساعات العمل، وبذلك استسلم الكثيرون من العمال للبطالة وهبطت كمية المصنوع الى النصف ، والمصانع لهاعن ذلك عذر .فالسوق كاسدة فى الوقت الذى أخذ فيه أسعار سنداتها تهبط تتابعاً فازدادت التفاليس والتوقف فامتنع التجارمن المخاطرة وعملوا بحذر زائد واختار بعضهم التوقف عن العمل تماما ويقدرون ان متوسط التفاليس الشهرية تبلغ ١٨٥ تفليسة وقدنتج ذلك عن ارتفاع سعر الليرة ارتفاعا فجائيا فسارع المديونون الى تسديد ما عليهم

وعلاوة على ماسبق قل الادخار وازداد السحب ولم يكتف الآهلون بذلك بل أمسكوا أيديهم عن تداول الاوراق المالية بما فيها الحكومة فهبط سعرها

وأما تركيا فلا تزال موجهة التفاتها الى التطور الاجتماعى وقطع صلة الحاضر بالماضى . وأما التفاتها للاقتصاديات فاقتصر على التشجيع الجزئى وسياسة الحكومة الاقتصادية تنحصر فى الضغط على الاستهلاك الداخلى بالضرائب وتداخلت فى السوق تداخلا مستمرا وأعظم العقبات التى تواجهها الحكومة تنحصر فى حاجة البلاد الى السكان لأن الكيلو متر المربع يحوى لا أكثر من ٧ — ١٠ أنفس . وبالرغم من ان العجز فى الميزان التجارى أخذ فى التناقص السريع ،فان نشاط حركة الانتاج لا تزال غير كاملة

أما أنواع الضرائب التى تضربها فمختلفة فمن ضرائب ارضيه الى عقارية الى جمركية الى ضرائب دخل وضرائب استهلاك وضرائب معاملات وميراث وضرائب سوائم واحتكرت الحكومة الدخان والملح والسكر والبترول والبنزين وهى تجبى هذه الضرائب اما مباشرة او بواسطة ورق التمغة ولم تترك الا المواد الغذائية دون ضريبة

وحدث ان حاولت الحكومة السيطرة على التجارة ولكنها اخفقت فالتزمت ان تغير سياستها هذه .واما العملة فمتدهورة وعبثا تحاول الحكومة تثبيتها وتتراوح قيمة الجنيه الانجليزى ما بين ٩٢٠ و ٩٩٠ غرشا وكان قبل الحرب يساوى ٩٠ قرشا ويعود السبب فى ذلك لدرجة كبيرة الى تسرب الذهب من البلاد. وتبلغ قيمة الاوراق المتداولة ١٦٢ مليون ليرة وكانت حوالى ٤٠ مليون ليرة ذهباً قبل الحرب

ولم تتفق تركيا مع دائنيها الخارجيين بعد. واما سندات القروض الداخلية فكانت قد هبطت هبوطا شنيعا ولكنها اخذت فى الارتفاع فقد اتى وقت وصل فيه سعر الجنيه من العملة الورق فى السندات الى ١١ قرشا فاصبح يساوى ١٢ و ٦٩ قرشا من العملة الورق

وليس فى تركيا حركة عمال . و ينحصر التذمر فى طلب المساواة بالعامل الاجنبي و لم تثمر أى من المحاولات للاضراب التى نظمت

اما فى بولونيا فكادت الاحوال ترجع الى مجاريها وتمكنت الحكومة من اصلاح ٨٠٪ مما خربته الحرب واخذت صناعتها فى التقدم

اما فى اليونان فقد تضخم النقد نتيجة لتتابع القروض المعقودة خارجا ومحليا وكذلك اثر تدفق المهاجرين تأثيرا حسنا اذ ادخلت فى البلاد بضع صناعات جديدة . واما رؤوس الاموال الاجنبية فقد تدفقت اليها واما الضرائب فآخذة فى التزايد الفادح ويدعى الرأى العام بان الحكومة تنفق اموالها فى اوجه غير مثمرة ويشكو من عدم عدالة توزيع ما يجبى منها وقد نشأت اضطرابات خصوصا فى الاوساط الزراعية لعدم تنظيم التوزيع وبلغ متوسط ما يدفعه الفرد ٨١ درخمه ذهبا وانتهز الشيوعيون الفرصة فنتج عن تدخلهم حرق العمال لبضع مصانع ولاجل ان تتلافى الحكومة تتابع الاضطرابات خفضت بعض الضرائب وخصوصا الزراعية منها ولكنها استبدلتها بضرائب على الواردات الامر الذى رفع رقم الجباية ٦٧٠ مليون دراخمه على ما كان قبل التخفيض. وليس من معنى هذا الا رفع العبء عن كاهل المزارع لا إلغائه مع إلقاء عبء اكبر على كاهل المستهلك. وقد بلغت زيادة الضريبة الموضوعة على الحبوب الواردة ٤٠٠ مليون درخمه . وقد عجز ساسة اليونان عن الوقوف على حل للازمة وذلك خوفا من انهيار اقتصاديات البلد . اما أسعار المعيشة فقد ارتفعت حتى ١٩٢٦ — ٢٠١٢ ٪ عن اسعار قبل الحرب وازدادت الديون الخارجية من ٥ و ٤٦ مليون جنيه قبل الحرب الى ٩٢ مليوناً وتستنفد دفعاتها ٢٦ فى المائة من الايرادات

أما الدين الداخلى فقد بلغ ٤ مليار درخمة وجمعت أغلبه بقطع اوراقها النقدية جزئين احتفظت باحدهما كقرض اجبارى

أما تشيكوسلوفاكيا ففى حالة يسر نسبى فقد نشطت صناعتها ووجدت لها سوقا محلية تستنفد اغلب ما تنتجه ولم تعدم اسواقا اجنبية لتصريف حاصلاتها . وارتفعت اسعار المعيشة الى ٩٠٠ فى المائة عما كان قبل الحرب، ولكن هذا قياساً على الورق النقدى الامر الذى لا يؤثر فيها لان تجارتها تسير على الذهب فرقم الاسعار لم يزد عن ١٤٠ فى المائة

ومع انها بلد صناعية فان رقم العاطلين فيها لايزيد عن ٥٠٠٠٠ عامل واو راقها المالية آخذة فى الارتفاع ولو اتخذنا الاوراق الحكومية قياسا لمابعدنا عن الصواب فقد ارتفعت ١٢ فى المائة عما كانت عليه بعد انتهاء الحرب

كانت الخطوط الحديدية غير موحدة تملك الشركات اياها. وكانت غير موزعة جيدا على انحاء المملكة فقامت الحكومة بعملية الاصلاح وبدأت تزوج خطوطها الرئيسية وقد ساعد على ذلك صناعة القضبان والقاطرات محليا وهى تفكر فى كهربة جميع الخطوط

والحكومة جادة فى انقاص ديونها فلم يبق عليها من الديون المحلية الا حوالى ٥ مليون درخمه واما الديون الخارجية فلا تزيد عن ٢٠ مليون جنيه وتفكر الحكومة فى الوقت الحاضر باستبدالها بقرض داخلى

لنتكلم الآن عن الحالة الزراعية فاليونان قطر زراعى ولكن أغلب أرضه مخصصة لزراعة الحبوب. وأما غلة الأرض فضعيفة بالنسبة الى البلاد المتاخمة كنتيجة لسوء طبيعة الارض فمنذ توارد اليها وفود المهاجرين لم يجدوا أمامهم إلا الجبال فبذلوا ما فى وسعهم لزرع ما بين صخورها من الفجوات والحكومة جادة فى تشجيع صناعة الآلات الزراعية محليا. وتربية المواشى مهملة. وليس فى الامكان الاستفادة من الصوف الناتج لسوء نوعه وأهم محاصيل اليونان الزراعية الزبيب وذلك لان الارض الجبلية صالحة لزراعة العنب وأما الدخان اليونانى فمن أحسن الانواع فى العالم وأما زيت الزيتون فتنتج منه حوالى ٩٠ الف طن كل سنة ومحصول الخضروات لا يكفى الاستهلاك المحلى و واردات مصر تسد الباقى . وتنتج اليونان أيضا أنواعا من الفواكه ولكنها غير معنية بتصديرها كما هى مشهورة بتصدير عسل النحل الذى ترسل منه الى الخارج سنويا حوالى ٥ مليون كيلوجرام. و ملخص القول أن الحالة الزراعية لم تتحسن بل ازدادت المساحة لتوافد المهاجرين، ولكن الزيادة كانت من أراض غير صالحة .

أما فى تشيكوسلوفاكيا فالمساحة المزروعة آخذة فى الازدياد ومحصول الفدان آخذ فى الزياد ولا تحتاج الا الى توريد كمية كبيرة من الذرة و محصول الدخان يستهلك بها محليا وهو فى ازدياد فقل الوارد الأجنبى وتنتج من سكر البنجر ثمن محصول العالم أو أكثر وقد بدأت تنشىء مصانع السكر فيها

أما بولونيا فتهتم بتربية الماشية وعددها آخذ فى الازدياد وهى تصدر كميات كبيرة من البيض كل سنة وكذلك مقداراً غير قليل من الزبدة . وأغلب الاملاك فيها صغيرة وصغار الملاك هم أصحاب ٦٠ فى المائه من الارض و ٨٥ فى المائه من المواشى كذلك تصدر كميات عظيمة من الاخشاب وهى تبيع مايزيد على حاجتها من السكر للخارج . وأما التجارة الداخلية فى السكر فالحكومة محتكرة بها

أما فى تركيا فالمحاصيل الزراعية فيها تبلغ أربعة أخماس قيمة انتاج المملكة وهى تستهلك ثلثى المحصول محليا وتصدر الثلث الباقى وقد نكبت الحرب تركيا نكبة عظيمة فافقرتها إلى اليد العاملة وبدأت تزرع القطن وتستهلك جزءاً منه داخليا وأما زيت الزيتون فمقدار الصادر منه آخذ فى الازدياد والعنب اليونانى يضارب العنب التركى مضاربة عظيمة فى الاسواق الخارجية . وأما التبغ فنوعه جيد ويصدر منه ماقيمته ٥ مليون جنيه كما وأنها تصدر من الفاكهة ماقيمته ٤ مليون جنيه وكان للخشب التركى سوق رائجة فى الخارج لكن الحرب قد قضت عليها . كما أن عدم الاهتمام بالغابات كان سبباً فى أفلات السوق الخارجية من يدها من جهة أخرى والمواشى كثيرة فيها ولكن الصوف الناتج يستهلك كله تقريبا داخليا

أما الحاصلات الايطالية فآخذة فى النقصان برغم الجهود التى تبذلها الحكومة فالقمح يورد اليها بكميات هائلة من الخارج ومحصولها يتدهور بسرعة وقد بذلت الحكومة جهدا عظيما لايقاف هذا التقهقر بارسال وفود الاختصاصيين لتعليم المزارعين وبتشجيع حركة الجمعيات التعاونية وهى تساعد الفلاح بكل الوسائل الممكنة وغلة الهكتار من الارض آخذة فى النقصان خصوصا فى المساحات الكبيرة والحكومة مثابرة على إثارة الشعور الوطنى لملافاة الحالة ولكن هل يمكنها أن تقاوم طبيعة الارض السيئة . وتزرع إيطاليا كميات قليلة من القطن فى حين أن ماتستورده آخذ فى الازدياد المتواصل

وأما رومانيا فمساحتها الزراعية أخذت فى الزيادة بعد الحرب فأصبحت حالتها ميسورة ويصح أن يقال إنها قطر زراعي ولها أراض كثيرة قابلة للزراعة فى المستقبل وهى تزرع كميات عظيمة من القمح وغيره من الحبوب ولكن طرق الزراعة فيها بدائية ، الامر الذى تسبب عنه ضعف الغلة وهى تصدر مقادير كبيرة من القمح الجيد وكانت رومانيا

قبل الحرب مهتمة بتربية المواشي، ولكنها تستثمر أرض المراعى فى الزراعة الآن .

***

واذا التفتنا الى الصناعة نجد أن تركيا لم تنشط من خمولها الصناعى الذى ألفته قبل الحرب ، اللهم الا فى صناعتى السكر والصوف فقد أدخلت فى مصانعها الآلات الحديثة. أما بقية الافرع فتصنع يدويا مع أن الوقود متوفر فيها ولكن لم تحاول الاستفادة من كنوزه وذلك لحاجتها الى المال والكفايات وهى تقوم ببعض الغزل والنسيج وبالفعل تصدر قليلا من مصنوعاتها وتستورد بدلا عنه أنواعا رخيصة ولكن ليس بكميات وافرة لان اعتماد التركى هو على الصوف الذى يحيكه بيديه وناتج السكر لا يكفى المقطوعية المحلية، وكانت تركيا مشهورة بصناعة السجاد وراجت الاشاعات بعد الحرب التركية اليونانية وتبادل السكان أن تركيا قد فقدت مركزها العالمى فى هذه الصناعة ولكن الثابت أنها فى تقدم ولو أن نوع السجاد المصدر يميل الى الانحطاط

وبدأت الصناعة الايطالية تستعيد مكانتها السابقة بالرغم من المزاحمة الاجنبية وارتفاع سعر الليرة المفتعل مع شدة الغلاء الداخلى انقلبت صناعة الاحذية الى آلية بعد الحرب. ولكن لا تزال نسبة المصنوع منها باليد ٤٠ فى المائة والسبب فى ذلك يعود الى تعذر الاستفادة من الآلات فى عسرها المالى الرابض على صدرها والحكومه تشجع صناعة الآلات محليا ولكنها لا تسد الحاجة فلا تزال تستورد كميات عظيمة من الآلات الكبيرة من أمريكا ومن الآلات الصغيره من البلدان المجاورة وسبب التجائها الى أمريكا هو رخص ثمن البضاعة الواردة

وتصدر ايطاليا الجلود الخام ولكنها تستورد أيضا كيات عظيمة منها خصوصا الكبيرة ومعظم بضائعها يصدر إلى ثغور البحر المتوسط وهو آخذ فى النقصان لمزاحمة البضاعة التشيكوسلوفاكية لبضائعها مزاحمة عنيفة لرخصها وأما فرنسا فتزاحمها فى البضائع الجيدة والدول الاخرى تزاحمها ببضائعها المتينة . وصناعة الحرير الصناعى آخذة فى التقدم فقد تضاعف منتوجها

أما بولونيا فغنية بثروتها المعدنية ففيها المواد الأولية متوفرة ولذلك نشطت فيها صناعة التعدين، وساعد على نموها اضراب عمال انجلترا المتتابع وأثمان فحمها على

الخصوص أقل من ثمن الفحم الانكليزى مع أنه لا يقل عنه جودة وشهرة ولتقدمها المتتابع بدأت تنشىء لها أسطولا تجاريا وهى مشهورة بآبار البترول الذى تصدر منه كميات عظيمة، ولكن حديدها سىء ولذلك تورد ما تحتاج اليه من الخارج وكان البدء فى نشاط صناعتها مدة الحرب لسد حاجتها ولكن تهدمت هذه الصناعة فى المدة الاخيرة من الحرب ، فقامت بعده تحي صناعاتها فأفلحت لدرجة كبيرة ويصح أن نعد بولونيا سوقا رائجة لبضائعها المنسوجة المشهورة فى أسواق العالم والعقبة الكؤد فى سبيل التقدم هى حاجتها إلى رؤوس الاموال ولذلك نجد أن هذه الدولة الغنية لا تحوى الا أقل من مليون عامل ويهاجر منها كثير من العمال سنويا بصورة مؤقتة للعمل خصوصا فى ألمانيا وأهالى بولونيا ميالون للهجرة ففى خارجها حوالى ٦ مليون بولونى ولكنهم لا يهاجرون مهاجرة تامة ومن ضمن العقبات التى تواجهها عدم وجود سكك حديدية مسيطرة على مساحتها ولذلك أخذت الحكومة فى تعميم الطرق

ورومانيا مشهورة بالصناعة المنزلية (الصغرى) وهى لا تزال على رأس الأمم التى تزاول هذه الصناعات وهي الآن فى دور تحول الى الصناعات الآلية ولكنها تفعل ذلك بتؤدة حتى لا تضطرب حالة المزارع الاقتصادية فهو ينتج ٤٥ ٪ من دخله فى هذه الصناعات ولذلك وجهت الحكومة التفاتها إلى استيراد الآلات الصغيرة واعفاءها من الرسوم الجمركية مع اعفائها من نصف مصاريف النقل . وأما المعادن فليست متوفرة وهى تستورد حاجتها منها من الخارج ومن الغريب أن قوة رومانيا المائية عظيمة تقدر بمليونى حصان بخارى فهى الخامسة فى أوروبا ولكنها لا تستفيد من هذه القوة فائدة تذكر

لم يثبت وجود المعادن فى اليونان بكميات كبيرة حتى الآن وهى تستعمل حتى الوقت الحاضر مناجم الفحم الخشبى لعدم العثور على الفحم الحجرى بكميات طيبة واتجه الاهلون إلى المازوت والكيروسين لادارة الآلات الجديدة مع قوة الماء . ولم تكن فى اليونان صناعات تستحق الذكر قبل سنة ١٩٠٠ فبدأت تظهر وصار لها بعض الشأن عام ١٩١٠ ولكن الحرب الاوروبية أثرت تأثيراً حسنا إذ أوجدت فى الآهلين الرغبة فى الصناعة والحكومة تحاول حماية صناعتها الناشئة فتعفى الآلات من الرسوم

ولكن حربها مع تركيا جر عليها الخراب. ولما انتهت بدأت في التشييد ثانية واتبعت الحكومة مبدأ تشجيع انشاء أفرع للمحال الصناعية الاجنبية فى بلادها ونظمت لهذا التشجيع اجراءات تنفيذية بسيطة سريعة وسنت قانونا يمنع تبادل الآلات من أيدى أصحابها الذين لم يسددوا قيمها دون موافقة الدائنين

ومنسوجاتها من الانواع الرديئة يستنفد أغلبها داخليا وبدأت فيها صناعة السجاد بعد تبادل السكان مع تركيا ولكنها تستجلب الصوف من الخارج وهى أهم مورد للبرانيط لمن جاورها من الامم والحكومة مهتمة بتنظيم الصناعة الصوفية وافتتاح أسواق لها. وقد كلفت هذه الصناعة مكالفة عظيمة لأن الذين بدأوا بها كانوا من فقراء المهاجرين فشدت الحكومة ورجال المال من اليونان ازرها

وكما أدخل المهاجرون لليونان الصناعة الصوفية أدخلوا صناعة الحرير الطبيعى. والحكومة تحمى هذه الصناعة أيضا ولكنها لم ترج الرواج الكافى وتشتغل اليونان بالجلود ولكنها تستورد مواردها الأولية لانحطاط نوع المحصول المحلى. والسجاير اليونانية لها أسواق لا بأس بها فى الخارج وأنشأت أكبر مصنع للورق فى الشرق أما الزيت الناتج منها فيستهلك ثلاثة أرباعه محليا ولها بعض صناعات أهميتها ثانوية مثل الكحول والمواد الغذائية المحفوظة

وأخذت الصناعة التشيكوسلوفاكية فى التقدم بعد الحرب والطلب الداخلى للمصنوعاتها فى تزايد وهى تزاحم الولايات المتحدة فى الاسواق بصناعاتها الزجاجية وأما الصناعة الجلدية فنشطة تكاد تكتسح الاسواق القريبة وهى وافرة الغابات ومساقط المياه ولذلك التفتت إلى صناعة الورق وبعد ما كانت تستجلب آلاتها من الخارج أخذت تصنع جزأ غير قليل منها داخليا ومنه تصدر سنويا حوالى مليون وربع قنطار وتضاعف انتاجها فى المنسوجات بعد الحرب وأصبحت معها الثالثة فى تصدير الخيط فى الوقت الحاضر وكانت الاولى فى ذلك قبل الحرب وكل القطن الخام يرد لها من الخارج. وأما فى صناعة الصوف فهى أكبر مزاحم لايطاليا ومحصولها منه أخذ فى الازدياد وكثيراً ما نعثر على ملابسها الجاهزة فى الاسواق تزاحم صناعات الممالك الاخرى

ملحوظة: — من أهم المراجع التى التجأت اليها فى كتابة هذا المقال تقارير القنصليات المصرية فى الخارج ففى بعضها مادة حسنة نود أن نجدها فى بقية التقارير

اقتصادى

ليتني

—١—

ليتني الزهر وقد مالت به تلك الغصون
جئتِه في دولة الفجر وقد ساد السكون
فنفضتِ عنه حبّات الندى
ولثمتيه برفق
مثلما تلثم أمٌّ ولدا
غِبَّ شوقِ
فترامى بين أحضانك فيّاحَ العبير
مثلما الاطيارُ تهفو فوقَ أمواهِ الغدير
فضممتيه الى الصدر كضمي للاماني
خوف أن تهرب مني
ثم أسرعتِ الخطَى بين تعاريج الجنانِ
في دلال ، وتثنٍّ
خطواتٌ فوق قيثارة روضْ
وقّعتْ عذبَ الأَغاني
ليت قلبي كان روضا !
نغماتُ الحبِّ من أقدس فيضٍ
يتلهّينَ بروحي وجناني
لحنُها رفعاً وخفضا ؛

حينما غنّيْتِ من فرط السرورْ
شدّ ما أحسد هاتيك الزهورْ

ليتنى !!

—٢—

ليتنى الأحلامُ قد هامت بأطراف خيالكْ
فترىْ صوفى حبى يتفانى فى جلالكْ
يستمدُّ الوحىَ عن سامى الشعورْ
فى النبوّه
ثم تفنى — مثلما تفنى بطيّات الاثيرْ
كلُّ قوة
خالجات النفس تجتثُّ و إياها جذور (١)
كلٌّ شهوه
ثم يبقى الحبُّ جوّابا بآفق حماكِ
حاملاً تاج عفافٍ، هو من أسمَى حلاكِ
فالبسيهِ فى جلالْ
ثم تيهي فى دلالْ
ليتنى حُلْمٌ ! فأدرى مايجولْ
طىّ صدركْ
من أمانٍ تتراءَى فى نحولْ
فوق ثغركْ

ليتنى !!

(١) الخالجة : ما ينازع النفس ويجاذبها من أمر وهي هنا فاعل تفنى الاولى وتجتث أى تقتلع وتستأصل

— ٣ —

ليتني الإيمانُ يجري غامراً وديانَ قلبكْ
باتّئاد
مثل ضوء القمر الفضِّيّ ، أو أمواج حبكْ
في فؤادي
ليتني الإيمان! هل كنتِ به تحتفظينْ
في رضاءٍ؟ مثلما أنتِ عليه تحرصينْ
تطردينَ الشكَّ لا ينفذ من بين اليقينْ

ليتني!!

— ٤ —

ليتني العفة أيضاً : رفرفتْ فوق جمالكْ
جعلتك في سماء الحبِّ من خير الملائكْ
هي والإيمان في قلبكِ صنوان الأبدْ
قد تحفظت عليها خوف أن تمتدَّ يدْ
نحوها تبغي الاساءَهْ
ليتني هذي البراءهْ !
ليتنيها : كنت تعتزِّينَ بي
في فخار
وتتيهينَ كتيهِ المعجب
بانتصار

ليتني!!

— ٥ —

ليتنى البسمةُ تعلو شفتيكِ
مثلما تعلو طيورٌ فوق أيكِ
تتنزّى(١) وهى تشدو في السكون
تختفى حينا وتبدو في الغصون
فأرى من أين تأتى وتبينْ !
وأرى هل أنتِ حقًا تبسمينْ
لىَ من قلبك ، أم لا تحفلينْ
بسلامى وكلامى

ليتنى !!

—٦—

ليتنى من عمركِ المرجوِّ أيام الطفولهْ
قد تشوقتِ اليها بلياليها الجميلهْ !!
كلما عادت بكِ الذكرى اليها تطربينْ
وتودّينَ لها الرُّجعَى(٢) ، ويا طول الحنين !
لم يدعْ قلبكِ الماضى ولا مرُّ السنينْ
منفذاً يسلبها منه.. وما زال الوتين (٣)
يحقن القلبَ ولمّا يُطعنِ
ليتنيها : كنتِ لا تنسيننى
ليتنى ! ليتنى ! ليتنى !

حسن كامل الصيرفى

---

(١) تنزي الطائر : وثب من غصن لآخر
(٢) الرجعى : رد الشىء (٣) الوتين : عرق الحياة فى القلب

الاتجاه الجديد فى العلم

نص المحاضرة التى ألقاها الكاتب الأستاذ أحمد أفندى خيرى سعيد

فى جمعية الشبان المسلمين يوم ١٨ مارس الماضى .

مقدمة :

من حسن حظنا أننا نشهد ثورة علمية تحطم القديم — ثورة لا مثيل لها فى تاريخ تطور المعرفة الانسانية . وهى ثورة لعمرى تتجه بالعلم نحو الفلسفة ، ونحو الدين . أو هى على الأقل تقرب شقة الخلاف بين العلم والدين والفلسفة ، وهـذه الثورة آثارها العلم نفسه ، وآثارها على نفسه . ولا يذهبن فى وهم أحد أنى سأتحدث عن الانسان الميكانيكى أو «جراف زبلين» أو اعادة الشباب و إطالة العمر. أن هذه المسائل بالنسبة لما سأعرضه تبدو كأنها لعب الأطفال وعبث الصبية . وليس معنى ذلك أن الانسان الميكانيكى وما يشبهه من اختراعات لافائدة لها، ولكن المقصود هو لفت الأنظار إلى أن العلم الحديث أعمق من هذه السطحيات ، وأن العلم لاينهض على الاختراعات ولكن على الاكتشافات الخطيرة التى تنطوى على نظريات صحيحة وحقائق ثابتة . وليست الاختراعات ألا مظهراً نفعياً من مظاهر التقدم العلمى وثمرة من ثمرات اكتشافاته العظيمة على الغالب . سنتكلم الآن فى نظريات ثلاث . ونعقب عليها بنتائج غاية فى الخطورة :

النظرية الكهربائية للمادة .

مهد اكتشاف الراديوم للاكتشافات المتعلقة بالكهرب أو الالكترون . فقد اكتشفت خاصية جديدة للمادة باكتشاف العناصر ذات الأشعاع Radio—active وسنرى عما قريب ما هو المقصود بالأشعاع Radioactivity .

بدأت الأعمال التى انتهت باكتشاف الراديوم بتجارب أجراها السير ويليام

كروكس لا محل للخوض فيها الآن . ويكفى القول بأنه أصاب فتحاً علمياً بتجاربه التى استخدم فيها أنبوبة فارغة Vacuum Tube أى ليس بها أى شىء سوى الاثير المزعوم أرسل فيها شحنة كهربائية Electric Charge . وقد ذهب السير كروكس إلى اعتباره نتيجة هذه التجارب « حالة » جديدة أو بالحرى حالة رابعة من حالات المادة. فوقتذاك كنا على علم بحالات ثلاثة للمادة الصلابة والسيولة والغازية . والذى اكتشفه كروكس كان نوعا معيناً من الأشعة سماها « المادة المشعة » Radiant Matter . وهذه الأشعة تخترق قطعة من البلاتين كأنما تخترق نافذة

وقد انقضى عشرون عاما على وجه التقريب قبل اثبات أن هذه الأشعة الغريبة الغامضة عبارة عن تيار من الذرات الكهربائية تسمى الآن الالكترونات Electrons or Atoms of Electricity . هذه الالكترونات تنطلق من الذرة — وكان الاعتقاد السائد حينذاك أن الذرة على غير قابلة للتفتت

ثم وجد عالم آخر أن هذه الأشعة يمكنها اختراق الأحجار والأسماك الحية وكل الأشياء غير الشفافة أو الكثيفة Opaque . ولم يمض كثير وقت حتى ريع العالم واستحوزت عليه الدهشة عندما علم أننا يمكننا تصوير الهيكل العظمى فى الأجسام الحية بالفتوغرافيا ونعين مكان القرش فى جسم طفل كان قد ابتلعه .. وبالاختصار اكتشف رونتجن سنة ١٨٩٥ ما نسميه الآن أشعة إكس X–rays وقد اتضح أنها نوع جديد من الضوء له قوة اختراق غير عادية. وعلى ذلك تكون أشعة إكس عبارة عن اشعاعات غير منظورة لها قوة اختراق عظيمة . والسبب فى قوة اختراقها العظيمة يرجع الى قصر طول موجتها . والنور يتكون من تموجات أو موجات تنفذ فى الاثير وتخترقه وتختلف هذه التموجات فى الطول . وهناك موجات من النور قصيرة جداً بحيث لا تؤثر على العين فتراها — مثل أشعة إكس

اكتشف « بيكرل » أن العنصر المسمى يورانيوم Uranium يطلق أو يبعث أشعة تخترق المواد والأشياء كما تفعل أشعة إكس . وقد استلفت هذا الاكتشاف نظر الأستاذ « كورى » وزوجته « مدام كورى » فذهبا يحاولان معرفة ما إذا كانت هذه الاشعة منطلقة من اليورانيوم أم من (شىء مندمج فيه) ،

وقد اهتديا الى اكتشاف جديد من مادة تسمى Pitch—blende ذلك أنهما استخلصا من عشرة أطنان من هذه المادة « نصف ملعقة شاى » من شيء تنطلق منه الأشعة مليون مرة أكثر مما تنبعث من اليورانيوم، وقد أسميا هذا الشيء « الراديوم »

وكان اكتشاف الراديوم بداية اكتشاف الالكترونات

وسرعان ما استولى الراديوم على عقول العلماء فاقبل يهتم بأمره مئات من الباحثين النابهين واتسع نطاق البحث فيه . وما كان يمضى عام حتى يهتدى هذا العالم أو ذاك الى مادة جديدة تنبعث منها الاشعة أومادة ترسل الاشعاعات — أى مادة مشعة

وبذلك نشأت معضلة محيرة تستهوى الألباب . وشعر العلماء أن هذه الظواهر الغريبة قد أماطت اللثام بعض الشيء عن سر عظيم من أسرار الطبيعة . وانكب على التجربة والبحث لاستجلاء كنه هذا السر جمهرة من العلماء نخص بالذكر منهم السير وليام رامزى والسير جوزف طمسن والسير أرنست رذفورد والأستاذ سودى .

ولم تمض خمسة أعوام حتى عرفت حقيقة هذا السر . فاى شيء كان هذا السر ؟ الأمر بسيط والسر أبسط . إننا برؤيتنا ذلك الأشعاع كنا نشاهد الذرة تتحطم وتتفتت . فالذرات فى واقع الامر تتحل وتتفتت الى ذرات أصغر مركبة من الكهربائية ونشاطها مدهش . وقد سميت هذه الذرات الكهربائية بـ « الالكترونات » . وصرنا نعرف — على عكس ما كان مقرراً — أن الذرات تجزىء نفسها بنفسها ومن تلقاء ذاتها مطلقة فى الكون أجزاء من مادتها متناهية فى الدقة وكنا قبل ذلك نخيل لنا أن الذرات غير قابلة للتجزئة .

واذن فكل معدن يشع ويضىء أنما يقذف تياراً من هذه الألكترونات وكل قوس كهربائى Arc Lamp يرسل وابلا منها . والشمس والكواكب تغمر الفضاء بالالكترونات المنبعثة من ذراتها وحينما نشاهد تياراً كهربائيا انما نشاهد سير الالكترونات — الالكترونات العديدة — من ذرة الى ذرة . والواقع أن التيار الكهربائى هو الكترونات متدفقة

هناك ثلاثة أنواع من الأشعة تنبعث من الراديوم واليورانيوم وغيرهما من العناصر المشعة — ذات الاشعاع — سماها السير أرنست رذفورد بأسماء الحروف الثلاثة الاولى من الحروف الهجائية اليونانية وهى كما يأتى :—

أولا ـ أشعة ألفا Alpha rays ـ أو أشعة «ألف» وهى ذرات غاز الهيليوم
ثانيا ـ أشعه بيتا Beta rays ـ أو اشعة «باء» وهى التى من نوع اشعة إكس
ثالثا ـ أشعة جاما Gamma rays ـ أو اشعة «جيم» وهى الالكترونات التى هى ذرات كهربائية مبتورة ، أو منفصلة . والالكترون اذ انفصل عن الذرة صار وحدة قائمة بذاتها ، وصار فى وسعه أن يحتفظ بوجوده المستقل.

ولقد كان هذا الاكتشاف من امتع الاكتشافات العلمية وأجلها . فقد كشف لنا عن خاصية جديدة للمادة . خاصية نعرف الآن أنها مشتركة بين جميع ذرات المادة

***

تتبعنا باختصار التجارب التى أدت الى اكتشاف أشعة اكس ، والراديوم ، والالكترون . وقد رأينا أن الالكترونات هى « أشعة بيتا » أو « أشعة باء » التى تنبعث من عناصر مثل الراديوم واليورانيوم . وأن هذه الالكترونات هى أصغر الاجزاء التى تنقسم اليها الذرة وأن ما كان يظن فيما مضى ذرة لاتتجزأ ، قد تتحطم وتتفتت وتتحلل الى أبسط العناصر . والألكترون الذى هو ذرة كهربائية يدخل فى تركيب سائر أنواع المادة . ثم أن ذرات جميع العناصر المعروفة ـ ويقرب عددها من تسعين ـ مركبة من الكترونات . فاذا عرفنا ماهى الكهرباء أمكننا حل المسألة نهائيا ولكننا لانعرف ماهى الكهرباء.

عنصر اليورانيوم اذا ترك مدة ما انبعث منه أشعة أو الكترونات تجعل وزنه أخف فيصير « راديوم » ... والراديوم بدوره اذا ترك مدة انبعثت منه أشعة حتى يصير « رصاصاً » . وهذا التحول من عنصر الى عنصر يجرى ببطء زائد . ولايبعد أن تكون جميع انواع المادة ذات اشعاع أومن الممكن جعلها ذات اشعاع . وهذا يثير السؤال عما اذ كانت المادة فى « الكون » خاضعة لسنة التحول وناموس التغير المستمر . ثم هناك سؤال آخر وهو : هل فى الامكان تحويل عنصر أخف الى عنصر أثقل هل فى الامكان تحويل العناصر الخسيسة الى عناصر نفيسة وبالعكس ـ فى المعمل !

***

كنا قبل سنوات ثلاثة نأخذ بنظرية الاستاذ « نيلز بوهر » الدانيمركى

أحد تلاميذ الاستاذ السير أرنست رذرفورد القائلة بأن الذرة مركبة على هيئة النظام الشمسى من نواة فى الوسط كهربائيتها موجبة تسمى البروتون تدور حولها كهارب كهربائيتها سالبة تسمى الالكترونات ، وأن الذرة الواحدة قد تحتوى على عدد معين من هذه الكهارب التى تدور حول البروتون، إذا كانت من عنصر معين ويختلف عددها باختلاف العناصر .

منذ ثلاثة سنوات كنا نأخذ بهذه النظرية ولكن الاستاذ « شرويد نجر » طلع علينا بنظرية جديدة مؤداها أن القوة الكهربائية موزعة على السواء داخل كرة من الفضاء حجمها حجم الجوهر الفرد أو الذرة . وأن هذه الشحنات الكهربائية ساكنة لا تتحرك ولكنها قادرة أن تغير مقدار كهربائيتها فى نقط معينة وأوقات معينة. وهذا التغيير فى قوتها يحدث أمواج النور فى الفضاء المجاور للذرة. فذرة « بوهر » قادرة على اطلاق أحد كهاربها من حين إلى آخر . فكأنها حجر رحى يدور وينطلق فى أثناء دورانه ذرات دقيقة فى الفضاء، وشرويد نجر يتصور ذرته كرة دقيقة نابضة بالقوة الكهربائية تنطلق منها مقادير من هذه القوة كل مقدار منها بمثابة الكهرب أو الالكترون . وقد يصطدم هذا المقدار من القوة الكهربائية بذرة أخرى فيتحد بها ويصير جزءاً منها فيكبر به حجمها أو تزداد قوتها

نظرية النسبية Theory of Relativity

يحسن بنا أن نضرب الأمثلة الكثيرة لكى نفهم هذه النظرية فهما أقرب إلى الصواب . فأنها من الصعوبة بمكان عظيم

اذا فرضنا أن ساعة تبتعد عنا بسرعة فأنها تتراءى كأنما تسير عقاربها ببطء لأن موجات الضوء المنبعثة من العقارب يتحتم عليها أن تسير مسافة أطول فاذا جرينا وراء الساعة بمثل سرعتها رأينا أنها « مضبوطة » لا تتقدم ولا تؤخر بل تعين الوقت بالدقة و يستنتج آينشتين صاحب نظرية النسبية من ذلك المثل أننا على صواب حينما نكون واقفين ، وحينما نكون مسرعين نجرى وراء الساعة المبتعدة عنا بسرعة : ولو أن سرعة الساعة فى « الحقيقية » تبقى واحدة فى كلتا الحالتين

لنفرض أن طائراً يطير بسرعة ثلاثين ميلا فى الساعة فى عاصفة سرعتها عشرين ميلا فانه يظهر لنا من فوق الأرض أن هذا الطائر يسير بسرعة خمسين ميلا إذا كان يطير

فى اتجاه العاصفة وبسرعة عشرة اميال إذا كان يطير فى اتجاه مضاد لاتجاهها . وهذا مايؤدى بنا إلى اعتبار أن كل شيء متحرك له زمنه ، وانه يجب اطراح فكرة الزمن المطلق . وأن الشيء المتحرك يتراءي لمن يشاهده وهو ثابت فى مكانه كأن الزمن الذى يقطع به المسافة ينقص بمقدار جزء معين فى اتجاه حركته

ونسوق مثلا آخر فنقول : إنه إذا قذف أحد ركاب قطار ينهب الأرض حجرا من نافذة المركبة فان الركاب يشاهدون الحجر يتجه إلى الوراء بينما الواقفون قرب شريط السكة الحديد يشاهدون هذا الحجر يتجه إلى الأمام

ولكن لا هذا ولا ذاك يمثل لنا الطريق الحقيقى الذى يسلكه الحجر فى الفضاء . إن مشاهداتنا الخاصة بالمسافة نسبية مثل مشاهداتنا الخاصة بالزمن . وقد برهن لنا «اينشتين» على أنه يجب علينا اطراح فكرة الفضاء المطلق الممتلىء بالأثير غير المتحرك

ويمكننا إذا فكرنا على هذا النمط أن نصل إلى النتيجة التى وصل اليها «إينشتين» وهى أن «متى» لامعنى لها بدون إضافة «أين» اليها لأن الزمن والمسافة أقيسة نسبية ومرتبطة بعضها ارتباطا وثيقا . وأن هذا الذى نراه بارزا أو حقيقيا إن هو الاخليط من المسافة والزمن

ويقول لنا «إينشتين» أن حجم الجسم أو وزنه يزيد اذا تحرك ويزداد أكثر من ذلك اذا ازدادت سرعته

وعلى ذلك يمكن القول أن القوة التى أضيفت اليها من جراء الحركة لها حجم خاص بها . ومن هنا نشأت النظرية القريبة التى تقول إن جميع أشكال القوة لها حجم . ولما كانت المادة مركبة من الكترونات وبروتونات لاتخرج عن أن تكون شحنات كهربائية سالبة وموجبة . ولما كانت القوة لها حجم فاننا نلاحظ أن من النتائج التى تنتهى اليها نظرية النسبية هى أن المادة والقوة قد اندمجتا واتحدتا

كنا نعتقد أن العصا التى طولها متر يبقى طولها على حاله لايزيد ولا ينقص ولكننا اصبحنا الآن بناء على نظرية النسبية نؤمن بأن طول هاته العصى لايبقى على حاله إذا قسناها بواسطة تلسكوب أثناء انطلاقها فى الفضاء بسرعة . وكنا فيما مضى نعتقد أن ٢ + ٢ = ٤ . ولكن حيث أن ذرة غاز الهيليوم مركبة من أربع ذرات ايدروجين ، فأنها تقل فى الوزن عن الأربعة ذرات ايدروجين اذا وزنت كل ذرة من الايدروجين

على حدة . و تفسير ذلك أن ذرات الايدروجين اذا اتحدت فصارت ذرة من الهيليوم نقصت حركتها أو قوتها

وعلى ذلك ينقص حجمها أو وزنها. ذلك بأن حجم الجسم المتحرك يختلف باختلاف سرعته .

وأخيراً يدعونا « اينشتين » إلى تصوركون له أربعة أبعاد تحدد فيه المراكز والحركات لا بالأقيسة الثلاثة المستقيمة ونعنى بها الطول والعرض والارتفاع. ولا هو يريد أن يحددها بمثل ما حددها منكوويسكى أى بواسطة الطول والعرض والارتفاع مضافاً إليها الزمن، ولكن بواسطة مقاييس أربعة منحنية يحتوى كل منها على عنصرى المسافة والزمن . وقد أدت هذه النظرية الخاصة بتصور الكون على نحو ما أراد « إينشتين » إلى كشف جديد فى النسبية لأنه قيل إن وجود أجسام مادية لاسيما إذا كانت ضخمة الحجم ،يسبب انحراف أو اعوجاج الأبعاد الأربعة المحيطة بالفضاء وقد شبه هذا الأعوجاج بالاعوجاج الذى يحدثه جسم ذو وزن ثقيل عند وضعه على سطح بالون من المطاط المرن . وعلى ذلك فان الشمس تحدث اعوجاجاً فى الأبعاد الأربعة المحيطة بالأرض .

ونلخص ما قدمناه من آراء فى نظرية النسبية :

أولا ـ جميع مقاييس الحركة نسبية ومن الواجب اطراح فكرة الفضاء المطلق وفكرة الزمن المطلق

ثانيا ـــ تتجه المادة نحو الاندماج فى الكهربائية أو بعبارة أخرى إن من خواص المادة أن تلتهمها الكهربائية

ثالثا ـــ إن الحقيقة القائلة بان المادة لا يمكن إعدامها أو إيجادها، والحقيقة القائلة بان القوة لا يمكن إنقاص مجموعها أو زيادته : إن هاتين الحقيقتين يمكن ادماجهما فى نظرية واحدة أكثر بساطة وأقرب متناولا إلى الذهن

رابعا ـــ وضعت الجاذبية فى صف واحد مع بقية القوى

خامسا ـــ إن الكون له أبعاد أربعة ومن الممكن قياسه

***

ومن الممكن إذا تدبرنا نظرية النسبية من الوجهة العلمية أن نجدها منطبقة ام

الا تطابق على نظرية النسبية التى روجتها مدارس فلسفية عديدة . ومؤدى ذلك أن العلم لا ينفذ إلى كنه الحقيقة ، ولكنه يعنى بمظاهرها والأشكال الخارجية التى تتراءى فيها

نظرية « الكوانتوم » أو الكم

القليلون من المستنيرين يعلمون شيئا عن هذه النظرية مع أنها أعظم النظريات الثلاثة خطراً وأبعدها نتائجاً وحسبها أنها هدمت الميكانيكا القديمة ـ الكلاسيكية ـ وقضت عليها القضاء الاخير

كان الاعتقاد السائد لا يعدو أن « الذرة » هي الجزء الذى لا يتجزأ من المادة . ولا يعدو الكم فى نظر العلم الحديث أن يكون الكمية التى لا تتجزأ من « العمل » Action والعمل هنا معناه القوة مضروبة فى الزمن . وتقول لنا نظرية الكم أن « العمل » ليس شيئا متصلا فى انطلاقه متلاحقاً بلا انقطاع ، من المستطاع أن تأخذ منه أية كية شئنا ، وأنما هناك « وحدة عمل » غير قابلة للتجزئة والانقسام . ففى وسعنا الحصول على وحدة أو وحدات كاملة منه ، ولكنا لا نستطيع الحصول على جزء من هذه الوحدة . فالذرة عندما تشع نوراً لا تفعل ذلك بالتتابع وبصورة متصلة متلاحقة ولكن بصورة متقطعة وعلى فترات . أما كون الشعاع من النور Beam of Light يتراءى كأنه متصل غير متقطع فسبب ذلك أن عددا لا حصر له من الذرات يشترك فى إحداثه . وبينما أن هناك تسعين صنفا مختلفاً من الذرات فليس ثمة غير صنف واحد من « الكم » . وبالرغم من أن مقدار هذا الكم تافه جداً بحيث يحتوى الكسر الاعشارى الذى يمثله ثلاثين صفراً ، فأنه قد أقام الدليل على قوته الخارقة . وكيف لا وقد حطم الميكانيكا العتيقة المبنية على أن العمل متصل متلاحق غير متقطع فى طبيعته

فاذا كانت المادة مركبة من كهرباء واذا كنا الآن نميل الى اعتبار الحقيقة من جهة الحوادث Events لا من جهة الأشياء Things ـ من جهة المظاهر لا من جهة الجوهر والكنه ـ فلماذا لا ننظر الى الحقيقة ، لا كأنها مركبة من مادة تشمل حيزاً ومكانا وتبقى على الزمن ، ولكن كأنها من وحدات عمل Quanta of Action

وعلى هذا لم تعد تعتبر المادة هامدة ميتة ، لأنها مركبة من قوة تتحرك

وقد رأينا ان هناك ذرة من الكهربائية سميناها الالكترون وأن الذرة تقذف

لا الـكترونات فى صورة أشعة أو شعاع كما أن فى إمكانها أن تلتهم الـكترونا أو أكثر منقذف ـ منطلق ـ فى صورة إشعاع من ذرة أخرى . وقد تسأل كيف وبأية طريقة تفعل ذلك ؟ !

والجواب هو أنها تفعل ذلك على مايظهر بصورة متقطعة ـ فى صورة شحنات صغيرة جدا فكأنما هناك « ذرة إشعاع » .

قال السير أوليفر لودج : « أصبحنا نرجح الآن أن انطلاق الاشعاع ليس عملية متصلة متلاحقة ، ولكن عملية متقطعة تشبه الصوت الحادث من دقات المطرقة فوق السندان . وهذا هو معني الكوانتوم أو الكم »

وتلك القوة إما أن تنطلق أو تندمج فى كميات محسوسة . وكلما وثب الـكترون من ذرة الى ذرة أنطلق كوانتوم من الاشعاع أى كم الى الاشعاع Quantum of Radiation ونتيجة لنبض الأثير أو نتيجة لموجة ذات طول معين ينطلق أحد الالـكترونات النشيطة من الذرة بقوة تماثل قوة الالـكترون البعيد الغريب الذى أحدث هذه الموجة الخاصة . . . ولابد من أن « كماً » من قوة النور يكون قد نفذ داخل الذرة وأطلق الالـكترون . وعلى ذلك لا مناص من ان يكون الـكم صغيرا بحيث يستطيع الولوج الى داخل الذرة واقتحامها

وبالاختصار يمكن القول بأن الـكم هو أصغر جزء تتجزأ اليه القوة أو بعبارة أخرى هو أصغر شىء غير قابل للتجزئة فى الوجود (الكون) ومعنى هذا هو أن القوة هى المادة التى تتركب منها جميع الاشياء وهى تتكيف فى كميات مختلفة لا عدد لها وهى موجودة فى صورة عدد لا حصر له من الكوانتومات أو الـكمات (جمع كم)

وهناك ثلاث نظريات للكم أرى أنه لا حاجة للتعرض لها تجنبا للتعقيد من جهة وضيق الوقت من جهة أخرى

***

والآن على ضوء النظريات الثلاثة المتقدمة نرى مع الأستاذ « وولف » استاذ المنطق والطريقة العلمية فى جامعة لندن « أن نظرية الـكوانتوم بهدمها هيكل الميكانيكا العتيقة تهدم كل فكرة تقوم على أساس ميكانيكى وكل نظرية تنهض على قاعدة الارادة غير الحرة

فأنتم ترون أن العلم اليوم يسير فى طريق تناقض المادية وتهدم كثيرا من الآراء المقررة فى مذهب النشوء والارتقاء فأنتم تعلمون أن نظرية الانتخاب الطبيعى تدخل سائر الظواهر البيولوجية - الحيوية - فى حظيرة نظام ميكانيكى بتفسير النشوء والارتقاء كأنما هو يجرى بعملية ميكانيكية تستثنى غير الصالح وتحذفه من قائمة الاحياء، وتستبقى الأصلح الأقوى. وبهذه الطريقة يظهر أن حقائق النشوء والارتقاء لم تحسب حسابا لغير العوامل الميكانيكية أو النصف ميكانيكية

وكان قد تجلى نقص الميكانيكية وعجز القواعد التى على نسق الجاذبية عن تفسير الظواهر الكيماوية. ومنذ عهد ليس ببعيد تمرد الأستاذ « لويد مورجان » على النظرية الميكانيكية وقال بأمكان الظهور فجأة « Emergence أى نشوء الاشياء على غير انتظار وبدون العوامل الميكانيكية وقوانينها. وقد سلم برأيه هذا كثير من العلماء

ونختم المحاضرة بقول الأستاذ « وولف » إن اتجاه العلم الطبيعى الآن هو نحو تبسيط الافتراضات . . . وقد وفق العلم بفضل النظريات الثلاثة - النظرية الكهربائية للمادة ونظرية الكم ونظرية النسبية - الى اعتبار ظواهر النور والكهرباء والمغناطيس واحدة فى جوهرها خاضعة لقواعد واحدة واقيسة واحدة . وقد جعلت النظرية الكهربائية للمادة فى الامكان توحيد طائفة كبيرة من الظواهر الطبيعية . وقد كان ذلك أول تبسيط وتوحيد لفت الانظار واستولى على الافئدة

وأما الخطوة الثانية فى هذا الصدد أى فى سبيل التبسيط والتوحيد فتفسير ظواهر الجاذبية والحركة بخواص الزمن والمسافة أو بعبارة أخرى توحيد الميكانيكا والهندسة. فاذا استطاع العلم توحيد منهب الجاذبية ومذهب الكهربائية المغناطيسية أمكن وضع جميع الظواهر الطبيعية على قاعدة واحدة تفسرها جميعاً . وهذا ماجعله أينشتين موضوع بحثه ودرسه من زمن بعيد وهو الذى حاوله فى بحثه الأخير الذى ألقاه على الجمعية العلمية البروسية منذ أسابيع على نحو ماورد فى التلغرافات، ونعنى به توحيد جميع الظواهر الكونية. فكأنما أينشتين يحاول إثبات مذهب الفليسوف « سبنوزا » القائم على أن وحدة الوجود - الكون - هى الحقيقة الكبرى . سوى أنه يريد أثبات ذلك بالوسائل الرياضية لا بموحيات الدين ومنطق الفلسفة

سك النقود

يعرف بعض الناس كيف تجمع النقود فى حين ان الاغلبية العظمى منهم تعرف فقط كيف تنفقها وأما الذين يعرفون كيفية سك النقود فقليل. كان الرجل البدائى يجهل النقود ولكنه أخذ يستعمل الوسائل الفطرية فى مبادلة مايزيد عن حاجته بما هو محتاج اليه عند ماوجد لديه مافوق الكفاية. لنتصور رجلا فطريا يملك ثورا لايحتاج اليه ولنتخيل أنه فى حاجة الى شاة وبالطبع ليس من المنتظر ان يقوم بهذه المبادلة عينا بعين، لان الشاة أقل فائدة من الثور لذلك كان يقوم بالمبادلة مع آخر بعد ان يسدد الآخر فرق القيمتين بالعاج أو بغيره من المواد الغير قابلة للتلف والتى يمكن حملها من مواد الزينة ولكنه لم يلبث حتى شعر بثقل هذا الفائض وقت حمله ففكر فى استعمال انواع الخرز القليلة الوجود الامر الذى جعل لها قيمة كما هو الحال فى الوقت الحاضر فى أواسط أفريقية مثلا وربما بقطع من المعادن الغير منتظمة الشكل والحجم وكانت هذه المعادن مثقوبة لتربط معافى خيط واحد (لاتزال بعض الامم تتبع هذه القاعدة فى نقودها الى الوقت الحاضر وضربت نقود مصرية فى عهد السلطان حسين مثقوبة من الوسط) . ولكن ظهر ان حاجة المعادن الى التنظيم فى الحجم والشكل مضر بالمتعاملين لأن قيمة هذه المعادن كانت تتراوح بين الارتفاع والانخفاض لان بعض سيئ النية من الناس كانوا يستولون على جزء من هذه المعادن وهذا هو الذى حدى الى التفكير فى وجوب بصم هذه المعادن بما يفيد قيمتها وليس هذا فقط بل وتوحيد حجمها حتى لايحدث فيها تلاعب ثم واجه الانسان معضلة أخرى هى «نقاوة» المعدن الامر الواجب الانتباه اليه حتى لايحدث تلاعب فيه خصوصا عندما اتخذ الانسان المعادن الثمينة «واسطة لتعامله» مع غيره ولما ارتقى الانسان سن القوانين المحددة لنسبة النقاوة الى المعادن الرخيصة اللازم مزج المعدن الثمين بها ليكون صلبا غير قابل للكسر بسهولة

وعند ما استعمل الانسان الذهب والفضة كوسائط للتعامل كان يوزن الامر الذى ظل الى الوقت الحاضر متبعا عند التعامل الدولى الذى يتم بالسبائك ولأن سعر الفضة لم يعد ثابتا كما كان قبلا . فان الذهب اصبح الواسطه الوحيدة لتنظيم المعاملات الخارجية . كان الرومان قبل الميلاد المسيحى يتعاملون بنقود ولم تكن النقود محتكرة من الحكومة كما هو الحال فى الوقت الحاضر بل كان لكل مدينة او لبعض المدن دور ضرب مستقلة تخرج العملة المطلوبة لاهليها وأهالى البلدان التابعة لها فى النظام النقدى وكانت هذه المدن تدفع للملوك التى تنتمى الى علها ضريبة سنوية نظير تمتعها بسك العملة ولكن اختلفت « نقاوة » عملة البلدان عن بعضها الامر الذى اصبح عثرة فى سبيل تبادل السلع ، فاضطر الملوك والحالة هذه الى الاستئثار بحق ضرب النقود وحدا بهم الطمع الى الاقلال من النقاوة قصد اجتناء الربح من جيوب رعيتهم . وكان المفهوم أن الجنيه الذهب يحوى من معدن الذهب ما قيمته جنيها واحدا وقطعة الفضة تحوى منها ما ثمنه القيمة التى تسمى العملة بها ولكن الفضة كما سبق وقلنا أصبحت بغير قيمة مستقرة ولذلك تغاضت الحكومات عن المحافظة على « القيمة الفعلية » وجعلها مساوية « للقيمة الاسمية » وبالطبع هذا ما حدث فى العملة النيكلية والبرنزية لانه من الصعب مثلا حمل قطعة من النيكل تساوى قرشا صاغا او قطعة من الفضة تساوى ريالا ولاجل هذا نتج اختلاف بين القيمتين فى معادن التعامل الدنيا فلو سقط منك ريال فى النار تصبح قيمته (الفعلية) نصف قيمته (الاسمية) وذلك لانه يحوي من الفضة ما يساوى نصف قيمته تقريبا فى الوقت الحاضر واما الباقى من الريال فمن نوع من النيكل cupro - nickel والنقود المساعدة (الفضة والنيكل) ليست نقوداً بالمعنى المقصود من اللفظة فى هذا العصر ولكنها فقط نقود اسما . لان الثقة بها تتوقف على استعداد الحكومة لابدالها بذهب اى وقت على اساس قيمتها الاسمية (وليست الفعلية) فهى (ممثلة) فقط لاجزاء من العملة الصحيحة (الذهب) فو الحالة هذه ليس هناك اى فرق فيما اذا كان الريال مصنوعا من الفضة والنيكل كما هو فى الوقت الحاضر او من النيكل فقط (كما صنع مدة الحرب) ما دامت الحكومة مستعدة للاعتراف بقيمته الاسمية

أما عمل دار الضرب فينحصر فى تكييف المعادن الى نقود (بمعناها المفهوم لنا) تورد الحكومة لدار الضرب سبائك المعادن المختلفة لسكها بالطريقة الآتية

يذاب المعدن أولا ثم يصب بصورة قضبان بحجم مخصوص وبعد ذلك تقسم هذه القضبان الى أجزاء متساوية فى الكثافة ثم يوزن كل جزء ليثقوا من أنه يعادل الوزن المطلوب ثم يزركش محيط كل قطعة بواسطة آلة معينة ثم يطبع الوجهان بطابع المملكة واذا وجدت قطع زائدة أوناقصة يعاد تذويبها وصبها ويلاحظون دائما عند ضرب النقود العصرية إيجاد حافة حول الوجهين وذلك للمحافظة على الطابع ثم توضع القطع فى فرن حتى تصل الى الصلابة المطلوبة ثم يغطسونها بعدئذ فى سائل حمض الكبريت Sulphuric acid ليكسبها الزهاء الذى تطفئه حرارة الفرن ثم تغسل القطع بالماء وتلقى فى آلة مملوءة بنشارة الخشب الجافة حتى تظل بارقة وقت التداول . ومن الواجب تغيير طابعة الختم بعد نقش كل ١٠٠٫٠٠٠ قطعة حتى تظل النقوش متساوية لاتتأثر بالتأكل الذى يحدث للطابعة وسرعة الطبع لاتزيد عن ١٠٠ مرة فى الدقيقة للذهب و ١٢٠ للفضة وغيرهاو لما تنتهي عملية الضرب تماما يعاد وزن القطع على موازين حساسة الى درجة ١ على المائه من الحبة فاذا وجد اختلاف فى الميزان يزيد عن خمس حبة يعاد صهر العملة من جديد وتسلم النقود بعد ذلك عداً (وليس وزناً) لامين دار الضرب

وكلما محيت النقوش تستعيد دار الضرب العملة لتجعلها سبائك وليس هناك من شك فى أن الحراسة على دار الضرب وافية وأن من اللازم تفتيش موظفى الدار عند دخولهم ووقت خروجهم منها

باحث

القرآن

بقلم جورج ل ٠ هرست

القرآن (الفرقان ، المصحف ، الكتاب، الذكر) كتاب محمد للسلمين يقال إنه أوحى به اليه من السماء (البقرة ٩١ النحل ١٠٤ الشعراء ٩٣) قيد بعضه وحفظ بعضه وبعد موت محمد جمعه خلفاؤه . مثبوت فيه أنه نسخة من أصل آلهي (الزخرف ٣ الرحمن ٧٧ البروج ٢٢) عرض على جبريل جملة ثم انزل على اجزاء (المؤمنون ٣٤)

وخلاف مايأتي (الفاتحة ، الانعام ١٠٤ النمل ٩٣ الشورى ٨ مريم ٦٥ الصافات ١٦٤ الانعام ١١٤) يتمسك كل المسلمين بكونه كلام الله . وليس هناك اكثر من أصل واحد للقرآن فلما قتل كثيرون من الحفاظ فى بعض الحروب (٦٣٣ ب ٠ م) أمر الخليفة ابوبكر زيداً بن ثابت بالتنقيب على القرآن وجمعه ومنذ ذلك الوقت عدت هذه المجموعة الاصل الوحيد له وهو أول كتاب فى العربية وقد نقلت عنه نسخ وزعت على العالم الاسلامى ولكن لتعدد القراءات عاد عثمان فامر بضبطه وارسل ثلاث نسخ مضبوطة منه الى عواصم الاقطار الاسلامية الثلاثة دمشق والبصرة والكوفة وأما النسخ القديمة فقد أمر بحرقها

يحوى القرآن ١١٤ سورة تحوى حوالى ٦٢٢٥ (آية وقف) وليس بين هذه الآيات انسجام . ويزعمون أن محمدا قد أمر بوضع كل آية فى سورة عينها لهم والكتاب مقسم الى ٦٠ قسما متساوية كل منها مقسم الى اربعة اقسام وهناك تقسيم آخر لتسهيل قراءة الكتاب كله خلال شهر رمضان قسم به الكتاب الى ٣٠ جزأ وكل جزء مقسم الى سجدات. ومن السهل ملاحظة الفسق الشعرى مع الكثير من التخيل فى السور الاولى ، ثم تأخذ السور فى التطويل كلما كانت أحدث . فتوسط الاثنين وعشرين سورة الاولى خمسة اسطر والعشرين الثانية ١٦ سطراً وأما الخمسين الاخيرة ٧٠ سطر ومجموع السور المدنيه ١١٠ أسطر . والقرآن تاريخ لرسالة محمد ومن خواص السور المطولة تبيين المناسبات التي قيلت فيها . واليك تنظيم السور حسب التنزيل كما ارتآه نولدكه

(ا) السور المكية ٦١٠ - ٦٢٢ - ميلادية

١ — الفترة الأولى ٦١٠ - ٦١٥ م

٩٦ ر ٧٤ ر ١١١ ر ١٠٦ ر ١٠٨ ر ١٠٤ ر ١٠٧ ر ١٠٢ ر ١٠٥ ر ٩٢ ر ٩٠
٩٤ ر ٩٣ ر ٩٧ ر ٨٦ ر ٩١ ر ٨٠ ر ٦٨ ر ٨٧ ر ٩٥ ر ١٠٣ ر ٨٥ ر ٧٣ ر ١٠١
٩٩ ر ٨٢ ر ٨١ ر ٥٣ ر ٨٤ ر ١٠٠ ر ٧٩ ر ٧٧ ر ٧٨ ر ٨٨ ر ٨٩ ر ٧٥ ر ٨٣ ر ٦٩ ر ٥١
٥٢ ر ٥٦ ر ٧٠ ر ٥٥ ر ١١٢ ر ١٠٩ ر ١١٣ ر ١١٤ ر ١

٢ — الفترة الثانية ٦١٥ - ٦١٦ م

٥٤ ر ٣٧ ر ٧١ ر ٧٦ ر ٤٤ ر ٥٠ ر ٢٠ ر ٢٦ ر ١٥ ر ١٩ ر ٣٨ ر ٣٦ ر ٤٣ ر ٧٢
٦٧ ر ٢٣ ر ٢١ ر ٢٥ ر ١٧ ر ٢٧ ر ١٨

٣ — الفترة الثالثة ٦١٧ - ٦٢٢ م

٣٢ ر ٤١ ر ٤٥ ر ١٦ ر ٣٠ ر ١١ ر ١٤ ر ١٢ ر ٤٠ و ٣٨ ر ٣٩ ر ٢٩ ر ٣١ ر ٤٢ ر ١٠
٣٤ ر ٣٥ ر ٧ ر ٤٦ ر ٦ ر ١٣

(ب) السور المدنية ٦٢٢ - ٦٣٢ - م (١ - ١١ - ﻫ)

٢ ر ٩٨ ر ٦٤ ر ٦٢ ر ٨ ر ٤٧ ر ٣ ر ٦١ ر ٥٧ ر ٤ ر ٦٥ ر ٥٩ ر ٣٣ ر ٦٣ ر ٢٤
٥٨ ر ٢٢ ر ٤٨ ر ٦٦ ر ٦٠ ر ١١٠ ر ٤٩ ر ٩ ر ٥

أما ميور muir فيرتبها كما يأتي (٢)

(ا) السور المكية : — الفترة الأولى ٦٠٠ - ٦١٠ ميلادية

١٠٣ ر ١٠٠ ر ٩٩ ر ٩١ ر ١٠٦ ر ١ ر ١٠١ ر ٩٥ ر ١٠٢ ر ١٠٤ ر ٨٢ ر ٩٢
١٠٥ ر ٨٩ ر ٩٠ ر ٩٣ ر ٩٤ ر ١٠٨

الفترة الثانية ٦١٢ — ٦١٥ - م

٩٦ ر ١١٣ ر ٧٤ ر ١١١

---

(١) و (٢) راجع صفحتى ١٩٨ ر ١٩٩ ر من العدد ١٩ م ٤ من العصور لمعرفة اسماء الصور التى تدل عليها هذه الأرقام

الفترة الثالثة

٨٧ ر ٩٧ ر ٨٨ ر ٨٠ ر ٨١ ر ٨٤ ر ٨٦ ر ١١٠ ر ٨٥ ر ٨٣ ر ٧٨ ر ٧٧ ر ٧٦

٧٥ ر ٧٠ ر ١٠٩ ر ١٠٧ ر ٥٥ ر ٥٦

الفترة الرابعة

٦٧ ر ٥٣ ر ٣٢ ر ٣٩ ر ٧٣ ر ٧٩ ر ٥٤ ر ٣٤ ر ٣١ ر ٦٩ ر ٦٨ ر ٤١ ر ٧١

٥٢ ر ٥٠ ر ٤٥ ر ٤٤ ر ٣٧ ر ٣٠ ر ٢٦ ر ١٥ ر ٥١

الفترة الخامسة

٤٦ ر ٧٢ ر ٣٥ ر ٣٦ ر ١٩ ر ١٨ و ٢٧ ر ٤٢ ر ٤٠ ر ٣٨ ر ٢٥ ر ٢٠ ر ٤٣

١٢ ر ١١ ر ١٠ ر ١٤ ر ٦ ر ٦٤ ر ٢٨ ر ٢٣ ر ٢٢ ر ٢١ ر ١٧ ر ١٦ ر ١٣ ر ٢٩ ر ٧

لم يمكن الجزم بوضعها فى فترة من الفترات السابقة :—١١٣ ر ١١٤

(ب) السور المدنية : — الفترة الاولى ٦٢٢ — ٦٢٧ م

٩٨ ر ٢ ر ٣ ر ٨ ر ٤٧ ر ٦٢ ر ٥ ر ٥٩ ر ٤ ر ٥٨ ر ٦٥ ر ٦٣ ر ٢٤ ر ٣٣ ر ٥٧ ر ٦١

الفترة الثانية ٦٢٧ — ٦٣٢ م

٤٨ ر ٦٠ ر ٦٦ ر ٤٩ ر ٩

أمار ودويل Rodwell فقد وزعها كما نشر فى العدد ١٩ من العصور راجع (ص ٣٠٠) والتوزيع الذى أجراه كل من الثلاثة مؤسس على تاريخ محمد كالآتى ، الرؤيا الفترة، نزاعة مع كبار مكة ، الرؤيا الثانية. الهجرة الاولى، اقتباسات من كتب اليهود والمسيحيين ، اسلام عمر ، رحلة الطائف . اتصال النبي بحجاج مكة . الاسراء ، الامر بالهجرة الى يثرب، قصة الغار ، اتفاقات مع القبائل المسيحية ، زيادة المام بالتعاليم المسيحية ، موقعة بدر ، موقعة أحد ، حصار المدينة ، اتفاق الحديبية، رسل الى خسرو وحاكم مصر وملك الحبش، محاربة بعض القبائل اليهودية. اخضاع مكة ، تسليم نصارى نجران وعيله والطايف اليه، غزو حضرموت واليمن وغيرهما ، الحج الاخير لمكة .

فقى الفترة الاولى ٦٠٨ — ٦١٠ يتجلى الميل للانذار وتصوير عقاب الآخرة بصور مخيفة مع الحض على ترك الاوثان وعدم الغلو فى حب الربح والامتناع عن الانغماس فى المادة ثم استعار ما كانت تفهمه القبائل البدوية من سير فذكر القوافل والظلام والليل وخرافات العرب القائمة على السحر

وبعد ان طلب جبريل من النبي عام ٦١٠ م ان يقرأ باسم ربه الذى خلق الانسان من علق، أمره (المدثر) كى يقوم لينذر ومن هنا تبتدىء السور فيكون لها رونق وقوة وبدأت روحها الشعرية تضعف اما روح الفترة الثانية، فأساسها قل يا أيها الكافرون قل لا اعبد ماتعبدون . . . لكم دينكم ولى دين (راجع السور ١٠٩ ر ٥٣ ر ٧) ثم بدأ الاضطهاد فلاذ المؤمنون بأذيال الفرار (٦١٦ م)

ولكن روح سور الفترة مابين ٦١٦ — ٦٢٠ م عند ماخف اضطهاد المسلمين أصبحت جدلية وبانت الفاظ القرآن منطقية لدرجة ماوثبتت اصطلاحات مسلم واسلام ومؤمن واصبح لها معان معينة وفى هذه الفترة كثر التساؤل فيما اذا كان محمد رسولا حقا او أنه مدع، وفى هذه الفترة ايضا بدأ محمد يقتبس من اليهودية والمسيحية وهنا بدأ تسليم المسلمين بان التوراة والانجيل قد أنزلا من لدن الله واوجب على اهل الكتاب اعتناق الاسلام المتمم لشريعتهم اوالا فالنار مثواهم فى الآخرة . ولما خفت المقاومة أخذت لغة القرآن صورة الامر (سورة ٤٦ مثلا) وعقبها فترة يأس (سورة ٧٢ مثلا) واشتد أمل النبي بعد ذلك وهذا مبدأ التقدم السريع للاسلام فاخذ يهاجم الكافرين (سور ٦ ر ٣٥ ر ٦٤ ر ١٦) ويحاسن المسيحيين واليهود باقتباس بعض محتويات كتبهم لدرجة كبيرة (سور ١٩ ر ١١ ر ١٢ ر ٢٨) ولكن ظلت مكة ممتنعة عن الاسلام . ولما كثر مسلمو المدينة بدأت الهجرة سنة ٦٢٢ م وكان آخر المهاجرين من مكة محمد وابو بكر (سورة ٩)

اما السنوات الاخيرة لمحمد فبينة احوالها تماما فى القرآن، وكان اكبر همه الاكثار من اتباعه وخصوصا اقناع اليهود (سورة ٢ ر ٥٢) وفى ذلك الوقت اضطرت الاحوال محمداً ان يشرع ولذلك تجد فى سور هذه الفترة كثير من الشرائع والاحكام (سور ٢ ر ٤ ر ٥) وتشريع نسائى (٤ ر ٢٤) وقانون الارث (٤) الحج (٢) نظام الزواج (٣٣) نظام الحروب والاسلاب (٣ ر ٨ ر ٤٧ ر ٦١)

واتنهت حياة محمد « باليوم اتممت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام دينا »

ع . ع .

الغليون

— أو —

البيبة

الاصل من نظم الدكتور أبوشادى

والترجمه الى الانجليزية من وضع الاستاذ محمد عبد الله مصطفى

اذا أفلسَ الانسانُ لمْ يَبْقَ عنده سوى بيبةٍ فيها يُبـدّدُ بؤْسَهُ
فانْ لم يَجدْها باتَ يَزفُرُ شاكيا وفى زفرةِ الشكوى يُبدّدُ نفْسَهُ

* * *

وإنْ غَنِيَ الانسانُ حَنَّ لبيبَةٍ بها تُبعَثُ الأحلامُ يَرقُصنَ حَوْلَهُ
فانْ لم يَجِدْها لم يكنْ ذلك الغِنَى بِـمُغنٍ ، ولم يستمرىءْ المرءُ حَوْلَهُ

* * *

أَلاَ ما أَلَذَّ العيش بالوهم هكذا إذا سَئِمَ الانسان صدقَ وُجُودِهِ
تَساوَى الغِنىَ والفَقرُ والصَّفْوُ والأَسَى لدَيْهِ ، وسادَ الوَهْمُ مِنْ فَرْطِ جُودِهِ

THE PIPE.

Should Poverty ever a man befall,
He would in a pipe solace find,
His wretched cares to enthrall
And comfort and ease bring his mind.

But if he prechance alleviation fail,
With a pipe his long sad night lend,
In gloom and pangs of grief will he curtail
His life and with piteous moans rend.

And should he ever with opulence meet,
So he would on aerial castles muse,
Lull'd by the fumes of a pipe that dreams sweet
Rouse, of joys and deeds that amuse.

And if in his days of affluence,
Without a pipe annoy'd tarry,
He will curse the truth of his existence
And all his life, fag, vex and worry.

O, how sweet is life in Fancy's realm
Whene'er a man life no more can bear,
Where him no want nor sorrow can o'erwhelm,
Nor riches nor revels his calm stir.

O Fancy, thou shalt ever mistress reign,
With thy boundless bounty all to sustain.

المريخ

ارض ثانية فى النظام الشمسى

نهاية عالم

نقطة من الماء تأخذها من البركة الراكدة المجاورة لمنزلك، وتضعها على شريحة زجاجية تحت المجهر . هنالك يقع نظرك على أوجه من النشاط الحيوى فى ذلك العالم المائى . ترى قطانها يقفزون بمهارة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، من غير أن يتولاهم الكلال برهة واحدة . أحياء صغيرة الحجم الى درجة مدهشة، أشكالهم عجيبة وطريقة حياتهم أعجب . فالبعض كالعصا والبعض كالعجلة . واذا قست أقدارهم بالآلة القائسة المركبة فى عدسة مجهرك ، تجد أن اكبرهم حجما لا يزيد على ٢٠ جزء من المليمتر طولا .

فى هذا البحر الكبير — نقطة الماء — جزيرة عظيمة هى عبارة عن ليفة نباتية من الصعب عليك أن تراها بالعين المجردة ، وقد اتخذها اكثر الاف هذا البحر المتلاطم الأمواج سكنا لهم ومأوى . وانى لا عجب ان كانت فوارق الطبقات معروفة عند هؤلاء الاحياء .

أوجه نظرى من خلال المجهر الى هذه الاحياء كجبار من جبابرة الوهم أنحى بهامته العظيمة فوق عدسة المجهر . أما اذا امررت طرف اصبعى على الشريحة الزجاجية فلا شك فى انى فى طرفة عين اقضى على كل أثر للحياة فى هذا العالم الصغير . وأذهب بكل أثر للحياة والنشاط المترائيان فيه . فاذا كانت هذه « النقيعيات » Infusorians التى تظهر تحت مجهرى فى مستطاعها أن تفكر ، فأنها ولا شك تعتبر هذه النقطة من الماء عالما متسعاً فسيحاً ، ووراءه من الفضاء الذى يمتد وراء الحدود التى تصل إليها أنظارها مالا نهاية له . وانها ولا شك سيدة ذلك الكون ومركز دائرته الكبرى . وفيما هى سابحة فى وهمها هذا تقع كارثة عظمى . اذ يبدأ الماء فى التبخر متصاعداً فى هواء

الغرفة الدافىء . فتأخذ جوانب دنياها تضيق عليها شيئاًفشيئاً . فتنفز هذه الاحياءنحو المركز يائسة محزونة تحاول النجاة من الهلاك الداهم . ولا تمر بعدذلك برهةوجيزة حتى يكون القضاء قد حم و انتهى الأمر . فالشريحة التى كانت تحمل هذا العالم الصغير يجف وسطها و ييبس فتصير مواتاً : بعد أن كانت آهلة بعالم صغير من الاحياء ، ولا يتبقى عليها من ذلك أثر الا قليلا من الغبار يكسو السطح الاصم المجرود . هنالك تكون نهاية عالم من العوالم .

هذا ما كان من أمر قطانها . ومن الجائز أن نبتسم ابتسامة الهزء والسخرية من هذا المنظر الغريب.غير اننا اذا تأملنا قليلاً فى هذا الامر خرجنا بفوائد وعظات . فان هذه الارض التى تحملنا اذا اصبحت يوماً من الأيام مواتاً . فان علماء الفلك من فوق الثريا مثلا — وليس من غضاضة فى أن نفرض وجود فلكيين على سطح هذا الجرم فرضا لضرورة التمثيل — لا يمكن أن يشعروا بوقوع هذه الكارثة الكبيرة ، لأن الارض لا يمكن أن ترى خلال الفضاء من مثل هذا البعد الشاسع . وان العلم لا يزال عاجز عن تحديد قيمة الأرض التى نأهلها بالقياس الى الكون و على الأخص بعد أن زالت الفكرة القديمة القائلة بأن الأرض مركز النظام الكونى ، تلك الفكرة التى تعود إلى الأذهان حينا بعد حين جهلا و غرورا . وما أشبه هذه الفكرة بالاسطورة المعروفة التى سيقت فى « بطة » أخذت تصف العالم لأفراخها الصغار فقالت لهم ان العالم لا ينتهى بحدود العش الذى يحملهم . بل ينتهى وراء جدار الحديقة الملاصق للمكان الذى يعيشون فيه

ان الآلات الفلكية الحديثة قد ارتنا ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نجما غارقة فى جوف الفضاء العظيم . خمسمائة مليون شمس اشبه بشمسنا التى ندور من حولها دورة الثور المعصوب المقلتين حول مدار الساقية . ولقد قدر الفلكيون البعد الاقصى الذى يترامى الى نهاية ابعد شمس عنا بخمسة آلاف سنة نورية . ولما كان النور يقطع المسافة من الشمس الى الارض فى ثمانى دقائق وربع دقيقة ، وأنه يحتاج الى خمسة الاف سنة سائرا بنفس هذه السرعة يقطع الفضاء الاوسع الى أبعد الشموس عنا ، فانا ولاشك نستطيع بذلك ان ندرك شيئا من عظمة هذا الكون الفسيح

ليست الارض وحدها هى العالم المسكون

هنالك وهم آخر ، غير الوهم الاول فى أن الارض مركز الكون . استولى على العقول . قيل بانه على الرغم من الارض ليست مركز النظام الكونى ، فانها على أية حال النقطة الوحيدة فى الكون التى تأهل بأحياء عاقلة ، بل بأحياء ما على وجه الاطلاق. وهذه الفكرة التى دافعت عنها الاديان لم يكن لها من مبرر لدى العقل الا خدمة اغراض ضيقة ، كأن زيادة عدد العوالم المأهولة بالاحياء . عاقلة وغير عاقلة، ليست بدليل على قدرة اشمل، وعظمة أجل وأفضل .

الحياة فوق الاجرام الأخرى

إن مسألة الاجرام السماوية ومأهوليتها بالاحياء اكثر التصاقا بالفلسفة التأملية منها بعلم الفلك . ولكن الفلكيين ولاشك مرغمين الى الادلاء برأيهم فى هذا الموضوع من وجهة عملية .

ان كل من يعنى بالتعاليم التى يمكن استنتاجها من نظام الكون والاستقراآت التى وصل اليها العلم الحديث . لايؤمن ولا ريبة بفكرة أن الارض دون غيرها من الاجرام الفلكية قد خصت أو أختيرت لتكون مباءة للحياة . فى حين أنه ليس من المستحيل، بل إنه من المرجح تغليباً، أن فى جوانب الفضاء كرات أخرى تأهل بالقطان و يمرح على سطحها الاحياء

نرجع بعد ذلك الى سؤال آخر له أهميته . فهل دلت الابحاث العلميـة على أن من الاجرام السماوية الاخرى ماهو مأهول بالاحياء ؟ وهل هنالك دلائل على أن هذه الاحياء إن كانت موجودة بالفعل . قد دب فيها دبيب العقل والتميز ؟ إن هذا السؤال متروك الى علماء الفلك وحدهم أو علماء الفلك الطبيعيين . فهم دون غيرهم الذين فى مستطاعهم أن يجيبوا على هذا السؤال جواباً صريحاً .

للحياة صور عديدة . فمنها مايعيش فى الهواء ، ومنها مايعيش فوق الارض . وكذلك نجد من الاحياء مايعيش فى الجليد أو فوق رمال الصحارى المحرقة وحتى نستطيع أن نعثر على الاحياء فى مياه الينابيع الحارة والبرك التى تبلغ مياهها درجة الغليان من الحرارة . ومنها ماينتعش و ينشط تحت ضوء الشمس بل يحتاج الى أعظم كمية من الضوء ليعيش ، بينما ترى غيرها يهرب من الضوء الى الظلام و من الجفاف الى الرطوبة . والاحياء

البشريه يستطيعون أن يقاوموا درجات كبيرة من الحرارة أو البرودة. فرواد منطقة القطب الذين استطاعوا أن يقاوموا درجة أربعين تحت الصفر مثلا فى مكنتهم أن يقاوموا درجة حرارة تبلغ ١٠٤ فارنهيت على خط الاستواء من غير أن يصابوا بمكروه . ومن الزولوجيين والفزيولوجيين من أثبت أن الحياة فى صورها العليا تستطيع أن تقاوم حالات فيها من الافراط المناخى ماتحتفظ معه بقواها العاقلة ودرجات نشاطها تامة كاملة . لهذا يكون من ابعد الاشياء عن الروح العلمى ، لا بل انه يكون من الخطاء الفاحش، إذا قلنا بان الحياة لايمكن ان توجد فى حدى درجتين احتراريتين تبلغ احداهما منتهى الارتفاع والاخرى منتهى الانحطاط نسبيا ، أو أنه يتعذر أن نعثر فى امكنة بلغت منتهى الظلمة او فى اخرى بلغت اعلى درجات الضوء أو أنه يمتنع أن تنشأ فى أجرام بلغ فيها الضغط الجوى منتهى الارتفاع اومنتهى الانخفاض ، احياء على صورة ما . فان للطبيعة طرائقها التى لا تقف عن حد من التنويع او الابتكار فى تشكيل الحياة العضوية بحيث تكون ملائمة لمقتضيات الاحوال الخارجية المحيطة بها

بعد المريخ و حجمه

هل عين العلم جرما آخر من اجرام السماء ثبت انه مأهول كجرمنا الذى نعيش فوقه ان الجواب لا يكون الا سلبا . ولو أننا نتكلم الآن فى سيار يعتقد الذين امعنوا فى درسه ووقفوا عليه جهودهم العلمية ، أنه مأهول بالأحياء.

نرى فى السماء نجما يرسل الينا اشعة حمراء لامعة . ويدلنا ثبات ضوئه وعدم اضطرابه على انه سيار من سيارات النظام الشمسى . هذا هو المريخ الذى يبعد ٠٠٠ر٥٠٠ر٤٦ ميلا عن الشمس اكثر من بعد الارض عنها .و يبعد عن الشمس فى الجملة ٠٠٠ر٠٠٠ر١٤٠ و يحتاج الى ٦٨٦ يوما من أيام أرضنا ليتم دورة واحدة حول الشمس

والمريخ كرة سوداء تستمد ضوءها وحرارتها من الشمس ، وهو أصغر من الارض حجما بقدر كبير . فحيطه ٤١٩١ ميلا . وعلى هذا تكون الأرض أكبر منه سبع مرات . ولما كان حجم السيار أو جرمه كما يقولون يحدد مقدار قوته الجاذبة، ولما كان جرم المريخ أقل عشر مرات عن جرم الأرض، وجب ان يكون كل شىء على سطح المريخ أقل وزنا مما هو على سطح الأرض . فاذا حدث لأحدنا أن يصل الى سطح المريخ مثلا وجد نفسه ينتقل من مكان الى مكان وكأنه يطير .

اليوم فى المريخ

ان ناظراً من فوق سطح القمر يراقب الأرض ، يرى البحار الأرضية والجبال والقارات ويميزها اذ يرى البحار لامعة مضيئة . والقارات داكنة حزينة . ويلفى أنها تمـــر أمامه ثم تختفى ومن ثم تعود الى الظهور بنواتها فى مدى زمان مقداره ٢٤ وثلاثة أرباع ساعة. ولاشك فى ان هذا يعطيه فكرة فى طول اليوم الأرضى أو بالأحرى فى الزمان الذى تحتاجه الارض لتدور حول محورها . فاذا قاس هذا الزمان وجده ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة تماما مع اعتبار حركة القمر نفســـه . وبنفس هـــذه الطريقة قيس طول اليـوم فى المريخ فوجد أنه يبلغ ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة ، أى أن اليوم فى المريخ أطول بقليل عما هو فى الارض ،

أنسب وقت لرصد المريخ

يكون المريخ فى أقرب نقطة من مداره عن الأرض على بعد ٠٠٠ر ٠٠٠ ر ٣٥ ميل فيصبح فى مستطاع كرة مدفع أن تصل اليه بعد سياحة جويه مقدارها أربعة سنوات ويكون فى أبعد نقط مداره على بعد ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٤٨ ميل فتحتاج كرة المدفع حينذاك الى سياحة مداها ١٩ سنة لتصل إليه . ولا جرم أن الكرة السماوية كلما كانت أقرب الينا ظهرت أكبر حجما ، ويكون من المستطاع درسها واستكشافها على صورة أنسب . ولذلك ترى الفلكيين ينتظرون زمان اقتراب المريخ من الارض بشغف كبير ليوجهوا اليه عدساتهم العظيمة ويمضون فى درس حالاته . أما أنسب وقت لدرس المريخ فعندما يكون مواجهاً للشمس لانه اذ ذاك يكون ظاهرا للعيان طيلة الليل وهذه « المواجهات المريخية » Mars oppositions ينتظرها الفلكيون فى كل الامم بلهف زائد لعلهم يدركون شيئا جديداً من اسرار هذا السيار العجيب

قمران حول المريخ

فى سنة ١٨٧٧ استكشف الاســـتاذ « آساف هول » قمران صغيران جهد الصغر يدوران من حول المريخ . وقد سمى احدهما « فوبوس » Phobos والثانى « ديموس » Deimos من الجائز أن يكونا قد ظلا مجهولين إلى الآن لو لا أن زوج ذلك الفلكى قد حملته على أن يوجه بمنظاره الكبير إلى المريخ مرة أخرى بعد أن أعياه الرصد وقعدت همته دون النظر إلى الفضاء الأوسع ، فصادفه النجاح بعد

اليأس . على أن فوبوس وديموس لمن أغرب الأقمار التي تشاهد من حول السيارات . فان قطر فوبوس لا يزيد على الثلاثين ميلا طولا ، في حين أن قطر ديموس لا يزيد على ١٢ ميلا . وعداء ماهر في مستطاعه أن يدور حول الثاني عدواً حول خطه الاستوائي في أربع أو خمس ساعات ، في حين أن قطاراً بخاريا لا يحتاج لأكثر من عشرين دقيقة ليقطع المسافة من قطبه الشمالي إلى الجنوبي . على أن استكشاف هاتين الذرتين الجرميتين لدليل على درجة الاتقان التي وصل اليها صانعو العدسات الفلكية وعلماء البصريات معاً

أما « فوبوس » فلا يبعد عن سطح المريخ أكثر من ٣٧٠٠ ميل أي بقدر المسافة من لندن إلى نيويورك ، ويدور بسرعة فائقة من حول السيار حتى أنه يشرق ويغرب عدة مرات خلال يوم واحد من أيام المريخ إذا تطلع راء من نقطة مفروضة على سطحه . ومع كل هذا فدن المريخ - إذا كان ثمة مدائن وعواصم - لا يمكن أن تنتفع بشيء من الأنوار التي يرسلها القمران كما تنتفع نحن بقمرنا العظيم ، لأن نورهما أضعف من نوره وحجمهما أصغر من حجمه .

قبعات المريخ القطبية

إذا أخذ باحث في التطلع الى المريخ من خلال منظاره في ظروف مناسبة رأى ندوبا رمادية اللون الى خضرة بارزة من فوق قرصه الأحمر الباهت . وهذه الندوب ثابتة في أماكنها صلبة في قوامها غير متغيرة الأشكال — فعدها قارات أو محيطات أو غير ذلك من الاشياء التي تشاهد امثالها فوق أرضنا هذه — ولكن لا يجب أن تنسى أبداً أنها اكثر ظهوراً وجلاء في الرسوم الفلكية الفوتوغرافيه ، مما تظهر للعين مسلحة أقوى المناظير المقربة . ومن اغرب ما يرى في هذا السيار ندوب اخرى تكون لدى القطبين وتدعى « قبعات المريخ » (ولا ننسى هنا أن العدسات تقلب وضع الاشباح فترى القطب الشمالي الى اسفل والجنوبي الى اعلى)

الثلج والجليد

يدور المريخ حول محوره أمام الشمس كما تفعل الارض تماماً وبذلك تتعرض نصفى كرته لاشعة الشمس على التوالي . وكذلك تتغير فصوله تغيراً دائماً وتظل من حيث الزمان كما تظل في الارض على وجه التقريب . فاذا كان فصل الشتاء بعد أحد القطبين

ويعدت معه القبعة القطبية عن الأرض وعن الشمس معاً . بحيث لايمكن ان يرى الا جزء ضئيلا منها . اما قبعتى القطبين فتريان بجلاء خلال فصلى الربيع والخريف . أما فى الربيع فيظهر من حول (القبعة) خط اسود يحوطها ويستمر هذا الخط فى الكبر شيئاً فشيئاً ، وفى اثناء ذلك تتضاءل الندوب البيضاء تبعاً لتضخم الخطوط السوداء اما فى الجانب الآخر من السيار حيث يكون الخريف فى ادراكه . فقد رؤى أن هذا الخط يأخذ فى النماء تبعاً لدنو فصل الشتاء . ولقد لاحظ العلامة ، فلامريون ، قبعة القطب الجنوبى فى خلال شهرى يوليه وأغسطس وسبتمبر واكتوبر ونوفمبر فى سنة ١٩٠٠ عندما كان الصيف مخيما على هذا النصف من المريخ . ويمكنك أن ترى التغيير الظاهر فى الصورة المنشورة مع هذا المقال .

وهنا يمكننا أن نتساءل ماهى هذه القبعات البيضاء ؟ واى شىء يمكننا أن نستنتج منها ؟ ان البحث الفلكى الدقيق قد أثبت انها عبارة عن قطع عظيمة الاحجام من الثلج والجليد ، أى أنها مياه عظيمة قد تبلورت بفعل البرودة الشديدة . اما لونها ، وتوقف ظهورها على تغير الفصول ، والخطوط السوداء التى تظهر من حولها عندما تبدأ فى الذوبان ، ومنظرها العام عند القطبين . كل هذا لايجعل سبيلا إلى تأويل آخر أو يترك لدينا من حاجة الى البحث وراء تأويل غير هذا .

ولقد تمكن العلامة ، غرين ، —Green— من أن يشاهد ذوبان الثليج من فوق القطب الجنوبى سنة ١٨٧٧ ووضع لما شاهد رسماً جميلا تراه فى الصور المنشورة فى هذا العدد .

ولقد استعان العلامة ، بكرنج ، —Pickering— بآلة تدعى «البولرسكوب» Polarscope وهى آلة يستعان بها على تسجيل تغيرات خاصة تحدث من انعكاس ضوء الشمس ، فاستطاع ان يعلن بصيغة التوكيد بعد ارصاد عديدة اجريت فى أركيبا ويرو أن هذا الخط المظلم الذى يظهر من حول قبعات المريخ انما يتكون من ماء . فى حين أن الباحث ، برنارد ، —Barnard— رئيس مرصد ليل ، بمساعدة الاستاذ لوويل ، —Lowell— قد رأيا اشعة من الضوء القوى ترى ثم تزول بسرعة البرق الخاطف فى قبعات المريخ الثلجية . فعللا هذه الظاهرة بانها عبارة عن انعكاس ضوء الشمس على

قطع الثلج العظيمة التى تتكون فى قطبي المريخ .

ولقد عرف أن قبعتى هذا السيار قد تذوبان تماماً . فاذا عرفنا أن أشد فصول الصيف حرارة فوق أرضنا هذه لا يمكن أن تؤدى الى مثل هذه النتيجة — ذوبان الثلج فى القطبين ذوباناً تاماً — فلاشك فى أن هذه الظاهرة الغريبة تحتاج الى تعليل . ولما كان مركز المريخ فلكيا يبعد عن مركز الارض من الشمس مسافات كبيرة ، ومقدار الحرارة التى تصل اليه من الشمس اقل بكثير من مقدار الحرارة الذي يصل الى الارض ، فاننا ولا جرم نضيف الى ما تقدم أن محاولة الوصول الى تعليل هذه الظاهرة محفوف بصعاب كبيره . ولقد حاول الاستاذ « ستونى » Stoney من دبلين — تعليل ذلك فقال بان الثلج الموجود فى قطبي المريخ لابد من أن يكون من الثلج الذى يكثر فيه حامض الكربون ، فهو بذلك يحتاج فى الذوبان الى حرارة أقل من الحرارة التى يتطلبها الثلج الذى يتكون فوق الأرض ليذوب. غير أن هذه النظرية لا يؤيدها كبار الباحثين ، بل تعتبر فرضا غير مدلل على صحته .

على أن ندوباً أو خطوطاً بيضاء لامعة قد ترى فى بقاع أخرى من المريخ غير القطبين . ففى ٣٠ يناير سنة ١٨٩٩ رأى العلامة الالمانى المعروف «برونو بورجل» Bruno Burgel المنظر المريخى المسمى إليسيوم Elysium فألفاه مجللا بالبياض الناصع عدة ساعات قليلة وكانت هذه المنطقة من قبل ظهور هذه الظاهرة صفراء اللون الى حمرة . وليس من السهل بالضرورة أن نقضى بأن هذا كان نتاجاً لتساقط ثلوج متكاثرة فى هذه البقعة .

جو المريخ

لا يشك أحد من الفلكيين فى أن للمريخ جواً Atmosphere لان التحليل الطيفى قد أثبت ذلك . غير أن جوه أقل كثافة من جو الأرض ، واذا فرض وبلغ أحدنا المريخ فانه يشعر بحاجة ماسة الى الهواء . وفى فصل الربيع عند ماتبدأ القطع الثلجية الكبيرة بالذوبان ، يظهر جو المريخ جلياً وفيه كثير من السحاب المتكاثف . وما ذلك إلا نتيجة التبخر الذى يحدث عند ذوبان الثلوج وصيرورتها ماء .

قنوات المريخ

ان أعجب مافى المريخ من الظاهرات وأشدها غموضاً وأبعثها على العجب ، تلك

الشبكة العجيبة الضيقة الحدود الدقيقة الوضع فى خطوط متوازية. والتى استكشفها لاول مرة فى تاريخ العلم الباحث العلامة الايطالى « جيوفانى شيابارللى » Giovanni Schiaparelli سنة ١٨٧٧ ، وأيده فى مشاهداته التى وصل اليها اعلام من أمثال ليوول ودو جلاس و بريتز وبكرنج وتروفيلو وانطونيادى وفلامريون وغيرهم . فاذا تطلعت الى سطح المريخ محققا رأيت مئات عديدة من الخطوط، وكأنها فى الظاهر تخترق دوائر كبيرة . وتمتد على سطح السيار عدة آلاف من الأميال ، فتتقابل وتتقاطع فى زوايا عديدة ، وتصل بين الندوب السوداء ، التى يظن بأنها بحور عظيمة وقد سميت هذه الخطوط اصطلاحا «قنوات» وقد نشرنا مع هذا العدد صوراً توضح احداها صورة لمريخ وضعها الفلكى الامريكى « برسفال ليوول » وهو من أكبر الثقاة فى بحث المريخ . واخرى كثيرة التفاصيل من وضع هذا الفلكى أيضا. فظهرت فيها القارات والبحار والجزر «والقنوات» . بل يظهر فيهما عالم له ليل و نهار وسحب ومناطق متجمدة شمالية وجنوبية بل عالم يؤيد بجلاء مايقول به كثير من الثقاة من أن هذا العالم مأهول بذوات عاقلة بل بأمم عظيمة ما هلها فى وسط تلك الشبكة القنوية العظيمة . فاذا عرفنا أن الطبيعة ليس فى وسعها أن تضع تصميما على العمل المنظم وتنفذه ، اضطررنا أن نرجع فى تعليلها إلى الناحية الأخرى، فنفرض وجود نوع من الأحياء بلغ من العقل والفهم مبلغ المدنية والارتقاء

أنظر فى خريطة المريخ — وكل الخرائط التى وضعت للمريخ تظهر فيها هذه الخصائص الغريبة — فانك تجد جزيرة شبه دائرية الشكل وبحر كبير كائن فى وسطها والخطوط المستقيمة التي تراها مرسومة على قطاع زاوية بنسبة خاصة تصل بين هذا البحر وغيره من البحار ثم جزيرة أخرى فى شمال الصورة إلى اليمين (فى الصورة الكبيرة) قد قطعت بهذه القنوات تقطيعا متعارضا شمالا الى الجنوب وشرقا الى الغرب . وفى بقعة أخرى تجد سبع أو ثمانى قنوات تتقابل فى نقطة مستديرة تكون ملتقى تقابليا . وتجد بعد ذلك جزيرة مربعة قد جزئت الى مثلثين متساويين بقناة تجرى من إحدى زواياه إلى الاخرى . أما هذه القنوات المنتظمة فقد عللها البعض فى مبدإ الأمر بأنها من خداع البصر أو خداع الآلات ، غير أن التصوير الشمسى واخراج هذه الصور على لوحاته ، قد قضى على هذا الرأى قضاءا تاما

تعليل الفائدة من هذه القنوات

هل هذه الخطوط لدى الحقيقة قنوات مملوءة بالماء وقد حفرتها أيدى خلائق عاقلة ؟ أما اذا حكمنا على قدر علمنا بالمريخ فى الوقت الحاضر ، فانا نقول بأن الماء (فى حالة السيولة) نادر الوجود على سطح السيار و التكونات السحابية العظيمة ليست من الظواهر النادرة الحدوث فى جو المريخ . أما تلك الندوب النحاسيه التى ترى على سطحه ،فما هى إلا صحارى هائلة قلما يجود عليها الغيث بقطرة . ولا جرم أنه عند ماتبدأ الكتل الجليدية الهائلة المكونة لدى قطبي السيار فى الذوبان، فان كمية عظيمة من عنصر الرطوبة (الماء) وهو من أهم العناصر لحياة النبات،بل والحياة فى كل مظاهرها، يمكن وجودها . وقد تقع إذ ذاك فيضانات كبيرة هائلة . وهنالك يصبح وجود الماء كارثة لانعمة تجنى أو يرغب فيها ، اذا لم يوجه انحداره العظيم فى منافذ تنقذ الآهلين من كوارث كبرى . وهذه السنن الأولية يمكن الوقوع عليها فى كل أطراف الكون . فان جميع الاجرام البعيدة تتحرك فى الفضاء خضوعا لنفس السنن التى تحرك سيارات النظام الشمسى . كما دلنا الحل الطيفى لاضوائها التى ترسلها أنها تحوى نفس العناصر التى تتكون منها أرضنا هذه . . وكذلك النيازك التى هى فضلات نجيمات متحطمة أو قطع مفصولة من سيارات كبرى . فانها تحوى جميع العناصر المعروفة لدينا . وبذلك لا نستطيع أن نقاوم أو نرفض الفكرة أو وجه الاحتمال بأن نفس القوانين الطبيعية التى تحتكم فى نظام الاشياء فى الارض . هي بذاتها التى تحتكم فى نظام الاشياء فوق المريخ . وعلى ذلك نقول بانه تحت ضغط ظروف قاهرة تقوم فوق الارض، كما تقوم فوق المريخ ، نضطر الى اقامة السدود وفحر القنوات لنستطيع بالاول أن نحتكم فى جرى الماء وفيضانه ، وبالثانية من رى الاراضى الموات واستثمارها .

وديان خصبية تغص بالنباتات

إن عرض قنوات المريخ عظيم جهد العظم ؛ وغالب مايبلغ فى بعض الاحيان سبعين ميلا . ولاجرم أن عملا كهذا يحتاج لاتمامه والقيام به ، بل وللتفكير فيه جيلا من الجبابرة الذين لاتقف فى سبيلهم من عقبات الطبيعة جبال ولا وهاد ، ولا تأخذهم عن الوصول إلى غرضهم رهبة من عنت العناصر . غير أن الارصاد التى قام بها الاستاذان

« ليوول ودوجلاس » فى مرصد « فلاجستاف » بار يزونا.قد كادت تحل هذا الاشكال الكبير وتعلله تعليلا يقبله العقل . فقد قالوا بأن تلك الخطوط السوداء ليست بذاتها القنوات ،بل هى النباتات التى تنمو على جانبيها .

اذا كان المريخ مأهولا فلاشك فى أن المريخيين يعجزون عن أن يروا نهر النيل يشق قارة افريقية من قلبها الى شمالها ، اذا هم تسلحوا بمناظير مقربة ليس فيها من قوة الكشف اكثر مما فى مناظيرنا . فاذا فاض النهر وكسى الوادى بمائه الخصب ، ثم بلعت الارض الماء واقلعت السماء عن غيثها المدرار ، ظهرت النباتات على شاطئيه ولمسافات كبيرة فى الوادى الذى يشقه ، وبذلك يمكن لسكان المريخ أن يرووا ذلك الاثر بمناظيرهم اذاهم عنوا ان يوجهوها نحو الارض،واستطاعوا أن يتتبعوا مجرى النهر من منبعه الى مصبه الى أو على الاقل مسافة طويلة من مجراه ، والاستاذان « ليوول ودوجلاس » يعللان اتساع قنوات المريخ تعليلا مطبقا على هذه الظاهرة الملموسة .

وهذا التعليل ليس بالغامض ولا هو بالمستحيل ، وعلى الاخص أن كثيرا من ارصاد الاستاذ « شيابارللى » تؤيدها . فقد رأى مرة خطا أبيضا فى منطقة قد تقاطعت فيها القنوات وتكاثرت . فظهر ذلك الخط كأنه نتاج لتساقط ثلوج متكاثرة دفعة واحدة ، وأنها لدى البقاع التى ظهرت فيها هذه الخطوط من فوق القنوات . ظهرت القنوات ضيقة جهة الضيق . فتعليلا لهذه الظاهرة على مقتضى النظرية التى شرحناها ، نجد أن الخطوط التى لم يغطها الثلج هى القنوات الاصلية ، ولانها مملوءة بالماء قد اذابت الثلج ولم تجعله يحجبها عن الأعين لدى تراكه ، فى حين ان ما حجبه الثلج عند نزوله لم يكن الا الاشجار والنباتات القائمة على جوانب القنوات وفى وديانها ، اذ كساها الثلج حلة بيضاء بتساقطه وتعلقه باغصانها ومن فوق أوراقها . وكذلك قضى العلامة « ليوول » بان القنوات أشد ماتكون جلاء وظهوراً فعند بدأ الثلج بالنوبان أى فى الربيع والصيف ، وهذا دليل قوى يؤيد هذه النظرية بالمشاهدة . فى حين أن القنوات تتضاءل ويصغر حجمها فى اثناء الخريف والشتاء . وكذلك ترى أن سطح المريخ عرضة لتغيرات متناوبة تبعا لتغير الفصول .

محيطات ــ صحارى ــ أراض مزروعة

إن بقاعا عظيمة فوق سطح المريخ، وقد ظن أولا أنها محيطات كبيرة ، قد عرف

الآن أن سطحها يكون عرضة لتغيرات لونية تبعا لادراك الفصول وتناوبها ، فتكون خضراء فى أثناء الصيف ؛ ثم تضرب الى الصفرة اذا أشرف عليها الخريف . ولقد دلت الارصاد على أن القنوات تخترق بعض هذه البقاع المظلمة والتى لايمكن أن تكون محيطات بل كما قضى بعض ثقاة الفلكيين أنها بقاع متسعة مترامية الاطراف من اليبس تكسوها المزروعات والنباتات البرية . وهنالك بقعتان أو ثلاث بقاع مظلمة ثبت عند بعض الباحثين أنها محيطات تتلاطم أمواجها كما دلت على ذلك الابحاث الحديثة مؤيدة قول الذين ذهبوا هذا المذهب . فالشمس لابد من أن تنعكس على مياه المريخ وهذا الانعكاس يرى من الارض كنقطة صغيرة مضيئة تظهر من خلال المناظير الكبيرة فوق قرص السيار . فاذا نظرت فى الرسم البيانى وفرضت أن البقعة العليا هى المريخ والمساحة السوداء فيه عبارة عن محيط من محيطاته فالشمس لابد من أن تتراءى فى خلال مياهه وأن الانعكاس الناشىء عن ذلك لابد من أن يرتد فى الفضاء فى قطاع زاوية مناسبة لانحراف الانعكاس ، فيصل الى الارض . ومثل هذا الانعكاس لايمكن أن يرى أثره إلا اذا تراءت الشمس فى مياه محيط يكون على وجه التقريب فى وسط قرص السيار

رسائل من المريخ

إن الاضواء التى ظهرت على أحد أطراف المريخ منذ سنين قليلة وأحدثت كثيرا من اللغط والأخذ والرد ، كانت بلا شك من طبيعة مخالفة لطبيعة الاضواء التى يرسلها انعكاس الشمس على سطح مياه المريخ ، وقد ذهب المتخيلون الى القول بأن هذه الاضواء عبارة عن نيران عظيمة أوقدها أهل المريخ كاشارة لاهل الارض ليرشدوا أهلها الى وجودهم ، حتى لقد قال كثير من علماء فرنسا وأمريكا على الاخص ، بأنه من واجب أهل الارض أن يردوا على هذه الرسالة . ولقد نشرنا صورة لهذه الاضواء كما نقلتها الواح التصوير الشمسى ولم يقل أحد من العلماء بان إشعال غابة من الغابات الكبرى فوق الأرض يمكن أن يحدث اثراً فوق سطحها يراه أهل المريخ بمناظيرهم ، وعلى هذا ترك القول بان ظهور هذه الاضواء قد يمكن أن يرجع فى المريخ لمثل هذا السبب . أما التعليل الذى هو أقرب إلى العقل فينحصر فى القول بأن هذه الاضواء لم يكن لها من سبب إلا انعكاس شمسى قوى أصاب قمم بعض الجبال أو ركام السحب الملبدة فى جو المريخ .

القنوات المزدوجة

يعتقد كثير من ثقاة الفلكيين فى هذا العصر بان المريخ مأهول . وذلك بناء على أرصاد قيمة عكفوا عليها سنين عديدة . وقالوا بان هذه القنوات انما ترجع الى عملهم وابتكارهم . أما الاشارات المباشرة التى يمكن أن يرسل بها أهل المريخ إلى أهل الارض فلا يمكن أن ترى من سيارنا هذا، مالم يكن لأهل المريخ من السلطة على قوانين الطبيعة وعلى عناصرها ماليس لنا . وعلى الرغم من الميل الى القول بأن المريخ مأهول ارجح لدى الفلكيين من القول بانه غير مأهول ، فلا مندوحة لنا من القول بان كثيراً من الظواهر التى ترى على سطح المريخ لايمكن تعليلها ، ومثل ذلك ازدواج القنوات الذى شاهده « شيابارللى » سنة ١٨٨٨ .فان قنوات تمتد على سطح المريخ آلافاً من الأميال قد تنقسم فجاءة إلى قسمين وتجرى متوازية كشريطى السكة الحديدية . وقدنشرنا رسماً يظهر ذلك . ولا جرم أن هذه الظاهرة تعارض النظريات التى وضعها العلماء فى المريخ حتى الآن .

القائلون بأن المريخ مأهول

لقد زادت رغبة الناس والفلكيين منهم على الأخص فى البحث عن حقيقة المريخ وأهله عندما تبرعت سيدة فرنسوية بقدر من المال لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ فرنك نزلت عنه الى أكاذيمية العلوم لينفق فى محاولة الاتصال بأهل المريخ . و السيدة التى تبرعت بهذا المبلغ ان كانت لم تقدر الصعاب التى تحول دون الاتصال ببقية سيارات النظام الشمسى . فان اقدامها على التنازل عن هذه الهبة العلمية قد دل على أن الناس قد بدؤوا يرفضون فكرة أن الارض مركز النظام الكونى ، وانها البقعة المختارة عند الله من ملكوته العظيم .

ولقد قضى كثير من أشهر فلكى هذا العصر بأن المريخ مأهول . فان « شيابارللى » يقول بأن هذا «السيار ليس بصحراء ولا بصخرة صماء ، وأنه حى - و القول بأن المريخ مأهول بذوات عاقلة قد يلوح للبعض غير مقنع أو أنه خيال - ولكن هذا القول على كل حال أقل غرابة وتطوحا مع الخيال من أقوال كثيرة تقذف بها الأساتذة وتناقش فى الجامعات الكبرى » .

ويقول ليوول :

« أقطع بأن المريخ مأهول بسلالة من الذوات العاقلة . وهذا القول قد يعارضه بعض الفلكيين الذين لم يساعدهم وضع مراصدهم من أن يروا كل ما رأيت وعرفت بأنه واقع فوق سطح هذا السيار . غير أن المستقبل كفيل بإثبات ما أذهب إليه إثباتا قاطعا »

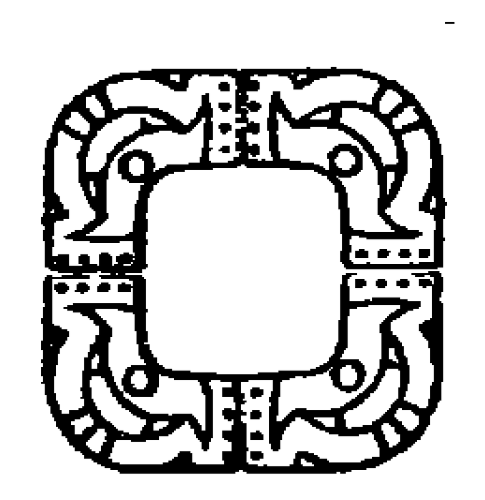
ويقول الاستاذ « كلين » من كولونيا :

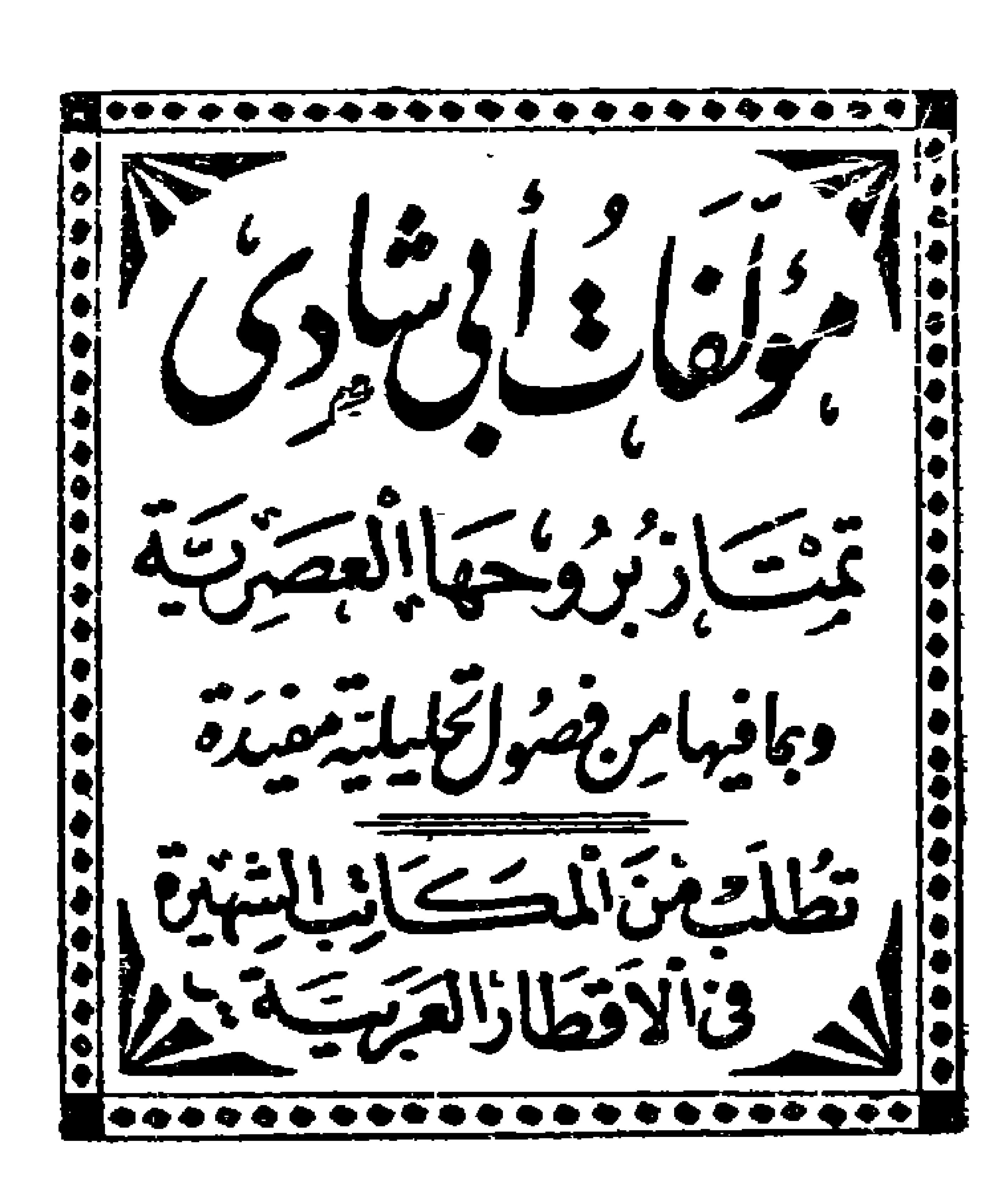
« إننا مسوقون الى أن نفرض بأن فى المريخ سلالة من الذوات العاقلة قد بلغت من التمدين مبلغا عظيما ، وأن بدء تمدينهم يرجع الى تاريخ أبعد من التاريخ الذى بدأت فيه مدنيتنا بعصور مديدة » .

ويقول كاميل فلامريون :

« لا يساورنى شك مطلقا فى أن المريخ مأهول » ؟

(اسماعيل مظهر)





المؤمنون

المؤمن حسب التعريف (الحديث) هو صاحب الفكرة المسروقة أو المستعارة أو المقتبسة أو المقدسة . هو رجل يدع هذه الفكرة تشغل كل حيز في مخه، ولابدع فان هذا الحيز غير متسع . هو رجل يعتد بآرائه مهما حوت من تخريف وسخف واذا لم تعجبه الآراء المعارضة عد اصحابها ملاحدة . فالملحد هو الذى يبدى فكرة لا تطابق من كل وجه الفكرة المحتلة لرأس المؤمن الصغيرة . ولاجل أن تكون مؤمنا يجب عليك أن تحبذ (هلوسة) أخيك المؤمن ، فلو قال ان العربية لغة الملائكة أو ان النيل ينبع من تحت العرش ، أو ان جماعة يأجوج يفترشون اذنا ويلتحفون بأخرى . لوجب عليك ، لكى تكون مؤمنا ، ان تظهر علامات السرور والاعظام . وإياك إياك أن تقول نعم فان هذه النعم رمز الموافقة ومن أنت أيها (الجهول) حتى توافق أو تعترض ؟ فاذا كان لسانك طويلا فامامك الفاظ تدل على الايمان مثل « أحسنت والله » « وزدنا أزادك الله من علمه » « ونفعنا الله بعلمك » اه

آه أيها السادة المؤمنون كدت أن أكفر والعياذ بالله . لم لم يخلق الله العقول متشابهة حتى كانت تصل الى نفس الاستنتاج؟ بل لم لم يخلق الله مؤمنا واحدا ويجعل البقية دون عقول حتى لا يجرؤون على التفكير لنواتهم ؟ بل لم شاء البارى أن يكون اليوم غير الامس والغد غير اليوم ؟ إيه أيها السلف الصالح خبرونا ما عندكم من قصص رمال الصحراء المحرقة ، وقصع الثريد ، والنهب ، والسلب ، وقتل الاسرى المستسلمين؟ إيه أيها السلف الصالح شنفوا أسماعنا بالجهل المطبق ، والانانية الغبية ، والتوحش المستحب . أوحوا الينا كيف نفعل فى عصر الالحاد الذى القتنا ظروفنا السيئة فيه . فاننا نأنف من لبس البلغ ونطلب (الجزم الاجلسيه)، ونحتقر كباب المهمين الطازج والنابت الجناب والمدمس اللذيذ حبا فى (البفتيك والروستو وسمك الميونيز) ،حتى المكرونة ، اقدمنا على اكلها ليس بواسطة (الشوك) الطبيعية ذات الخمسة الأصابع بل بواسطة

(فورشينات) آلية سخطها البارى فصارت باربعة اصابع والعياذ بالله . ايها السلف الصالح اهدونا الى الصراط المستقيم الذى كنتم تتبعونه وارشدونا الى كيف نفتك بالاطباء والصيادلة حتى نرجع للعلماء عهد كتابة الاحجبة وتمتمة التعاويذ والبصق على الجروح وكيف نمنع علوم الكفار من اجتماع ونفس واقتصاد لكى ندرس قصص الانبياء وتقويم البلدان بما فيه قصة قرن الثور و بحر الظلمات . آه واشغفاه لمنطق زمانكم القائل «القطة لها ذنب والحمار له ذنب فالحمار اذن قطة » . اهيوا بنا كيف نقتلع بدع العصر الحالى ، القضبان من تحت الارض ، و (الوابور) المسير بارادة الشيطان ، والتلغراف المحرك بالقوى السحرية ؟ ألا هبوا من جنات النعيم لتروا الارض سوداء مثل (الزفت والقطران) وفوقها بيوت تركض على عجل اطاره مرن تحوى حوراً اثداءهن معرضة للانظار و (كوارع تنسينا ميعاد الصلاة) وحتى الجوامع قد اصبحت مؤثثة ليس بالحصير فقط كما كان الحال فى مصلى الخلفاء بل دخلها سجاد حُبك على انوال الكفرة ، وتسلط على ظلامها نور الشيطان : فاذا ما مس خادم الجامع قطعة من الخزف شع نور شيطانى بين الثريات فيظن الناس الليل نهاراً . وادنياه وأسلاماه و اجهلاه كل حسن قديم كاد أن يصير أثرا بعد عين فالكفرة يتفرجون على بيوت الله كانها دور آثار ، ولم يبق الا جثث الأولياء الأطهار ، وعن قريب سوف تعرض أعضاهم لأعين النظارة بأجر بخس بضع قروش معدودات (أعوذ بالله بل بضع دراهم معدودة فالدراهم هى النقود الشرعية الا لعنة الله على فلتات اللسان)

أغوانى الشيطان الرجيم ذات مرة فأتيت أمرا فريا كيف لا وقد مست يدى (كتابا) ـ ولا كتاب غير المصحف الشريف ـ عنوانه علم النفس و مع أن الشيطان بذل جهداً عظيما ليفهمنى اياه فقد أخفق لحسن الحظ وذلك لأننى سئمت قراءة أقوال لا يمكن فهمها كانها زور و بهتان و كذب و تحريف. فالحمد لله على نعمة الجهل كيف لا وقد نشلنى من معصية تفهم ماهو مكتوب

ولذلك أحكم حكما جازما بأن علوم الكفار كلها بهتان وكيف لا تكون بهتانا وقد عجزت أنا عن تفهم سطر واحد منها انا العالم العلامة والبحر الفهامة واحد زمانه و مفرد عصره وأوانه ، أنا الذى أفهم كيف تنطق أبابيل كيف تلفظ كلمة سجيل، أنا الواقف على

أسرار الاستنجاء والوضوء والغسل والطهارة . وبعد أعمال الروية والتعلق بالعلوم الاسلامية أزال الله الضباب من عيني وألهمني مايجب فعله علي ، اذا جازفت بالقاء نفسي بين يدي الشيطان ونأيت عن طاعة الرحمن. فان من أوجب الواجبات ان يتصف الانسان بأحط الصفات فيستسلم للزنى والعياذ بالله لأن الزنى هو مفتاح العلوم الحديثة فأين أين زمانكم أيها الأبرار حين كان العلج منكم يقتل الرجال ليسلب نساءهم وبناتهم ليفحش فيهن باسم الدين مدعى انهن مما ملكت الايمان . اين انت أيها الوقت الذى كان يلوذ بكل رجل قطيع من النساء لا حول لهن ولا قوة فيمضي فيهن فسقا وفجورا وهو محتمى بالآيات البينات . كفرت الحكومة كما كفر الناس، ولا بدع فكما تكونوا يولى عليكم ، وكيف لا تكفر وقد حددت سن الزواج فمنعت الرجل الأبخر صاحب الستين من السنين من افتراس ابنة التسع سنين . واخجلاه مما تفعله الحكومات الحالية المدعية الاسلام زورا وبهتانا

سيدى القارىء (وسيد القوم خادمهم) حضرة كاتب هذا المقال ملحد بالثلث التخين ملحد بالتمام ولاملحد الا انا وكيف لا ألحد وانا أعتقد (واعتقادى ليس ايمانا بل فقط اعتقاد حاف) ان الله قد خلق لى عقلا ووهبني قوة التميز ولذلك لا اقدر على هضم اقوال كل مؤمن قليل العقل . انا لا اريد ان احتكر الايمان لذاتى ولا أجرأ على كيل التهم لمن يخالفني فى الرأى (ولو كان حمارا) كذلك ضميرى لا يسمح لى بان احل نفسى مكان الديان فانصب الميزان لا بقى جهنم لمن شئت وابقى الجنة بغلمانها وحورها ، بعسلها ولبنها ، بمائها الكافورى المذاق ، لى انا وحدى دون سائر البشر

وانى لا أتمالك من التجديف فاصرح بكل وقاحة بانه اذا كان مصير المؤمن (الألامود) الجنة فانى قد تنازلت عن نصيبي حتى لا اجتمع مع أولئك الحيوانات (حتى فى دار النعيم) لانى لن استطيب العيش بين السائمة حتى فى رحمة الله

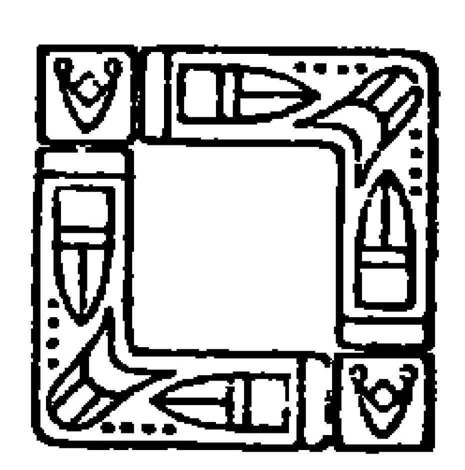
اللهم عجل باخذ طائفة المؤمنين الى عدن او الى المحاريق او الى السودان ونجى الارض من برهم فقد اصبحنا اضحوكة بين الامم بفضل ايمانهم (وعلمهم) وغباوتهم انك انت السميع المجيب

اللهم يكفى الاسلام ما علق به من التخاريف والسخافات فاقبض ارواح أولئك

المخلوقات الاثرية حتى نستمر فى التقدم وترتقى افهامنا فنعرفك حق معرفتك . اما اذا كانت لك حكمة فى الابقاء على طائفة المؤمنين كما ابقيت على جراثيم الكوليرا والطاعون والتيفويد تجربة للملحدين اللهم الهمنا الصبر فانت على كل شىء قدير

المقر بما فيه — حسين محمود

ملحد درجة اولى



تنبيه

استفهم بعض حضرات القراء عن عنوان رئيس جمعية نشر الالحاد الاميركية فتلبية لطلبهم نقول انه كالآتى :

Mr. Charles Smith,

President of the American Association for the Advancement of Athiesm,

119 East 14TH. Street,

New York , (N.Y.)

U. S. America.

العائلة تتفوض

اذكر انني لما كنت فى القسم الابتدائى قصدت والدى وكان من كبار موظفى المديرية باكيا شاكيا اسأل كيف يلبس ابن المدير بذلة قطيفة وابن رئيس الاطباء يحضر بعربة وابن الحكمدار يحمل له احد العساكر كتبه حين انى اذهب للمدرسة سائرا على قدمى وبذلة مثل (الخيش) فضحك والدى المرحوم ثم قال اليس عندكم ابن سقى وابن محضر وابن طباخ ؟ فقلت ولكنك بك ولست طباخ فقال وانا اعيش مثل البكوات وليس مثل الطباخين فقلت ولكن الست انا ابن بك فقال لا بل انت تلميذ مدرسة مثلك مثل كل التلامذة فبدلا من ان تنظر الى الاولاد (المدلعين) انظر الى الاولاد الذين يريدون ان يدرسوا ويفلحوا وعندما تربح اصرف من ربحك قدر ما تشاء فيما تريده دون ان اتحكم فيك . رحم الله تلكم الايام حين كان لنا تعيينات من الثياب الرخيصة وخمسة مليمات مصاريف نثرية كل يوم . حقيقة لما دخلت المدارس العالية اختلف الحال قليلا فكنت اقبض كل شهر جنيها واحدا بصفة (مرتب) لمصاريفى ولشراء الرفائع مثل مناديل وخلافه ولكن كانت المسارح حتى والسينمات من الاماكن التى لا ندخلها الا مع والدنا كل عدة شهور مرة وكثيرا ما كنا نوفر جزءاً من مصروفنا نغرى به والدنا على تسديد الباقى ودفعه أجرة للدخول .

وكنت فى ذلك الوقت تعرف تلامذة المدارس من ملبسهم المتواضع ومن الاماكن التى كانوا يغشونها ، حتى (المدلعون) من التلامذة كانوا يقضون أوقاتهم فى قهوات مخصوصة تسمح ايراداتهم بالجلوس على كراسيها . فى ذلك الوقت كنت تعرف ابن الغنى المدلل والوارث الجديد من بين شبان المدارس وشتان بين هذين وهؤلاء .

وأما الآن فقد اختلف الحال عن ذى قبل ، ولا أقصد ان أقول كما كان يقول اباءنا ان الماضى كان نقيا طاهرا لا تشوبه شائبة من الدنايا فهذا كذب فالدنايا كانت كما هى وكما ستكون ، ولكن ما أريد أن أقوله ان تلميذ المدرسة كان غير تلميذ اليوم والشاب غير الشاب

يلبس الطالب الآن بذلة (ألامود) يدفع ثمنها بالتقسيط ويضع فى فمه سيجارة

(اكسترافين) و يمسك بيده عصا مزخرفة وأما محفظته فغير محرومة من ورق البنك وفي جيبه عدة ريالات زيادة عما سبق بيانه واذا ماجلس فعل ذلك فى جروبى الجديد أو فى صولت أو فى غير هذين المكانين الذين لم أدخلهما للآن ولا أعرف غير اسمهما فتوسط مصاريف هذا الشخص خمسة جنيهات ، ماعدا ما ينهبه من والدته وما ينهبه من اصدقائه باسم (سلف الله ودينه)

وابو هـذا الشخص ، اذا فرض ولم يكن له غيره، يقتر على نفسه و يسوكر بذلته (السكلانس) وأما والدته فتقضى وقتها شتاء وصيفا بقميصين من الباتستا و يافرحتها بشباب (المحروس سى محمد) . وأما اذا كان له أخت فلا يشترى لها والدها الا التزييرة (شيك آخر مودة) وطقم ملابس ظاهرية لتخدع النظارة وأما خير البيت ففى جيب (سى محمد)

ولما ينهى حضرته دراسته (بعد عمر طويل) ويقبض الكام قرش يظل على والده ضيفا عزيزا دون أن يتألم والده الذى يسر بالعكس لان سى محمد (أو هو) يجيب مصروف جيبه . ولا يعرف الوالد الغبى ان سى محمد بدأ لا يتغذى بالنابت وكره الطعمية والملوخية القرديحى و بدأ يتطلع الى زوج حمام و رطل كباب ولكن من حساب الوسية وليس من حسابه. و تتحرك أمه لكى تزوجه دون أن تقدر للمستقبل أى حساب لأنها قد تعبت من (الخدمة) وتريد لبيتها خادمة (هاى ليف) فما تزال تلوك (المحروس ابنى محمد بك) إلى أن تقع فى حبائلها ابنة تحاسنها أسبوعا من الزمن ثم ينقلب البيت ساحة حرب بين أم سى محمد وأم ست عطيات و تأخذ ست عطيات جانب امها بالطبع واما سى محمد و ابو سى محمد فلكل منهما اذن من طين واخرى من عجين والله يحب الستر واذا كانت لسى محمد شقيقة انضمت الى امها وهات ياغضب وهات ياخناق وهات ياصلح وهات ياطلاق وهات يافتاوى مرة ومرتين وبعد الثالثة يدخل المحلل وكفى الله المؤمنين شر القتال . يحدث كل هذا وسى محمد (واد تقيل) لا يهمه يبقى مع امرأته فى بيت ابيه او بيت ابيها ما دام هو الرابح فى كلتا الحالتين ولكنه لا يفكر ابدا فى ان ينشىء لنفسه بيتا فاله ومال هذه (الخوتة) مادام هناك رجلان وامرأتان يذوبون شوقا ليشرفهم بوجوده مع امرأته عالة عليهم إلى الأبد

و اذا رجعت كفة والدى ست عطيات انتقل سى محمد وامرأته الى بيتهما تاركا والديه يعضان بنان الندم ولا يخطر بباله انهما قد رباه فمن لزوميات الانسانية ان يشرق بطلعته عليهما كل اسبوع مرة بالأقل ومع هذا تبذل امه جهدا كبيرا لكى تربح الموقعة المقبلة فتفتح عينيها (عشرة عشرة) ولكن العدو يكون مقدرا هذه الظروف حق قدرها ولذلك يكثر سى محمد من أكل البغاشة ويشارك امرأته فى أكل المفتقة (المرصعة بالصراصير) التى تصنع خصيصاً لها حتى تسمن ويسمن معها (كيداً فى العوازل) أما إذا استكنت عطيات هانم فى بيت زوجها (استغفر الله بل فى بيت والدى زوجها) ، وذلك أما لأن زوجات اخواتها (يهلكون بدنها) دون أن تقدر أمها على تحريك شفتها أو لأن أمها توفت وحلت غيرها محلها أو لأن امرأة أبيها أعز عنده من أمها تصبح المسكينة فى بيت حماتها كبقرة النمل تباع صيغتها الفك ضرورة وما أكثر الضرورات وإذا اشتكت الويل لها من حماتها فان البنات ملقحين فى الحوارى زى النمل بالزوقة فلا ملابس ولا ...ولا . . . واذا لم تتوالى هدايا اخوتها و والدها تحتقر اشد الاحتقار وتسمع من الكلام ألذه وأشهاه وتمنح القاباً فخمة مثل (ياشحاته يللى لقحك أهلك يللى ... يللى . . .)

وبعد مضى مدة تجد الأم أن ابنها أكبر من أن يتزوج امرأة (سنكوحة) مثل المصيبة التى بلاه الله بها فتبتدىء تخطب مع شىء كثير من (التقمع) لمحمد بك فمن منزل باشا إلى منزل بك إلى منزل مثرى وتشترط ان يكتب الصهر المنتظر للهانم الصغيرة أبعادية أو عمارة خاليتين من رهن و وقف واذا ماسئلت عن مركز العريس قالت (يوه اسألوا عنه فى الديوان ده أفندى وجدع حليوة صلاة النبى أحسن)

اعرف كثيراً من الازواج يعيشون عالة هم ونساءهم وابناءهم وخدمهم على اصهارهم دون أن يساعدوا ولو مساعدة جزئية فى مصاريف ادارة المنزل . و بعضهم يكل عملية الانفاق على زوجته وأولادها إلى والدها هذا إذا كان شريف النفس و لايقترض لمواعيد غير معينة من نسيبه

وأعرف نساء سرق أزواجهن وأمهات أزواجهن مصاغهن ثم حرمنهن من قطعة قماش تستر أجسادهن دون أن يجرأن على الاحتجاج خوفا من الطلاق .

وأعرف زوجات مهددات فى كل آن وآخر بالطلاق وحلول غيرهن مكانهن ولا يعرفن ما يمكنهن أن يصنعن إذا تم ذلك

وأعرف نساء يزوجن ويطلقن أولادهن حسب مشيئتهن دون أن يظهر الولد أقل امتعاض

وأعرف أخوات يطردن عرائس اخوتهن على اساس أنه لا يجب على الأخ أن يتزوج قبل أن (يصطاد) عريساً لاخته

الولد الحديث يسرف دون أن يهتم بما إذا كان والداه يقتاتان هما واخواته بما فيه الكفاية أم لا

الولد الحديث بالوعة توصل ثروة عائلته إلى جيوب مانولى وغيره من الراقصات الخ

الولد الحديث كالطاووس يحمل ريشاً ثمينا على جسد نتن

الولد الحديث يعيش متطفلا إما على والديه واما على صهريه دون أن يشعر بخجل

وأما البنت الحديثة فليست الا خادمة او جندى ينازل أمثاله من الجنود النساء لاكتساب رجل ضعيف سافل منحط ليس فى وسعه حمايتها بالاقل

مادامت المرأة لا تجد لها صناعة الا أن تكون « مبولة » للرجل فقل على أمتنا السلام . كيف تريدون من المرأة المتعلمة أن تلقى نفسها بين مخالب لصجبان وتحت رحمة امرأة جاهلة غبية

انتبهوا فان الثورة النسائية على الأبواب ولسوء الحظ أنها ليست ثورة مشرقة بل ثورة تهتك . فالمرأة تريد أن تتحرر وكيف يتيسر لها ذلك وليس لهاأمل الا فى أن تكون ملكا لرجل يلقى اليها بفضلات طعامه

حقيقة أن فى الغرب ثورة نسائية ولكنها ترمى الى المساواة بالرجل . هناك ثورة ضد الزواج ولكن القصد منها جعل الزوجين شريكين . وأمامنا فالثورة ثورة تهتك مؤسسة على الجمود الدينى وبفضله عم فتياتنا الجهل . وما الذى تفعله الفتاة الأن تقتنص رجلا ثم تناضل كى تحتفظ لنفسها به

ان قانون الأحوال الشخصية دواء ولكنه لا يضمن الشفاء فيجب أن نساعد المرأة على التحرر ويجب أن نغير برامج المدارس حتى تصبح للرجال عزة نفس

و رجولة كافية لتجبرهم على تحمل المسئولية : اصبح الزواج فى مصر جناية واصبحت منازلنا مستشفيات تحوى من المجانين عددا وافرا

ماالفرق بين المرأة التى تدأب على اغراء زوجها بنفسها كى لا يتركها الى غيرها فاذا ما تركها تزوجت من غيره ومن ثالث ومن رابع اه واذا ما طلقها ثلاثا القت بنفسها بين يدى المحلل ليقضى منها وطره باسم الدين والشرع والاله لتتمكن من الرجوع الى الرجل الاول مرة ثانية وذلك لتعيد المأساة من اولها ما الفرق بين هذه المرأة وبين التى تبيع عرضها من اجل ان تأكل ؟ اليست الثانية اشرف من الاولى فانها على الأقل لاتتحرك لاثارة شهوة الرجل الا اذا احتاجت الى الطعام ؟

عمر عنايت

فلسفه نيتشه

عن « هنرى ليختنبرجيه »

الأستاذ فى السوربون

— ١ —

احسب أن النظر فى تآليف « نيتشه » على اعتبار أنها مجرد بيان لنظرية فلسفية يعطى عنه فكرة خاطئة كل الخطأ . وكذلك اذا حصر الباحث كل اهتمامه فى جمع الآراء والمبادىء التى بثها نيتشة فى تآليفه بلا رابط يصل بين اجزائها، و إفراغها فى مذهب جامع منطقى بقدر الامكان . ولست أشك فى انه يحق للباحث أن يبنى « مذهبا » من هذا النوع ، بل انه لابد فى رأيى من العكوف على هذا العمل التكوينى متى كان الغرض انصاف « نيتشه » كمفكر وعدم الاقتصار على الاعجاب به سطحياً ككاتب عظيم الذكاء وخلقى نافذ الرأى، صاحب فكرات باهرة أوحكم وأمثال بارعة .

غير أن أهم ماينبغى أن يعنى به الباحث قبل درس مذهب « نيتشه » واستخلاص فكرته الرئيسية بل واعترافاته وجمع شتات الحقائق المجردة التى بثها فى تآليفه ، تلك الحقائق ذات الاهمية العامة يجب أن ينحصر فى درس الظلال الحية لخلقه الفردى الذاتى ومزاجه الفريد فى طبيعته والاعتراف الخالص الممتع لروحه ذات النفحة النادرة .

ذلك لأن فلسفة نيتشه ذاتية محضة : قال « اتدرى ماالذى يقوله لك ضميرك؟ ينبغى أن تكون كما خلقت » . اذن يجب على الانسان قبل كل شىء أن يعرف نفسه. أن يعرف تركيبه الجسمانى كل المعرفة وأن يعلم غرائزه وملكاته وعليه بعد ذلك أن يجعل قاعدة حياته مطابقة لشخصه وأن يقيس مطامعه باستعداداته الوراثية والمكتسبة وأن يستخلص أوفر نصيب ممكن من مواهبه الطبيعية ومما يتفق له فى حياته من الحادثات، وأخيراً يهذب بقدر مايستطيع طبيعته بالفن لكى يصبغ خلقه وحياته بصبغة خاصة . ولكل أن يخلص من هذه المهمة كما يستطيع ، فليست هناك قواعد عامة شاملة يصير بها الناس كما هم . ومن عقائد نيتشه الراسخة العميقة التفاوت الطبيعى بين الافراد . وأن كل امرء يخلق لنفسه حقيقته وقانونه الادبى . فان مايصلح لاحد الناس أو يفسده أو ينفعه أو يضره

لايكون بالضرورة كذلك بالنسبة لغيره . اذن فكل مايستطيع المفكر ان يفعل فى آخر الامر هو أن يقص على الملأ قصة روحه وأن يرشد الى الطريق الذى اهتدى فيه الى نفسه والى العقيدة التي ارتاح اليها ضميره و وجد بها السلام الداخلى وأن يستحث معاصريه بالمثل الذى اتبعه ليقتدوا به وأن يبحثوا فى انفسهم وأن يهتدوا الى ذاتيتهم :ـــ

وليس لنيتشه مذهب بالمعنى المتعارف ولم يرد أن يكون راع لقطيع وديع . قال زاراتوسترا الى انصاره (أنى أسير فى الحياة وحدى، أيها الصحاب. فعليكم أن تسيروا فيها وحيدين، كذلك هى مشيئتى. وفى الحق أنى اقدم لكم هذه النصيحة: فارقونى وتجنبونى بل اقول لكم ماهو اكثر من ذلك وهو أن تحذروا من زاراتوسترا فلعله يخدعكم . تقولون إنكم تؤمنون بزاراتوسترا ولكن أى خطر أو اية اهمية لزاراتوسترا. تقولون إنكم المؤمنون بى. ولكن أى خطر وأية أهمية للمؤمنين إنكم الى الآن لم تبحثوا فى انفسكم .وقد اهديتم الى ولذلك يعمل جميع المؤمنين فاذا لم يكن لاية عقيدة خطر ولا أهمية فذلك لان جميع المؤمنين لاينظرون فى انفسهم قبل أن يهتدوا الى زاراتوسترا . والان آمركم بأن تتجاهلوا وجودى. وأن تهتدوا الى انفسكم ومتى انكرتم لدى كل شىء فاذ ذاك فقط اعود اليكم)

و يمتاز نيتشه عن سائر أصحاب المذاهب انه لم يدع تبشير الناس بعقيدة جديدة أو مجموعة مذاهب موضوعة بل يختلف أيضا عن أغلب الفلاسفة و رجال العلم بانه لايخاطب العقل وحده و انما يخاطب الانسان كاملا. وما أقل احترامه للعقل البشرى أو مايسمونه روحا و يرى الشعور و الذكاء من أدوات او ألاعيب قوة خفية تسيطر عليهما و تستخدمهما فى غاياتها. قال «من وراء عواطفك وآرائك ياصاح يقوم سلطان شديد البأس و حكيم مجهول يدعى « الذات » . أنه يسكن جسمك حتى يكون كجسمك فالجسم بغرائزه وما أوتى من من ارادة فى القوة تنعشه و تحييه هو ما عناه نيتشة باسم العقل الكبير للانسان أما عقله الصغير الذى يفخر به و يزهو غالبا بتحرره وسيادته فليس سوى أداة ثمينة فى الحقيقة ولكنها أداة غير كاملة وسريعة العطب يستخدمها « الذات » لبسط سلطانه . إذن لاغنى للانسان اذا أراد أن يكون صاحب نفوذ على انسان آخر عن الاصغاء الى ذلك « الذات» الخفى . وان كل ماعداه لاقيمة له

وانه لمن أكبر المحال الاستعانة بالمنطق على تأليف مذهب فلسفى والاصرار على اقناع الذكاء بالأدلة العقلية . فان الأحكام العالية التى تدبر حياتنا و تسيطر على أعمالنا وتحدد الخير و الشر : تحدد ما أسماه نيتشه بلوحه القيم . ، ليست مما يبرهن عليه بالعقل. فالانسان « يعيشها » من بعض الوجوه . وخير تلك الأحكام ، والقوانين العالية أشدها مساعدة على ترقى الفرد أو النوع .

من ذلك يرى نيتشه أن الكتاب لايخرج عن كونه «عملا» ـ ليس مجرد ثمرة فكرية ـ فاذا هو أراد التأثير فى معاصريه فانما يؤثر فيهم بشخصيته و بكيانه الكامل لا بمعارفه و لا بعلمه و لا بما هو عام وغير شخصى فيه .ولا يقف للملأ موقف المفكر بل موقف النبى. ولا يقول للناس « انى أحمل اليكم الحقيقة ـ الحقيقة العامة غير الذاتية والمستقلة عن شخصى التى ينبغى لكل عقل بشرى أن ينحنى أمامها » و انما يقول لهم « هاأنا ذا بغرائزى و معتقداتى وحقائقى و باغلاطى أيضا . هاأنا ذا كما خلقت .أجيب « بلبيك » للوجود ولجميع أفراحه و بأسائه على السواء . فانظروا فيما اذا كنتم تجدون سعادتكم فى الأفكار و المبادىء التى كونت سعادتى »

على أن أغلب الفلاسفة يعلقون مجدهم باستقلال مذاهبهم عن أشخاصهم وتجردها من ذاتيتهم . وانما جعل نيتشه من شخصيته نفسها مدارا لفلسفته فقضى حياته ينظر فى نفسه و يبحث فى ذاتيته و يشركنا فى نتيجة بحثه . وليست فلسفته سوى تاريخه الروحى وما« زارا توسترا» ذلك المثل الأعلى للمفكر والرسول الذى وصف لنا صورته الأدبية بأسلوب شعرى جذاب إلا مثالا جامعا تتجسد فيه أخلاقه وطماحه بل هو من بعض الوجوه الصورة الحية لمذهبه . إذن ينبغى أن نبدأ ببحث شخصية نيتشه كما تبدو لنا فى تواليفه و فى مذكرات أقاربه و أصدقائه

*
* *

هناك اسطورة كان يسر « نيتشه » أن ينزلها منزلة الحقيقة الثابته تنسبه الى أسرة بولونيه نبيلة باسم « تيتزكى » نزحت الى المانيا فى أوائل القرن الثامن عشر على أثر الاضطهادات الدينية التى كان البروتستانت هدفا لها . و من الممكن اذا سلمنا بصحة هذه الاسطورة ـ أن شيئا من الدم النبيل كان يجرى فى عروق نيتشه ـ أعاننا ذلك على

إدراك السر فى تغلب الغرائز الارسطقراطية عنده . تلك الغرائز التى يظهر أنها لم تكن مألوفة فى الوسط البورجوازى المتواضع المهذب الذى ولد فيه . وهو مع ذلك ابن قسيس (زاع) من قساوسة الريف البروسى . إلا أنه يبدو لنا منذ طفولته ذا طبيعة ممتازة على جانب عظيم من النشاط والتهذيب ، الى جاذبية وعواطف حارة فيه . وهو ما يقيم وجه الشبه بينه وبين ذلك المثل الاعلى « للسيد » أو الانسان الكريم المحتد الذى عنى فيما بعد بتصوير غرائزه ومعتقداته الادبية . وقد تعود وهو بعد فى سن الحداثة أن يمتلك زمام نفسه ويتغلب عليها ويتحمل الآلام الطبيعية بصبر وثبات . وكان يحترم نفسه ويحافظ على أن يكون محترما من الآخرين دقيق الملاحظة للاشكال والاساليب الحسنة وكان ميالا الى العزلة ينفرد بنفسه معتزلا اصدقاء اولئك الذين كان يضطرهم الى احترامه بتأثير سمات الجدارة المبكرة التى كانت تبدو عليه . النبل فى هيئته واعتداده بنفسه ومشيته وسلوكه ولم يخص بصداقته إلا اصفوة مختاره من أصحابه

وأخيراً امتاز نيتشه بفطرة النفور من كل اسفاف وعامية فى الطباع والحذر من كل صلة مريبة والعناية الدائمة بالنظافة سواء كان من الوجهة الطبيعية أو الادبية . وما أشد ما كان يهوله الكذب . ومن عباراته المأثورة الى أخته « أن نبيلا من آل « تيتزكى » لاينبغى له أن يكذب » قالها وهو بعد صبى ، ومازالت هذه الفطرة الاريستقراطية التى نشأت فيه وهو طفل تنمو معه وهو رجل الى ان صارت من مزاياه الخلقية . ويبدو لنا « نيتشه » سواء كان فى حياته أو فى كتاباته مثال الارادة القوية المسيطرة والقلب الرقيق الفياض والروح المنجذب كل الانجذاب الى الجميل والى المبتذل ، الى المتناسب والى الشاذ على السواء

ويجب أن نقول أن نيتشه نشأ بروح ذا ميول غير عادية . نشأ يمقت الضعف والتردد . يعبد القوة فى الارادة والارادة فى القوة . وان من بين شخصيات « ابسن » المسرحية بل من أجلها وأعظمها وأشدها فجيعة انما هى صورة القسيس « بران » الذى سلك الطريق ، الذى رسمه لنفسه مخلصا لمبدأ « كل شيء او لا شيء » دون أن تنهنه من عزبة العوائق ودون أن تداخله الشفقة على نفسه أو على الآخرين ، فضحى دون تردد فى سبيل غايته بسعادته وسمعته وحياته بل بسعادة زوجه وحياتها وطفلها . وما زال

يشق الطريق الوعر الى تلك الغاية دامي القدمين ممزق الفؤاد . في بطولة رائعة مروعة حتى اليوم الذى رسبت فيه روحه المعذبة فى دياجى الجنون والهلاك . ولا يكاد يختلف « نيتشه » عن « بران » فهو أيضا رجل « كل شيء أو لا شيء » . وهو على مثاله يسعى الى الغاية القصوى فى تحقيق ارادته دون أن يعتوره التردد أو الفتور أمام أى عائق . ولولا أن نيتشه رجل تأمل وتفكير لا رجل عمل لكانت بطولته منظورة ظاهرة . ولولا أننا لم نألف الا فى النادر أخذ الأشياء الفكرية مأخذ الفجيعة والاسى لما وجدنا أدنى صعوبة فى ادراك أن من الممكن أن نضع فى ميزان واحد لا ترجح احدى كفتيه على الاخرى بطولة الجندى والمبشر والرحالة المستكشف الذى يتألم ويهلك فى سبيل الوطن أو الدين أو العلم وبطولة الفيلسوف الذى يضحى من أجل مطالب عقله الجامح أبدع أحلامه وأعز ما يعجب به . ويرغم على أن يفكر فى فكرته الى منتهى حدود التفكير؛ الى النتائج الاخيرة. ونحن اذا قارنا آلام التفكير بالآلام الطبيعية نظرنا الى الاولى بشيء من عدم التصديق. ولم يتأيد لدينا أن من الممكن مقارنة أخطار الخطوات الجريئة المجازفة فى التفكير بالمصادفات الخطيرة فى حياة الواقع . واراني مضطرا الى التسليم بأن هناك طبائع شاذة تعد الجهاد التفكيرى فى العزلة بآلامه الخفيه وأخطاره غير المنظورة بالنسبة اليها حقيقه واقعة أخطر وآلم من معارك الحياة التى يحتاج المرء لمواجهتها دون ضعف و شق الصفوف فيها ببسالة. الى تلك القوة عينها ، قوة الارادة والثبات التى هى سر بطولة الجندى المحارب واعتقد انه كان يحق لنيتشه أن يضع فى رأس أحد تآليفه دون يكون هازلا عبارة « تورين » المأثورة « أى كاركاس . ويحك أترتعد ؟ سيزداد ارتعادك متى علمت الى أين أقودك »

وقد كان نشاط نيتشه الادبى ملطفا كما هو ملاحظ عند الكثير من ذوى الطبائع القوية بالحاجه الكبيرة الى الصداقة والى الاعجاب والعطف . كان قلبه فى احتياج الى جو ودى عاطفى يستطيع ان يرتع فيه بحرية . ولم يعدم فى كل حقبه من حياته الاصدقاء الذين احبهم من كل قلبه . وينبغى ان نذكر انه كان لبعض صداقاته نهاية محزنة . وفى الحقيقة انه لم يكن ينظر الى اصدقائه الا من الناحية التى يتجلى فيها جمالهم . ولا تخلو هذه العادة من خطر .

غير ان نيتشه كان لا يداخله اى حسد . سريع التأثر بكل ما يمكن أن يكون فيمن حول من الصفات الجليلة . وكان يميل الى الاستعانة بخياله على تجويد صورهم . فيهبهم من الجمال والعظمة والهيئة ما ليس عندهم فى الحقيقة . ويتعامى عن عيوبهم فى حماسته الودية وحرارة اخلاصه ويصطنع لنفسه فى آخر الامر صوراً دقيقة قريبة الشبه لاصدقائه ولكنها ملطفه بالخيال كما لوكانت صورة لمصور كبير .

كذلك بلغ من شغفه وعبادته لشوبنهور وريشار فجنر ان صار كل منهما تحت تأثير خياله المتحمس الملتهب المثل الاعلى للفيلسوف والفنان ورفع تآليف «بول ريه» وهو مفكر من الطبقة الثانية امتاز بتدقيقه ـ الى مقام اسمى بكثير من قيمتها الحقيقية مدفوعا بأعجابه المفرط بذلك المفكر .

واذا كانت ملكته فى تجميل صور اصحابه قد مكنته من ان يتذوق بقربهم اصفى ضروب الابتهاج واكملها فقد كانت له مصدر خيبة قاسية . إذ اضطر ان يعترف بالفارق الموجود بين الشخصية الحقيقية التى حازت أعجابه وحبه والشخصية الخيالية التى يحنها قلبه حين لم يفقد الاحساس بالحق عنده حقوقه ولم تتطرق الى تدقيقه واستمساكه بالصدق فى التفكير أى إلى ميل الى الوهم

ومن جراء ذلك كان ما كان من وجوه الخيبة التى لم يكن فى الوسع اتقاؤها والقطيعة التامة بينه وبين بعض الذين كانت تربطه بهم صلة المودة أو الاعجاب الجم . وسنرى فيما يأتى قصة علاقاته مع « فجنر » الذى أشهر بصفة مدهشة ذلك التقلب الذى كان يعترى مودة نيتشة وصداقته

إلا أن عدم ثباته الظاهر فى الصداقة الذى كان أليم العاقبة بالنسبة لمن تكبدوه والذى كان حكم النقاد عليه قاسيا قد ما كان يعترى مودة نيتشة من التطور . إلا أن تقلبه الظاهر فى الصداقة الذى كان من أشد ما آلم الذين تكبدوا عواقبه والذى كان حكم النقاد فيه قاسيا لم يخل فى الحقيقة من مبدأ فى عاطفة الكرم وفى الحاجة الى الاعجاب وإلى الاجلال .

وكان نيتشة على نقيض تلك الطبائع المنطوية على الحسد وعلى نقيض النقاد الذين لا يرون فى الرجل العظيم إلا نقائصه

وظل فى فطرة عبادته للجمال وللعظمة يأبى أن ينظر فى نقائص أصدقائه كلما مكنته

الفرص من ذلك . وإنما كان يؤلف منهم أسطورة بديعة ويبالغ فى تقديرهم وإن كان يعود إلى تصحيح حكمه أو تغييره . ولعل ذلك من سقطاته ولكنه صادر عن « وح نبيل

كذلك كانت الصداقة لنيتشة ينبوع مسرات وأتراح . وربما كانت أسعد أوقات حياته ترجع الى الصداقة . وإليها أيضا ترجع وجوه الخيبة التى مررت حياته وجعلته دائما فى عزلة عن الناس . وكان من أشد آلامه شعوره بأنه لا يستطيع أن يتصل بأصدقائه اتصالا تاما وأنه منساق الى العزلة بطبيعته الشاذة وبما كان يتصف به من الاعتداد والعظمة، كتب فى رسالة الى أخته : « ان شر أنواع العزلة استحالة الاتصال بالناس. وان اختلاف الطبائع انما هو نقاب لا منفذ فيه، أشد وأدهى من أى نقاب حديدى. فان الاتصال الحقيقى الشامل الكامل لا يكون الا بين متساوين، نعم متساوين! ويالها من كلمة ساحرة كلها عزاء وأمل وفتنة وعلى الأخص لمن اختار سبيل العزلة . ولم يصادف بعد أية مخلوقة على شا كلته . لم يصادف قط الانسانة التى خلقت خصيصاً له والتى لاينى عن البحث عنها فى كل سبيل . »

وانما تبدو طبيعة روح نيتشه المهذبة الرقيقة فى علاقاته مع النساء . ومن هذه الوجهة جحد طبعه الحقيقى جحوداً مستغرباً . وتألفت من حول اسمه اسطورة تنبىء بانه على مثال استاذه « شوبنهور » عدواً لدوداً للمرأة . وترددت فى كل مكان العبارات القاسية المنقولة عنه من نوع « اذا جئت المرأة فلا تنس الكرباج ! » أو « لاتخلو المرأة المشتغلة بالعلم من انحراف فزيولوجى » ولكن هذه الأسطورة تضمحل متى نظر الباحث فى تآليف نيتشه عن كثب ومن طريق اقرب . فانه لايلبث أن يلاحظ ان المرأة التى خصها نيتشه بمقته وقسوته انما هى المرأة التى تحررت وسعت فى منافسة الرجل فى ميدان الأدب والعلم والاقتصاد . واذا كان نيتشه قد حمل على المرأة المشتغلة بالتأليف أو الكاتبة فى الادارات والمكاتب فقد احترم حواء ذات الأنوثة الخالصة وخصها باجلاله الصادق وعطفه . وبدا منه ذلك الاحترام الفطرى نحو النساء اللاتى اقترن منه فى حياته الخاصة . وكان يخلص لهن الود ويفضى اليهن بدخيلة نفسه : شقيقته مدام فورستر نيتشه التى روت لنا تاريخ حداثته ودراسته فى الجامعة . والآنسة ملفيدا دى ميزنبوج صاحبة كتاب عن نيتشه بعنوان « مذكرات مفكر مثالى ايديا ليست » . ومدام

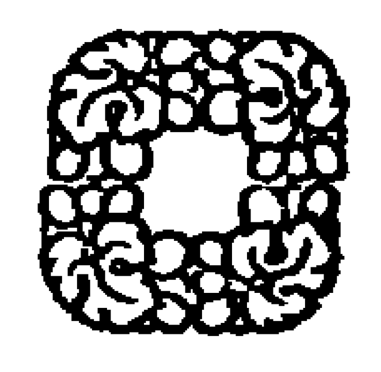
« اندريا سالوميه » التى بث اليها فى حقبة من حياته همومه الفكرية والأدبية او مدام « أوت » التى تعرف عليها فى « بايريت» والتى بعث اليها برسائل رقيقة بليغة . ويستخلص من القليل الذى نعلمه عن علاقاته بالنساء انه لم يعهد فى حياته الحب العنيف وثوراته وانه لم يكن قد استمتع بحلاوة العطف النسوي . وقدروت اخته، عشيرة أيام صباه ، انه لم يعرف لا الحب العظيم ، لا الحب العادى المنتهك « كان غرامه الوحيد مقصوراً على البحث عن الحقيقة : فلم يتح له أن يشعر إلا بالعواطف الملاطفة ولم يوفق الى الحب الشهوى . اذ كانت ميوله نحو أية حسناء تستحيل على عجل إلى صداقة ومودة حلوة رقيقة » . وفى الحق ان نيتشه كان يحب بروحه وقد تجرد الحب عنده من كل عنصر شهوى أو أن ذلك العنصر الشهوى كان يستحيل الى نوع من الود المجرد من كل انانية . ولم يكن نيتشه الذى عاش فى العزلة من كبار العاشقين مثل « جوته » أو من العشاق الذين ينظرون إلى منتهى حسن المرأة مثل « شوبنهوور » . وانه ليبدو لنا مثال المفكر « المثالى » فى الحب وفى الصداقة وكان هذا المنهج السامى المهذب فى الحب طابعاً حلواً فى خلق نيتشه .

وهناك سمة أخرى تميز نيتشه تميزاً خالصاً كأرستقراطى ، هى ميله الظاهر لكل ما هو جميل صاف وظريف، ومقته لكل ما هو مبتذل، قذر ، عامى ، مبتذل .هذا الذوق القوى الغلاب الذى عزله وهو صبي عن رفقائه فى المدرسة وجعله فيما بعد يكره حياة الطالب الالمانى المطلقة و ادمان شرب الجعة (البيره) انما يتجلى فى نيتشه بالقوة الاصلية للغريزة الطبيعية الصحيحه . ويفيض فى كتاباته ويفسر وجوه ميله ونفوره . وهذا الذوق منشأ حبه للحضارة القديمة وعصر النهضة « الرينسانس » والثقافة الفرنسية فى القرنين السابع والثامن عشر واعجابه الجم بفرنسا العصرية وقد أملى عليه كراهته للعامية المبتذلة ، عامية الطبقة السفلى . واحكامه القاسية على أغلب الرسل — رسل المسيحية — واعتقاده انه استشف فى كل منهم روح عبد . وحكمه على « لوثر » الذى كان يكره نفسية الفلاح العادي فيه . وكذلك سائر احكامه على الثورة الفرنسية والحركة الديموقراطية و النسويه او الفوضوية فى العصر الحديث . وصرامته البالغة فى الحكم على الامبراطورية الالمانية والثقافة الالمانية العصرية . واما ذوقه فى الحكم على هذه المسائل فمهذب ودقيق

بصفة غريبة . وتكاد تحليلاته كلها تنتهى بملاحظة انهذه العاطفة او تلك شريفة او غير شريفة . واذا كان قد ازدرى الغرور فلأنه كان يرى روح عبد فى ذلك الذى لايحترم ذاته الا اذا حصل على تصديق الآخرين . واذا كان قد حكم على الشفقة حكما قاسيا فذلك لانه رأى ان من واجب النبيل الروح ان يستر بأساءة ، وألا يتعمد الاطلاع على بأساء الآخرين او يحمر وجهه اذا لاحت له بالمصادفة . وانما يستدل على فقدان اهلية المرء من مطالبته الناس بالاشفاق لبأسائه . وحتى انه لم يرد ان تكون الحقيقة التى ينشدها مكشوفة ولا عنيفة واعتقد انها تبطل كحقيقة اذا كشف عنها النقاب .

ولقد أدرك وبجد حياء وطهارة النفوس الرقيقة الوديعة . ولما تناول بالتحليل السيكولوجى ذلك الميل الغريزى الذى يحمل كل ذى نفس بعيدة الغور على الاستخفاء عن أعين الجمهور بنقاب يستر سماته الحقيقية قال ان « الكبرياء والنفور العقلى لكل انسان تألم كثيرا . . . كبرياء المختار من أرباب العلم ونصف الشهيد الذى وقف على الحقيقة ، انما يحتاج الى الف وسيلة من وسائل الاستخفاء لكى يقى نفسه الاتصال بذوى الطيش والبؤس وجميع أولئك الذين لانظير لهم فى الالم . وان الالم العميق يشرف صاحبه ويميزه . ومن أبرع وسائل الاستخفاء فيه الاستعانة بالابيقورية مقرونة بذوق قوى جرىء يحمل الالم على محمل الخفة وينفى كل ماهو محزن عميق . فهناك علماء يخدمون أنفسهم بالعلم لانهم يظهرون بظاهر من الهدوء والرزانة ولان معنى كون الانسان ذا روح على يحمل على افتراض انه ذو روح سطحى . وهناك نفوس حرة جريئة تأبى الا ان تستخفى عن أعين جميع ذوى القلوب التى تعمرها العظمة . ولكن فى انكسار وجرح لابرأ له (كملت) ويتفق أن يكون الجنون نقابا تستتر من خلفه المعرفة المتشائمة العظيمة الوثوق بنفسها ، ويستنتج من ذلك ان من واجب الانسانية المهذبة ان تحترم « النقب » !

يتبع		عبد الحميد سالم



الطباعة والالحاد

كان الناس عاجزين عن التنفس ملء صدورهم عندما انبثق فجر القرن السادس عشر الميلادى وكانت العلوم قد بدأت تنمو رغم مقاومة الكنيسة لها ولكن اضطهاد الكنيسة كاحراق سافونارولا حيا وكتعذيب غاليلو وغيرهما ، صدم العرفان صدمة قوية دون شك

وكانت الكنيسة تبيع الغفران عن الخطايا التى سترتكب — وليس التى ارتكبت فعلا فقط — وبذلك اهينت الانسانية أية اهانة فثارت الضمائر . كيف لا وهذا النوع الخسيس من التجارة كان يجرى علانية لاجل الحصول على مال يشبع شهوات الاباء المقدسين الدنيئة وقد وجه أولئك المقدسون نظرهم صوب المانيا الغنية فأمعنوا فى نهبها وسلبها أكثر مما فعلوا فى أى قطر آخر . فهناك كانت الكنيسة تنصب أسواق المناقصات لتبيع الغفران . الامر الذى كان له أثر فعال فى حض الناس على الاكثار من ارتكاب الجرائم التى لم يكن يخطر بالهم ارتكابها . وكان ثمن غفران الكذب أقل من ثمن غفران السرقة وهذه أقل من جريمة الزنا أو قتل الاطفال والبالغين وحتى جريمة تزوج المرأة بأكثر من رجل كان لها غفران يباع سلعة فى تلك الاسواق بلا أكثر من ستة دوقات ولكن ما الذى كان فى وسع الضمائر الثائرة أن تفعل أمام تلويح الكنيسة بالخازوق وآلاتها الجهنمية الكاسرة لعظام الناس ونيرانها الفاغرة فاها لابتلاع الهراطقة وهم أحياء

ومع كل هذا فقد قامت حركة الاحتجاج (البروتستانتية) ضد هذه السفالات فى اشد الامصار شعورا بفظاعة ما كانت تجنيه القداسة ، وساعدت الطباعة على نشر الافكار الحرة (الحاد ذلك العصر) فازداد الخطر

وكانت اول نظرة القتها الكنيسة على فن الطباعة نظرة مادية صرفة اساسها الرغبة فى الاحتفاظ بباب للرزق كان يدر الاموال الطائلة على رجال الكهنوت . كيف لا وقد كانت الكنيسة (او اعضاؤها) تبيع مخطوطة الكتاب المقدس بمبلغ يتفاوت بين ٤٠ و ٥٠ جنيها للنسخة الواحدة وهو مبلغ كبير جدا يسهل تقديره متى علمنا بان ثمن الشاة فى ذلك الوقت لم يكن يزيد عن اثنى عشر قرشا ولم يكن اكبر القسس مقاما يتناول معاشا سنويا يزيد عن ٥ جنيهات

ولكن نبهت الكنيسة الى الضرر الأشد فلم تقاوم المطبعة للمحافظة على سعر

نسخ الكتاب المقدس الذى هبط الى ٦ جنيهات فقط ، بل لمنع تزايد أعداء الأكليروس (وهم أعداء الدين بدون شك) فافتت الكنيسة بتحريم الطبع لانه يتم بطريقة سحرية واتهمت الطابعين بأنهم كانوا يساعدون الشيطان على كتابة التوراة بدماء المؤمنين — كان مداد الطباعة أحمرا فى أول الأمر — وعلى ذلك سارعت البابوية الى جمع النسخ المطبوعة بالسحر فاحرقتها علنا وفتكت بالملحدين ماشاءت لها وحشيتها فلم يجد الطباعون والحالة هذه أمامهم الا الالتفات الى الادبيات اللاتينية واليونانية فنشروا آثار شيشيرون وارسطو وغيرهما ولكن الكنيسة فزعت ايضا فحرمت طبع اى كتاب غير المقدس بشرط ان يستأذن الطابع الفاتيكان قبل البدء فى النشر وذلك لقصر تداول التوراة على رجال الكنيسة

غذت الادبيات القديمة عقول الاحرار (الملاحدة) وازادتها لهيبا كما وان سهولة اقتناء الكتاب المقدس نشر الاراء (الالحادية) البروتستانتية فغاص الناس فى ابحاث وقحة فناقشوا فكرة عصمة الاب الاقدس (البابا) وقدسية الكهنة الخ ما وسعته عقولهم الشريرة

ومعنى ما سبق ان الكنيسة حاولت القضاء على الطباعة قبل ان تصبح هى ضحية للطباعة . وكم كان يجز رجال الدين على اسنانهم غاضبين من تلك الآلة التى جعلت الناس متصلين بالله دون حاجة الى وساطة الكنيسة ، وبالطبع دون بذل أموالهم للانفاق على لذائذ القسس البهيمية

وكان من نتائج الطباعة ان بدأ المترجمون ينقلون الكتاب المقدس الى لغاتهم القومية الامر الذى ضرب البابوية ضربة قاضية فى أحلامها بالامبراطورية الدينية . فقد سقطت اللاتينية عن عرش القداسة وبدأت القوميات المختلفة تنشأ . وبالفعل لم تلبث أوروبا حتى أصبحت مجموعة من الممالك بعضها يعتنق مذهب المحتجين والبعض الآخر ادار للبابوية ظهره . فى حين ان الكاثوليك أنفسهم ضحكوا كثيرا من الخرافات التى حاول القسس ترويجها لابتزاز الاموال

وان من شديد الاسف ان أجدذاتى مضطرا لذكر أن جامعة السربون الشهيرة أخذت جانب الكنيسة فى هذا النضال فى ذلك الوقت ووافقت على تحريم الطباعة ولكن اما الذى كان فى امكانها أن تفعل ، وقد عجزت الكنيسة عن ايقاف الالحاد عند حد ، اذ أخذ ينتشر بسرعة وهو يظل العلم الطفل بحمايته الى أن ترعرع

بنك مصر

يسرنا أن نسجل للمرة الثانية على صفحات هذه المجلة الغراء تقدم هذا البنك الوطني وأن أبسط نظرة يلقيها المطلع على ميزانيته لسنة ١٩٢٨ تقنعه بمتانة النظام الذى يتبع فى تسيير أموره وقد دفع البنك عن سنة ٩١٩٢٨ فى المئة على القيمة الاسمية لاسهمه التى ارتفع سعرها ٥٠ فى المئة وبالرغم من أن ثمن السهم فى الوقت الحاضر يتراوح حوالى ٦ جنيهات (بعد ٤) فان نصيبه من الفائدة هو ٦ فى المئة وهى نتيجة جيدة لايمكن الوصول اليها الا بطرق قليلة جداً من الاستثمار. ولا يزال رأس مال البنك مليون جنيه ومن رأى مجلس ادارته أن لا يزيده وهو عين الصواب وبلغ رصيد الحسابات الجارية الدائنة ٧ر٦ مليون جنيه والحديثة ٥ ر٤ مليون جنيه فهناك فرق ٢ر٢ مليون جنيه يصح أن يسمى نموزجا لميزان الحسابات الجارية طيلة السنة وتبلغ قيمه املاك وعقارات البنك ٣٢٩ الف جنيه استهلك منها ٥ر ٣٢ الف جنيه أى حوالى العشر مع وجوب ملاحظة أن البنك اشترى فى سنة ١٩٢٧ بما قيمته ١٦٢ الف جنيه أى نصف عقاراته تقريبا وقد استهلك من اثاث البنك بنسبة ٩ الى ١٣ أى استهلك ثلثا القيمة الاصلية للخزائن وخلافه وهى اصناف تظل وقتاً طويلا جداً دون أن تبلى أما احتياطى البنك فقد بلغ ٥٦٤٤١٩ جنيه لرأس المال البالغ مليون جنيه فالجنيه الواحد يخصه ٥٦٤ مليم ولهذا من المنتظر أن يرتفع سعر اسهم البنك عن الستة جنيهات

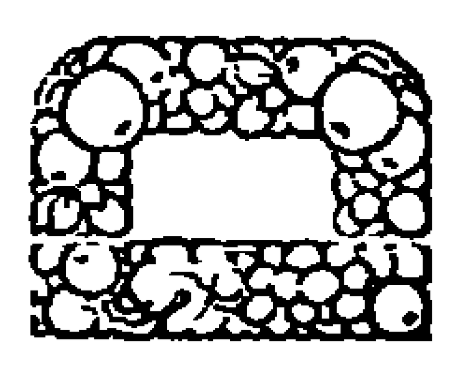
وهذا الاحتياطى موزع كالآتى ٢٩٣ الف للاحتياطى القانونى و٨٠ الف للاحتياطى غير العادى و١٦٠ الف للاحتياطى المستثمر يضاف الى ماسبق ٣١ الف فوائد مرحلة الى سنة ١٩٢٩

واذا رجعنا الى الميزانية سنة ٩٢٨ نجد أن للبنك فى صندوقه فى البنوك الاخرى حوالى ٤/١٣ جنيه ويملك أوراق مالية بحوالى ٧٠٠ الف جنيه ولديه أوراق تجارية مخصومة لشارى حوالى مليون جنيه وربع مليون جنيه ديون نظير ضمانات

ومن الايداعات حوالى ٣٤٠ الف جنيه دفعتها الحكومة لسلف الصناعات والجمعيات التعاونية

وقد افلح البنك فى مشروع صناديق التوفير فقد وزع ٣٨٢٥ دفترا بلغ ماتحصل بها ٢٠١٩٣٣ والمنسحب ٦١٩٠٧ فقط فالرصيد هو ١٤٠٠٢٦ جنـــيه وهو مبلغ لايستهان به

وانا لاتمالك بعد وضوح هذه النتيجة الفرصة من تهنئة مساهمى البنك باعضاء مجلس ادارتهم الذين يديرون لهم حركة بحوالى ١٠ مليون جنيه على اساس مليون واحد فينتجون ربحا صافياً قدره ١٤٨٩٩٥ جنيه فى حين أن مصاريف الادارة وارصاد الاستهلاكات لاتزيد عن ١٤٦٣٥٣ جنيه ومع هذا نجد أن نصيب المجلس وعدد أعضاءه تسعة هو ٨٤٠٩ جنيه عن سنة ١٩٢٨ أى حوالى ٨٥٠ جنيه لكل عضو منهم سنويا ويجب أن نلاحظ أن من البنوك ومن الجمعيات التجارية من تعطى لكل من اعضائها ٥٠٠٠ جنيه سنويا وبعضها يعطى ٥٠ جنيها لكل عضو عن كل جلسة يحضرها ....





أنين

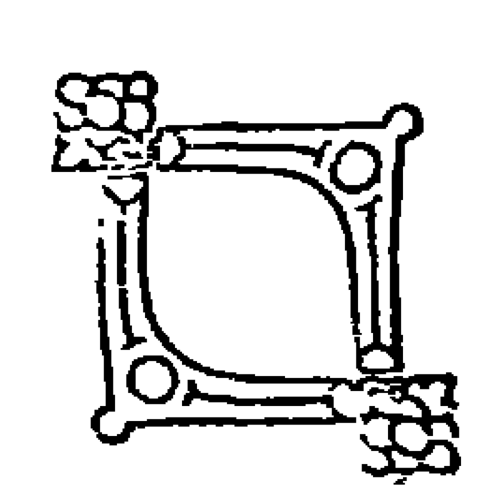
يالبؤسى ! وضيعتى ! وافتقارى ! وهوانى لدى الخطوب الكبار !
ايه دهرى رفقا ! وحسبى ذلا نفس حر أرهقتها بالاسار
ايه دهرى رفقاً ! وحسبى بؤساً جسدنا حل بقلب مثار
ايه دهرى رفقا ! وحسبى تعسا بعض ما لامست يد الأقدار
ليس سخطا ذاكم ولكنه أنـ ـة قلب مروع بالعثار
وأنا المسلم الركين ولكن ضقت ذرعا بذلتى وانكسارى
وعزيز على الأبى العزيز النـ ـفس ذل يسامه فى صغار
كنت قبلا أرى الحياة ربيعا زاهيا بالورود والأنوار
فاذا ذلك الربيع الزهى الـ ـكون دانى القطوف والأثمار
مهمه مقفر الجوانب مغـ ـبر النواحى والورد والاصدار .
(ان هذا الذى سيصدر عنه ليس يدرى لجنة أم لنار
غير أن الحياة حفت لظاها بسموم الذنوب والأوزار
فمن الخب أن تنظر خيراً فى حياة وراء هذى الدار)
مهمه لاترى به من الأحـ ـياء غير الذئاب والأنمار
وعواء يكاد يخترق الأكـ ـباد قبل النجاد والأغوار
وحياة يحوطها الشك والريـ ـبة نحو الأنواء والأمطار
وإذا الزهر والورود قتاد خالص من بدائع الأزهار
وإذا تلكم الثمار الأنيقا ت مراراً لنا وأى مرار
وإذا كل مارجوناه منها خلب فى مهامه وقفار
أو سراب ، حتى إذا ما أتينا ه رجعنا بحسرة وضرار
منية أحيت الفؤاد طويلا ثم عادت خبراً من الأخبار
أنعشته حتى إذا هى روح ثم صارت إصرار من الآصار

وكذا المرء بالأماني يحيا في خلود ، وجنة ، ودراري
فاذا ماانجلي الصباح وزالت دولة الحلم والأماني الكبار
أيقن الحالمون أن سيعيشوا في سعير ، أو صحرة من صحارى

***

أيها الغارقون في لجج الاحـ ـلام مهلا ، مهلا غداة النهار !
انما هــذه الحياة شقاء في شقاء وخيرها في بوار
انما هذه الحيـاة شجون تتلاقى وأدمع في انتثـار
ظلم الناس بعضهم وتباروا بقلوب قدت من الأحجار

« الحاجري »



الأدب المصرى

عنوان النهضة الحديثة

لحضرة الأديب الفاضل صاحب التوقيع

قرأت باهتمام وإعجاب مقالة الأديب المجدد الاستاذ على محمد البحراوى عن «الأدب السورى» المنشورة فى العدد الفائت من (العصور) الغراء. والحق يقال إن هذا المقال النقدى الذى يمتاز بالصراحة والاخلاص والتفكير المستقل قد أثار اهتماما جديا فى دوائر أدبية كثيرة — شأن مايكتبه الأستاذ البحراوى باسلوبه المنصف الجرىء. ولا أدل على ذلك من تناقل آرائه وترديدها، وبين من عنوا بتعزيزها الكاتب المعروف الاستاذ محمد لطفى جمعة المحامى حيث ذكر فى (البلاغ الأسبوعى) مانصه حرفيا: «مصر مخورة بأدبها الحديث. والأدب كلمة جامعة شاملة، والأدب المصرى يكاد يكون الأدب العربى، ومصر أصبحت وارثة للأمم العربية وكل أديب عربى فى الشام أو فى العراق أو المغرب تمصر قبل أن يظهر أدبه». ولا غرابة فى هذا التعليق من لطفى بك جمعة فقد خبر مغزاه فى نواح شتى خبرة شخصية. ولعل أظهر تجاربه اشتراكه مع الأستاذ محمد كرد على (رئيس معارف سورية الآن ورئيس المجمع العلمى العربى فى دمشق) والاستاذ عبد القادر المغربى (أحد أعضاء المجمع المذكور) فى تحرير جريدة (الظاهر) منذ عشرين سنة خلت.

والذى فهمته من مقال الاستاذ البحراوى أنه يرمى به إلى أغراض ثلاثة: (١) تأريخ النهضة الأدبية المصرية تأريخا صحيحا وردها إلى أصولها الحقة. (٢) العتب على المجاملين من كتابنا المصريين أمثال أستاذنا عبد الحميد افندى سالم (رضى الله عنه) الذين يحلو لهم انتقاص الأدب المصرى وتقديم الأدب السورى عليه فى غير حق بدافع الصداقات الشخصية ونحوها. (٣) حث النابغين من الأدباء السوريين على الاغتراف من الأدب الانجلوسكسونى بدل التهالك على الأدب الفرنسى الحديث الذى كاد يفسد عليهم نهضتهم الأدبية.

(١) فأما عن غرضه الأول فلا مشاحة فى أن النهضة الأدبية المصرية هى التى ألهمت سواها من النهضات فى الأقطار العربية الأخرى منذ عهد محمد على..

وكانت وما زالت مصر (خصوصا من عهد اسماعيل) مبعث الايحاء وسر النهوض ومركز الزعامة الفكرية للعالم العربي . ولكن امتاز السوريون من بين الأمم العربية بالنشاط التجاري و بنظراتهم المادية الى كل شيء يتناولونه ، وعرف عن المصريين كرم الوفادة والايثار بدل الاثرة ، وهكذا شجعوا الغريب كعادتهم و تخلوا غالبا عن أبناء جلدتهم حينما هم منارة التعليم لاولئك الغرباء ، وهكذا انعكست الآية وأصبحنا نحفل بأدب الاجانب وننسى حتى فضل اساتذتهم من رجالنا نحن !! وقد اشتهرت مصر بالأعلام من رجال اللغة والنقد والأدب والتاريخ والشعر والنثر من قديم الزمان حتى فى عهود الجهاله المظلمة ، ولكنهم غرباء فى بلادهم يتهافت على علمهم وأدبهم الأجانب و ينوهون بهم ايما تنويه حينما نجازيهم نحن بالتناسي أو النسيان ، وأحيانا بالاصغار من فضلهم ، مجاراة للدعاة من الغرباء الذين يطيب لهم أن يسيطروا علينا أدبياً ، كما حاولوا أن يسيطروا علينا اقتصادياً وسياسياً . . والا فأين من يذكر الآثار الجليلة لأمثال ابراهيم النبرواى وأحمد حسن الرشيدى ومحمد على باشا البقلى ومحمد بك الشافعي ومحمد عبد الفتاح وعلى بك هيبة وحسن بك عبد الرحمن واحمد بك ندى وحسين بك عوف الكحال وسالم باشا سالم ومحمد باشا الدرى ومحمد بك بدر وحسن باشا محمد ومحمد عمران الهراوى ومصطفى حسن كساب وابراهيم الدسوقى ومحمد بيومى وابراهيم رمضان ومحمود باشا الفلكى وشفيق بك منصور يكن ومختار باشا المصرى واسماعيل باشا الفلكى والسيد صالح مجدى بك وعيسى باشا حمدى وعثمان باشا غالب واسماعيل باشا حسنين والسيد اسماعيل الخشاب المصرى والسيد محمد المهدى المصرى والسيد على الدرويش المصرى والشيخ شهاب الدين المصرى وابراهيم بك مرزوق المصرى وعلى ابو النصر المنفلوطى ومحمود صفوت الساعاتى وعبد الله باشا فكرى والشيخ على الليثى وعبد الله نديم وعثمان بك جلال ومحمود باشا سامى البارودى ومصطفى بك نجيب واسماعيل باشا صبرى والشيخ محمد الدسوقى والياس بقطر وعائشة تيمور والشيخ حسن العطار وابو الوفاء نصر الهورينى المصرى وعبد الهادى نجا الابيارى وأمينة نجيب وملك ناصف والشيخ حسين المرصفى ومحمد بك النجارى المصرى واحمد باشا كمال والشيخ عبد الله ابو السعود وابراهيم بك المويلحى والشيخ حمزة فتح الله والشيخ عبد الله الشرقاوى وعلى باشا مبارك وأمين باشا فكرى ورفاعة بك الطهطاوي وابراهيم الباجورى

وقدرى باشا ومحمد العباسى المهدى وعمر بك لطفى وعشرات غيرهم من الاساتذة الاعلام فى جميع فنون اللغة والأدب — أولئك الذين طالموا كانوا سراجا وهاجا للفكرين التابعين لهم فى الأمم العربية الاخرى ،فاذا بنا ننسى مصدر النور ونحفل بالمرائى وحدها ، وإذا بنا نجارى الغرباء الذين يعكسون الحقائق خدمة لصوالحهم الذاتية !! .

ولكن منذ أن انتبه نوابغنا الى واجب الاقدام التجارى ولم يقتصروا على جانب النبوغ الفكري والانتاج الأدبى القوى فقط سارت مصر خطوات واسعة الى الأمام بفضل غيرة أبنائها وأصبحوا قادتها المطلقين بغير أدنى معونة خارجية . ويحق لمصر الآن على الأخص أن تفخر بصحافتها المصرية الصميمة التى هى القدوة العالية لغيرها « كالسياسة » و « البلاغ » و « العصور » وسواها ، ولا يفوتنى أن أشير فى هذا المقام الى أن الصحف السورية أصبحت تستمد فى حياتها على أقلام نوابغ المصريين قبل غيرهم ، وحسبك منزلة الاستاذ سلامه موسى فى دار « الهلال » ، كما لا يفوتنى أن أشير إلى تقدير الصحف الاجنبية وتقدير المستشرقين الى المجهود المصرى العظيم فى الطب والأدب والفنون والصحافة : وآخر ما بين يدى من كتابة وتقدير من هذا القبيل ما نشرته صحيفة (الايجبشيان ميل) الانجليزية بعددها المؤرخ ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩ من تقدير بليغ لمجلة « العصور » بقلم المستشرق اليونانى المعروف الاستاذ سقراط سبيرو بك .

(٢) وأما عن الغرض الثانى من مقالة الاستاذ البحراوى وهو العتب على أولئك المجاملين الذين لا يزنون أقوالهم فيرسلون أحكامهم جزافا مجاملة للأدب السورى أو لغيره ، (وهم بذلك يسيئون اساءة مزدوجة الى من يتملقونهم أو يجاملونهم وإلى أبناء وطنهم معاً) : فهو غرض نبيل لأن الاحكام الأدبية يجب أن تكون بريئة من الهوى ومن العصبية ، فما بالك بها اذا أفسدها الغرض وتعددت نتائجها السيئة ! وما من شك فى أن لمصر الآن القيادة فى العلوم والآداب والفنون بين أمم العالم العربى جمعاء وانا الآن فى عهد ريناسنس أو بعث فكرى عجيب كما يقول الاستاذ اسماعيل بك مظهر ، فمن الحق علينا لأنفسنا ولغيرنا أن نتعرف مكانتنا بالضبط وأن نحدد نفوذنا ، وبذلك لا تعوقنا الاوهام والدعايات عن التقدم المستمر الذى نخدم من ورائه العالم العربى بأسره كما نخدم الثقافة المصرية . وهيهات أن تجد أديباً سوريا ممتازاً إلا وقد تمصر فى الغالب كسليمان البستانى ونجيب الحداد وخليل مطران وايليا أبى ماضى وغيرهم ،ولولا أن أبا ماضى قد تأثر بالبيئة المصرية زمنا لما صفت ديباجته على ماترى ولما سلست تعابيره ،

بخلاف كثيرين غيره من الشعراء السوريين المتفككة تعابيرهم حتى لاتدري أتصفها بالاسترخاء كما قال الاستاذ البحراوى ؛ أم تصفها بالجمود على ما أرى . . . . ومن طبيعة الحياة المصرية كيفما كانت (ومنها الحياة الأدبية) منذ أقدم أزمنة التاريخ أنها تهضم غيرها، ولا تهضم فى سواها بمعنى فقدان شخصيتها ، وأنها فى الوقت ذاته تشع على الحيوات الأخرى فتتأثر هذه بها تأثراً عميقا ، فكأن مصر أم الحضارة الانسانية خلقتها الطبيعة خلقا يجعلها دائما ملتقى الاشعة ثم مصدر القوة المنبهة لغيرها الباعثة الحياة فى كل ماجاورها .

(٣) وأما الغرض الثالث من مقال الأستاذ البحراوى فلا يقل نبلا عن سابقيه، ولا غرابة فى اهتمام الاستاذ البحراوى به ، فالأدب السورى — كالأدب المصرى وكالأدب العراقى — قسم من الأدب العربى العام وتهمنا جميعا نهضته الرشيدة . وللاستاذ البحراوى كثيرون من الأصدقاء المعجبين بأدبه وإخلاصه من بين السوريين الذين يفهمون أن صديق الانسان من اخلص له النصح لامن جاراه تصديقا . ولديه أقوى معزز على ماذهب اليه فى أدب أبى ماضى المتأثر بالذوق المصرى وبالأدب الانجلوسكسونى ، وهذا جاء إنتاجه الشعرى أنضج وأصلح ماعرف عن الأدب السورى فى هذا العصر ، ولا استثنى إلا خليل بك مطران ، وهو أيضا متأثر بالأدب الانجلوسكسونى وإن كان قد تأثر زمنا بالأدب اللاتينى . ومعاذ الله أن يقول أى انسان مطلع له مسكة من العقل إن الأدب الفرنسى مثلا لاقيمة له ، ولكن لاشك فى أنه الآن أحط مستوى من الأدب الانجليزى أو الامريكى ، فلامعنى لمجاراته بدل الالتفات إلى الغرب القصى الذى بلغ فيه الأدب الحى رجولته ونضوجه الأتم . فدعوة الاستاذ البحراوى إلى أصدقائه السوريين النابغين للأخذ بيد أدبهم القومى فى هذه الصراحة الجريئة مما نسجله له بالشكر والاعجاب ، ومما نعتبره دليلا حقا على ولائه وعلى فهمه معنى الاخاء الأدبى فهما صحيحا لايشوبه الرياء المألوف والمجاملات الفارغة . ومثل هذا الشكر جديرة به مجلة (العصور) الغراء لافساحها صدرها للنقد الحر المفيد ؟

محمد صادق يونس

برجسون

عن محاضرات « جاك شيفالييه »

الاستاذ فى جامعة جرينوبل

— ١ —

نعتقد أن البحث الذى يتسع لهصدر هذه المجلة لا يكفى لتوضيح مذهب فيلسوف كبير مثل برجسون . ولكننا نرى أن من المفيد تأليف بحث من هذا القبيل يشرح ولو إلى حد جزئى عناصر البرجسونيسم . وهو المذهب الفلسفى الذى يشغل الأذهان الآن فى أوربا و يجمل بالمتنورين فى الشرق العربى ألا يجهلوه . وانا لنتنسم من المذهب البرجسونى نفحة الفلسفة العربية .

ونعتمد فى نقل ملخص لمذهب هنرى برجسون عن المحاضرات التى ألقاها الاستاذ جاك شيفالييه فى ربيع سنة ١٩٢٤ . وهى تؤلف كتابا فى نيف وثلاثمائة صفحة من الحجم الوسط صدر أستاذ جامعة جرينوبل بأنه حين اريد منه تخصيص ستة دروس لشرح فلسفة برجسون لم يكن يملك من الوجهة المادية الزمن الكافى لاعادة الاطلاع على كل أجزائها ، ولا فى وسعه أن يبسط فى ستة دروس لا يستغرق كل منها الساعة تفصيل ذلك المذهب العظيم ، وما اشتمل عليه من وفرة التحليلات و الآراء و وجوه التسلسل التى تتناول جميع اتجاهات الفكر البشرى . ومن أجل ذلك اضطر أن يحصر موضوعه لا فى جوهر المذهب ولبابه — فقد عد ذلك من الجرأة — وإنما أقصر على بعض وجوه تلك الفلسفة — وجوهها المألوفة لديه أكثر من غيرها و الأعظم ثمرة لأنها أتاحت له أن يتناول الجوهر منها و يصل الى اللباب »

تأثير البيئة والعصر

يمتنع على الباحث ادراك الغرض من أى عمل فكرى وتقدير قيمته اذا عزله عن البيئة التى ظهر فيها وعن الناس الذين ألف لهم . وعن وجوه حبهم وكراهتهم واهتمامهم وعاداتهم فى التفكير وأساليبهم فى العمل وطريقتهم فى عرض المسائل وموقفهم

الاختيارى بازاء الناس والاشياء وبازاء الحقيقة نفسها . فان قيمة العمل الفكرى ليست فى ذاته فحسب وانما هى أيضاً فى قيمته لعصره . فأي مذهب عميق ثابت الأثر لايخرج عن كونه ثمرة تفكير رجل . هـذا الرجل قبل أن ينتسب إلى عالم الأرواح ينتسب إلى عالم الأجسام . ومثل « برجسون » لايشذ عن هذه القاعدة التى يخضع لها ديكارت وافلاطون . إذن ينبغى لنا قبل أن ندرس المذهب ان ندرس الرجل ومن قبل أن ندرس الرجل يجب ان ندرس زمنه .

***

فلنتمثل الحالة الفكرية فى فرنسا غداة الحرب التى وقعت سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ .

ان موقع بلادنا فى مفترق طرق المواصلات العظيمة التى تربط الجنوب بالشمال والشرق بالغرب وإن يكن ميزة لها فهو خطر أيضاً لانها مفتوحة لشتى وجوه التأثير — وهذه هى الميزة — لكى تهضمها وتؤيد بها فيض التنوير العام — وهذا هو الخطر — ولكى تغمرها تلك التأثيرات حين لاتجد لديها من القوة مايعينها على المقاومة وعلى الثبات أمامها معتمدة على عبقريتها الذاتية .

فان فرنسا فى سنة ١٨٧١ وإن كانت قد دلت على نشاط عجيب فى تضميد جراحاتها والنهوض من الكبوة التى لحقتها فى الهزيمة فقد كان الذكاء الفرنسى كان على مايظهر فقد ثقته فى نفسه بل فقد — وهو الأدهى — ثقته فى قيمة الطرائق التى اتبعها والمبادىء التى دافع عنها . حالة وصفها « فلوبير » بالتدهور والسقوط والبؤس . وتساءل عما إذا كان من الممكن الايمان بالترقى وبالحضارة أمام ذلك التدهور؟ وبهذا الرأى لم يعرب فلوبير عن شعوره وحده وإنما أعرب عن شعور كبار المفكرين من معاصريه « تين » و« رنان » و« سولى برودوم » و« ليكونت دى ليل » . ومما يستغرب ان أولئك الذين ايقظهم الواقع من سباتهم والذين أرادوا أن يحتفظوا بحبهم لفرنسا وحدها بدلا من ان يجعلوه مقسما على العالم ، أولئك انفسهم قد أدوا لفرنسا بقلب متحمس روحا مضطربا وفكرة متحيرة لم تطمئن ولم ترتكز . إذ كانت المانيا قد غزتنا باساتذتها أكثر مما غزتنا بجنودها . وكانت الهزيمة قد حضت الفرنسيين على الالتحاق بمدرستها ليتعلموا سر الفوز منها كأن فوز القوت هو فوز الفكر . إذ ذاك ساد الأجنبى بلادنا .

وكان الانكليز فى الطليعة . فان مذهب « ميل » التجريبى مكملا بمذهب « سبنسر » التطورى كانا قدعودا العقول على ألا ترى فى الانسان غيرآلة متحركة ، وان تهبط بفكره وعواطفه وارادته وحياته الروحية كلها الى العمل الآلى فى التفكيراو الصور الحساسة الخاضعة لقوانين الاشتراك لخضوع الذرات الطبيعيةلقانون الجاذبية . فلم يكن من الممكن ان تكون الحرية اذ ذاك الا مجرد وهم ينسب الى سفة مذهب الجبرية الطبيعى . ولم تعد مبادىء العقل واسمى الافكار والمعتقدات الانسانية — فكرة العلة مثلا وفكرة الله — سوى عادات تنتقل وتعزز بالوراثة . صارت مجرد صورة للارغام الفزيولوجى او الاجتماعى . تلك كانت النتائج التى افضى اليها منطقيا ذلك العلم الجديد للطبيعة وللروح الانسانية . وقد اعترف « سبنسر » فيما كتبه عن نفسه انه كان لانكار المعجزات والخلق (التكوين) وبالاختصار الاعتقاد فى كلية العلة الطبيعية نتيجة لا مناص منها وهى التصديق بان الكون وما يحتويه قد بلغا صورتهما الحالية بالانتقال فى عدة اطوار استلزامية من الوجهة المادية . فما هو الانسان فى كون هذه صورته فى الادراك ؟ قطعة بسيطة من الجبرية الطبيعية .

ولا شك فى ان الانكليز لم يستخلصوا من مذهبهم الاولى كل ما اشتمل عليه من النتائج ولم يكن ثمة ائتلاف فى ادلتهم الخاصة بالانسان . فاعترفوا بان علم الطبيعة الانسانية على خلاف علم النجوم لا يستطيع ان يضع قوانين مطلقة ولا يتكهن بشىء يتحقق حدوثه لانه لا يدرى جميع العلل ولا الاحوال التى يمكن ان تحدد مسلك الافراد . واتقى « ستوارت ميل » ان يكون قدريا وأن يعتبر علاقة العلة بالمعلول كعلاقة لازمة وان يحذف الحرية والمسئولية الانسانيتين هذا الى انه زعم فى شأن المسائل الاخروية المتعلقة بالله وبخلود الروح ان للمعتقدات التقليدية (الموروثة) مقامها فى نظريته . اما سبنسر فقد اكد بقوة ان غاية ابحاثنا تفضى بنا تجاه ما لا يمكن علمه وتبدى لنا استحالة ادراك ابسط الامور حين ننظر اليها فى ذاتها وما فى باطن الاشياء من السر الخفى الذى لا يستطيع الفكر ان ينفذ اليه .

غير ان اقامة الدليل على حقيقة تلك البراهين لم يتوصل اليه لا مذهب ميل التجريبى ولا مذهب سبنسر التطورى . فان الاول لم يوفق الى تفسير كيف يمكن فى مذهب الظاهرات ان يحتفظ بسلامة حرية الانسان ووحدته وذاتيته .

اما صيغة التطور التي وضعها سبنسر من قبل ان يبرهن عليها داروين فقد وهبت المذهب نوعا من الوحدة القياسية المصطنعة دون ان تقيم له قاعدة ميتا فيزيقية . فان سبنسر اجتهد فى ان يجمع عناصر التطور من ظاهرات المتطور كالطفل الذى يجمع اجزاء لعبة تحتاج الى الصبر . فلم يوفق الى تبيين الحركة التطورية نفسها فى تكوينها وترقيها بل انه لم يوفق الى تبيين مبدأها ذاته . وخلفنا تجاه مذهب الجبرية الضيق العسير الذى تقبر فيه الحياة والفكر نفسه .

اذن كان ينقص ذلك المذهب الاختبارى الوضعى قاعدة ميتا فيزيقية . وقد تولى الالمان وضع هذه القاعدة وادوها لنا على اعتبار ان الانسان حيوان ميتا فيزيقى لا يستطيع ان يستغنى عن الميتا فيزيقا .

وقد تناولت طريقتهم الشرح بعد الوصف . ولما كان الوصف عندهم هادماً كان لابد بعد الهدم من البناء . برهنوا على ان العالم بجميع عناصره من المادة الى الحياة الى الروح بل العالم فى ترقية ذاته فى مدي الاطوار الطبيعية المختلفة خاضع لجبرية النواميس التى لا تقبل التبديل . ولكن عرضت مسألة تتعلق بماهية تلك النواميس وكيف تعمل ولم يكن من الممكن النظر اليها فى مذهب الظاهرات على انها من عمل الله الذى يقترن اختياره باستقلاله المطلق . اذ لو كانت تلك القوانين مجرد قرارات تصدر عن ارادته العظيمة وان هذه الارادة لا تقبل التبديل كما يرى ديكارت لم نبق فى هذه الحالة تجاه جبرية قاهرة مثل تلك التي صورها لنا البعض تتولى تدبير العالم؛ جبريه تشبه كل الشبه ما عناه اللاتين « بالفاتوم » والاغريق « بالانانكية » واذا لم تكن تلك النواميس وذلك الكون من صنع الله . اذن فما هما

هنا تجيبنا ميتا فيزيقية « كانت » قائلة ان عالم التجربة سواء كان فى مادته او فى صورته انما هو من صنع العقل البشرى .

وانت كيفما وضعت العقل رأيت الكون بالضرورة مقترنا به . فان الحركة المنطقية للعقل تقترن بحركة مبدعة هى فى الحقيقة مطابقة لها والمراد بالعقل هنا عقل الانسان فاتصاف العقل بالبصيرة والاطلاع على المجهول الذى جعله كانت « ميزة الذات العليا واكبره على الادراك البشرى لان ذلك يفترض فى رأيه ان تكون المشيئة الاولى

فى تنظيم الكون من امره (امر الادراك) قد عزاه « فيخت » ومن بعده « شيلنج » بجرأة الى الانسان فنسبا الى معرفتنا قوة انتاج غير محدودة

قال فيخت ان الذات المطلقه هى مصدر، نظام الكون وقال شيلنج انه العقل غير الذاتى وقال هيجل انه الافكار فى ترقيها من العدم الى الكائن وقال شوبنهور انه الارادة وقال هارتمان انه مالا يوعي (اللاتنبهى) . غير ان كل ذلك منسوب الى الانسان بحيث اننا نخلق عالم التجربة على مثال ماتخلق عالم الرياضة . وان موضوعية الكون لاتكاد تختلف حين تبدولنا من جميع الوجوه عن موضوعية الرياضة . فهى اصطناعية ولازمة مثلها، وبالاجمال ان الحتمية التى تدبر الكون هى ثمرة ادرا كنا المفهوم لاعلى اعتبار انه كقوة عاقله وحرة خاضعة للواقع ولبارئها ولكن كضرورة باطنية خاضعة – و إن تكن ذات سلطان – للقوانين التى تصدرها. قال شيلنج ان التفلسف فى الطبيعة معناه خلق الطبيعة .

ومن الممكن ألا يكون الغرض من هذا النظر الايديالى ادعاء ان الانسان يقوم مقام الله و يصنع صنعه . فقد يكون بطلان الدنيا او خلقها بالعقل مجرد حجة لتنزيه جوهر المعرفة اى الحق ، على ان النظر المطلق الى المثل الاعلى مرتبط فى الواقع بوحدة الوجود ، فان سبينوزا فى مذهبه قال بالتبعية اللازمة بين الكون والعقل ونفى الحدوث الاولى او الخلق . وفيما عدا ذلك فقد حاول ان يجعل من الذكاء الانسانى مقيئسا مطلقا لما يقبله الادراك وجعله متحدا بالعقل الذى يفكر والذى يعد العالم بالضرورة من صنعه . كذلك اقام سبينوزا – سواء اراد او لم يرد – الانسان مقام الاله

اذن لا يستغرب ان يظهر المذهب المثالى الالمانى وان يؤول على انه تأليه للانسان من قبل ان يستخدم فى آخر الامر لتبرير العمل الوحشى او القوة المنظور اليها على انها مطابقة للعقل والهية . وهو مااعترف به « هنرى هين » . فقد آمن الكثير بالفيلسوف « هيجل » حين سمعوه يؤكد ان الانسان اله. وجاء اشياع « سان سيمون » بناء على هذا الرأى فاعلنوا الوهيته . وكان الصدى الاخير لذلك التقليد الهيجلى ماجاء فى خطبة للاشتراكى « جول جيد » فى مجلس النواب (٢٤ يونيو سنة ١٨٩٦) بان الانسان يوشك ان يكون الها .

هذا الخليط من مذهب الحتمية ، الديتيرمنيسم ومذهب النظر الاعلى فى وحدة

الكون قد أفضى الى مذهب المونيسم ـ وحدة المادة والوجود ـ الذى وصفه « هيكل » بانه صلة بين الدين والعلم . يفرغ الدين فى العلم . و يعدائتلاف المتناقضات فى كينونة الخالق الازلى وينفى كل اقتران وكل اختيار . و ينزل بالذات الحية كانت او بشرية الى ما تحتمه الطبيعة على اعتبار انها الاله الحقيقى

وقد اوحى هذا المذهب ـ وحدة المادة والوجود ـ الى (تين) و (رنان) اى الى المفكرين اللذين كان لها اعظم تأثير على النزيات فى خلال حربين واللذين لم يلبثا وان

ثم كان مذهب المونيسم ـــ وحدة المادة و الوجود ـــ مصدر وحى للمفكرين « تين » و « رنان » اللذين كان لها أعظم تأثير فى عصرهما الذى تخلل حربين و اللذين لم يلبثا أن نالا مع « داروين » الحظوه لدى الجماهير . وادى لهما خزانة الأفكار العامة التي عاش بها ذلك العصر . وكانت النتيجة أن تولدت تلك الصيغ المعروفة التى ترددت كل مكان : الإدراك الحسى نوع من الهذيان الصادق . ليس الحقيقى سوى وهم مؤتلف . العقل مختزن صور شتيته كارجل الاخطبوط . الفضيلة والرزيلة انتاج كالسكر والزاج . ليس الانسان فى الطبيعة عالم فى عالم بل هو جزء من كل . العبقرية كأبسط حالة أدبية تتولد من العنصر والبيئة والظرف . ليست الطبيعة والتاريخ سوى امتداد الضرورة العامة . العالم يؤلف كائن مفرد لايقبل التجزئة كل الكائنات أعضاؤه . الله هو طبقة المثل الأعلى . هل الإله موجودا وغير موجود ؟ ان مسائل الوجود تتجاوز طاقتنا . كل شيء يوجد فى الانسانية وفى الطبيعة وليس للخلق (التكوين) مكان فى سلسلة العلل والمعلولات . ان مهمتنا تنحصر فى تنظيم الانسانية عليا أولا ثم تنظيم مسألة الله . هناك عقيدة واحدة تسيطر على هذه الدمن وهى عقيدة العلم أو بعبارة أفضل « دين العالم » . الايمان بالمستقبل و بالترقى اللانهائى للفكر البشرى الذى يسجله التاريخ والذى يكلل بفوز نهائى هو سيادة الله الكاملة . الخ الخ

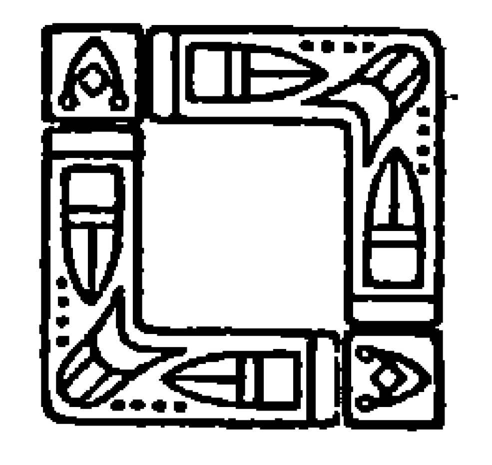
وقد آل الأمر بهذه العقيدة التى اذاعها « رنان » الى انها هدمت نفسها بنفسها فان فقدان الايمان بالحقيقة يفقد المرء كل ايمان . وكان المكان الذى تبوأته ينحصر فى الانكار الذي يسمى أيضا تسامحا و حرية رأي . التسامح فى كل الحقائق أو التسامح فى كل الاخطاء وكلاهما شيء واحد (حسب رأى أرسطو) بل ليس التسامح فى الحقيقة .

فان حرية الرأى تقبل جميع المذاهب التي انتجها الفكر البشرى مع استثناء ذلك المذهب الذى يقول بوجود الحقيقة. وانها واحدة مستقلة عن الباطل و إن على الانسان ان يخضع لها لان العقل اعتاد الانقياد للحق . والمبدأ الميتافيزيقى لتلك العقيدة وغايتها تأليه العدم . قال « رنان » ان الفلسفة المثالية الحديثه احلت التشكل الذى لا آخر له محل الاله فى العقائد الروحية. اله اليهود و المسيحيين.

ولكن ما هذا الذى تسمعه من « رنان » فى صلاته على الا كرو بول؟ اسمعوا « بحرز اخر من النسيان يحملنا الى هاوية مجهولة . ايتها الهاوية لانت الله الواحد .. وما من شيء فى هذه الدنيا إلا وهو رمز وحلم . ان الآلهة لتمضى كالناس دون ان يكون من الخير خلودها . ولا ينبغى ان يكون ايماننا غلا يقيدنا . انا لنفي ما علينا نحوه متى حرصنا على ار نلفه فى الكفن الارجوانى الذى تنام فيه الآلهة الفانية »

على ان فى الامكان الاطلاع على افكار اخري جديدة وقديمة من خلف تلك المذاهب الرسمية . افكار اعمق و إن كانت اقل ظهوراً . تنطوى على بذور من الحقيقة ثمية . فانه فى الوقت الذى استبدل فيه البعض تحت اسم العلم بمجموعة من الحقائق المؤيدة بالنظر او البرهان بنوع من المدرسية المستحدثة التى نشأت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حول آراء « غاليليو » الطبيعية كما نشأت المدرسية القديمة حول مذهب ارسطو . اقامت فئة من العلماء الحقيقيين وفى طليعتهم « كلود برنار » فى كتابه « مقدمة الطب التجريبى » الدليل على ان الحتمية التى يرتكز عليها العلم من مبادىء العقل

يتبع	عبد الحميد سالم



حق القتل

يقتضى تماشينا مع المدنية العصرية الحائة على الشفقة والرأفة والواقفة على آخر ما توصل اليه علم النفس ، عدم ازهاق النفس مهما دعت الظروف لذلك . فالمجرم لا يختار الاجرام ولكنه يندفع اليه متأثرا بظروف قاهرة قد تعود الى طبيعته الاجرامية وقد تعود الى اختلاف فى جهازه العصبى . فكيف ننتقم من هذا المنكود بازهاق روحه كأننا نقاوم الخطأ بخطأ يزيد عنه بشاعة . فاذا استفز شخص ونتج عن ذلك ارتكابه لجريمة القتل مثلا ، بصرف النظر عن تقديرنا للظروف التى ألجأته لاقتراف جريمته البشعة ونحن جلوس على الكراسى ، فهل من العدل أن نقضى عليه نحن دون أن نوجد فى وسط يستفزنا الى مقابلته بالمثل ؟

وهل اذا اجتمع خطآن ، ينتج منهما ما يصح تسميته صواباً ؟ كلنا نسلم بأن العقاب ليس المقصود منه الانتقام بل العبرة والردع فكيف اذن نقاوم عملا تم فى حالة غير طبيعية بعمل مثله نقترفه ونحن فى تمام حالتنا العقلية

كان فى مصر نظام النفى الادارى وهو نظام حسب اعتقادى ليس عليه غبار اللهم الا ما نتج عنه من زج الابرياء ضمن الغير المرغوب فيهم للنكاية بهم وهو أمر أسلم بخطئه . اغفل اتباع هذا النظام لسبب لا أعلمه وقد يكون سيا وجيهاً ولكن هل للحكومة أن تفكر فى انشاء مستعمرات للمجرمين بدلا من أن تقضى عليهم ، مادام العلم قد أظهر لنا أنهم مسوقين الى الاجرام دون اختيار كنتيجة لظروف مخصوصة

كنت منذ مدة قصيرة فى ضواحى ميت غمر وبالاستفهام علمت أن ما يخص الفدان لا يقل عن ثلاثة أنفس فى حين أنه فى امكان الشخص الواحد خدمة فدانين . اليس وجود ستة أنفس لخدمة الفدان الواحد تأثير على عقلية الرجل المعيل الذى لا يكفى أجره لضروريات منزله فهل اذا أجرم هذا الشخص تحت تأثير الحاجة ننتقم منه بازهاق روحه ؟

واليك مثل آخر كدت أكون فيه ضحية العدالة . كلنا يعلم مقدار التأثر الذى نتج

للافراد وقوع حوادث عام ١٩١٩ . فقد ركبت ذات مرة مركبة الترام من شارع كلوت بك القريب من ميدان المحطة وما قطع الترام نصف الشارع حتى جلس أمامي جندي انكليزي تتدلى (سنجته) من وراء ظهره ومن العبث محاولة شرح مادار بخاطري في ذلك الوقت و (السنجة) في متناولي وتأكد سيدي القارىء انني قاومت نفسي جداً لدرجة لا يمكن شرحها ولولا أن ساعدتني الظروف ووقف الترام لكنت الآن في العالم الآخرة . فالتعقل لم يكن له يد في افلاتي من الجريمة بل هي الظروف أيضاً التي منعت وقوعها . لانه لولم يقف الترام لانزل الحدث المكروه وانا متهيج الأعصاب لدرجة الجنون .

فيالله كيف يمكنني أن أحكم — إذا كنت قاضياً — على رجل سيء الحظ بالاعدام لانه قتل ليس مختاراً بل مهتاجاً وهل يعد مثل هذا الرجل مجرماً كما نحاول ان نصوره؟

لنعرض أيضا أن رجلا خانه آخر في امرأته ولكنه لم يمسكهما متلبسين بالجريمة بل فر الجاني قبل أن تصل يد الزوج اليه فاذا فرض ان الجاني أشار في خلوة مع الرجل الآخر أشارة بسيطة ذكرت الزوج بما سبق وحل به من العار دون ان يتمكن من الاثبات ففار دم الزوج وقام بحركة عصبية فاردى من أغاظه قتيلا فهل يهتم القضاة اذا قال المجرم بانه فعل مافعل اثر اشارة عدها مهينة ولم يلحظها غيره لست اطالب بترك أولئك الناس يرتعون في أعمالهم لانني اعتقد تماما ان الترك يدعو إلى الاستهتار بالروح التي يحميها القانون . ولكني فقط أطالب من رجال العدل عدم ازهاق الروح لالشيء إلا لأن جريمة ارتكبت دون اختيار

وما قول المتشرعين في الحوادث التي يحكم فيها على ابرياء بالقتل ثم تظهر براءتهم — وقد لاتظهر — بعد نفاذ الحكم الصارم .

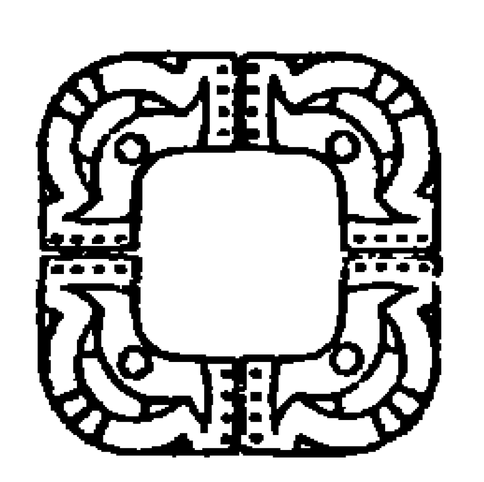
اقترح — بالطبع بعد اعتراضي السابق — وجوب انشاء مستعمرات لأولئك المجرمين كي تستفيد الهيئة الاجتماعية بوجودهم فيها بعيداً . عن المسببات الدافعة للشر في البراري وفي الواحات امكنة محتاجة للعمران . كذلك توجد جهات قابلة للزراعة في الصحراوات القريبة من المدن (اعلم انه يوجد حوالى ألف فدان أو أكثر لاينقصها إلا الماء بالقرب من مدينة المنيا خلف الجبل قريبة من النهر فهي تبعد بضعة كيلو

مترات من تلك المدينة لاا كثر) فلم لاننشىء فى هذه الأماكن مستعمرات لأولئك البؤساء لتعميرها

وإذا فرض وعاد المجرم ثانية للاجرام فأرى أن يخصى ففى هذا إذلال له بالاقل إن لم يعد بتأثير بين على نزعته الاجرامية

وانتهز هذه الفرصة لتعزيز رأى الدكتور حسين هيكل بشىء من التوسع فأطالب معه بتعميم إيكال عملية مراقبة المسجونين (لاالاصلاحيات فقط) إلى خريجى مدارس المعلمين

عمر عنايت



نهضة الترجمة والتعريب

بمناسبة صدور الطبعة الثانية من قاموس

الدكتور محمد شرف

فى العلوم الطبية والطبيعية

— ٣ —

المقابلة بين القديم والحديث

يتصف التعريب فى عهد العرب بحسن الاسلوب وتأدية المعانى بوجه التقريب ، ويتصف التعريب الحديث بكونه تضميناً أو مسخاً بأسلوب مضطرب لا يسوغه الذوق العربى . ولم يكن عجباً أمام هذا القصور والاضطراب أن يقوم بعض الجاهلين بثروة العربية وحسن معداتها للتعبير ، أو فريق المتهوسين للغات الفرنجية ، فيقول بعدم صلاح العربية لتأدية العلوم الطبيعية والطبية ، ويرميها بالقصور والجمود . ولا ريب فى أنه يعسر على الطالب فهم هذه المعربات المشوهة ، وأنه أسهل له أن يذاكر علومه باللغة الفرنجية من أن يقرأ كتاباً معرباً بهذا الاسلوب ، لانه لا يستلذ قراءته لعدم انسجام تراكيبه ، وخلوه من التثبت وحسن التأدية والبيان ، ووضعه الكلمات فى غير مواضعها فلم يكن عجباً أن زهد أبناء العربية فى لغتهم القومية حتى أصبحت فى نظر الكثيرين ممن تعلموا فى بلاد الغرب كأنها لغة قوم آخرين ولا غرابة اذا بار سوق الكتب العلمية المعربة ولذلك انقسم المنشئون من المتكلمين

بالعربية من أهل القلم والعلم الى ثلاث شيع يدلي كل بحجه ويفنِّد آراء خصمه .

(١) قسم درس اللغات الفرنجية وقصر جهده عليها فلم يقف على ألفاظ العربية ومبلغ ثروتها وسعتها ، يرى اتخاذ الالفاظ الفرنجية الجديدة وأساليب صوغها ، وادخالها كما هي على حالها في لغتنا . وأصحاب هذا الرأي أكثرهم مصريون وقد بالغوا في تصوير قصور اللغة عن مجاراة اللغات الحية .

(٢) وقسم حنبلي لا يرى شيئاً من ذلك ، ويوجب علينا أن نكون متبعين للسلف لا مبتدعين ، ويزهد كل الزهد في أية استعارة من اللغات الاجنبية . ويعزّ على هذا الفريق أن تشوّه لغة القرآن أو تشوبها أدنى شائبة من لغو أو لكنة ، ويربأ بها أن يتنازع أسلوبها أو قوامها أي فساد أو انحطاط . وأنصار هذا الرأي بعض أدباء مصر والشام والعراق وفلسطين الذين تضلّعوا من اللغة وتمكنوا منها وتدرّبوا فيها حتى استبطنوا خفاياها ، وعرفوا أصولها ومواردها وأسرارها ولكنهم غير متصلين بالحركة العلمية العالمية .

(٣) قسم ثالث بين هذين الرأيين ، ويقول بأن خير الامور الوسط ، وأن الاصوب اتخاذ ما لا يمكن أن نحققه في العربية من الاوضاع المستحدثة ، ولا يوجد فيها ما تؤدي معناه ، وإلباسه حلة عربية . وأما ماعدا ذلك ففيها ما يقوم مقامه ، وصاحب هذا المعجم من أنصار هذا الفريق .

فأصحاب الرأي الاول لا ينبغي لهم أن يغترّوا بوجود أنصار أقوياء ، لان مآل مذهبهم أن نستبدل باللغة الفصحى السلسة لغة تكاد

تكون العامية أحسن أسلوبا وأصح تعبيراً منها ، وتشترك معها في عدم تقيد الكاتب بقواعد النحو وأحكام الاعراب وأصول البيان أو نظر الى البلاغة

أما القسم الثاني الموسوم بشدة التحفظ والاستمساك بالقديم ، فانه يزداد ضعفاً بازدياد تمسكه ، لان مآل مذهبه زيادة تشوه اللغة بما يدخلها من الالفاظ رغماً منه لجموده ووقوفه باللغة . وكيف تقوى حجته على مواجهة الحقائق الآتية

(١) لم تخلق اللغة مرة واحدة ، ولم توضع في وقت واحد ، وإنما وضعت شيئاً فشيئاً بالتدرج بحسب الحاجة الى التعبير عما يتجدد من الاحوال التي تتقلب وتتحول على الدوام . ولا بد من نمو اللغة والزيادة فيها للابانة عن كل جديد يمر بالخواطر أو يقع تحت الحواس ؛ وما اللغة إلا كسائر الاجسام الحية التي تنمو ، وكل محاولة لمنعها من النمو سعي الى تشويهها بالتزيد الحادث قهراً من دخول ما لا بد معرفته من أسماء المستحدثات

(٢) وليس من المعقول أن يريد هذا الفريق باللغة أن تبقى دائماً كما كانت في الجاهلية أو صدر الاسلام . ولو نشر أحد كتب كتابها قديماً وطلب منه تأدية المعاني الحديثة لأشكل عليه التعبير واضطربت عبارته . ولا يخفى على كل من وقف على كلام العرب وأخبارهم أن العربية استحالت كثيراً في كل عصر من عصورها عما كانت عليه في الجاهلية أو صدر الاسلام ، باتصال العرب بالفرس والسريانيين والكلدانيين والاحباش والروم واللاتين والقبط واتساع تصوراتهم وتغير أحوالهم ، فوضعوا أسماء وأفعالا لكل ما استحدث لديهم ، وجارتهم اللغة في النمو وتحول الاسلوب الى اللين والسهولة . ومن ألقى نظرة على هذا المعجم ،

يجد آلافا من الالفاظ الدخيلة التى استعارها العرب من سائر لغات هؤلاء الاقوام ، لاحتياجهم اليها لخلق لغتهم منها واستعانتهم بها على تأدية المعانى المستحدثة ، واعتبروها من الفصيح .

(٣) ولقد كانت العربية فى عصر نهوض الاسلام كسائر اللغات الحية الآن ،الانجليزية والفرنسية والالمانية والطليانية ، مستوفية لخواص الحياة والمرونة قابلة للنمو والزيادة . فالذين يريدون الرجوع باللغة الى الازمان الاولى ، ويوجبون علينا الوقوف بها يقفلون باب الاجتهاد والابتداع ويعملون على موت اللغة وزهد الناس فيها ، بتضييق السبل على المنشئين والمعربين

﴿ النهضة الحديثة ومستقبل اللغة ﴾

لم تبق الحاجة الى العلم والشعور بشدة لزومه خفية على سواد الناس . يستدلُّ على ذلك بالاندفاع المتزايد الى المدارس الثانوية والعالية ، وبانتشار الجرائد والمجلات والمعرَّبات وتكاثرها ، وميل عدد كبير الى احراز ثقافة صحيحة باقتباس علوم الغربيين ، وتزايد الذين يسعون فى الارض شمالا وغرباً لتحصيل علوم الفرنجة بمختلف لغاتهم .ومن مظاهر هذه النهضة تجدُّد العناية بالعربية وازدياد عدد المتوفرين على خدمتها وإحياء شأنها والرغبة فى رد العجمة والرَّطانة عنها ، ورفعها لمجاراة اللغات الحية بالسير بأوضاعها على السنن التى تلقيناها عن السلف أو التى نبتدعها ونتواضع عليها تواضعاً يحسن أن تقرَّه سائر المحافل اللغوية التى أنشئت والتى ستنشأ ، وإيثار الالفاظ العذبة السهلة على الخشنة ، وفقاً لروح الحضارة العصرية التى تتطلب الحسن والجميل ،وتطور الاساليب لاقتباس

انكتاب بعض أساليب اللغات الغربية التي تعلموها .

ونرى مما يكتب في الجرائد بالحاف في طلب تأسيس مجمع للغة في مصر يتصل بمجامع الشام والعراق ، ومن السعي الى وضع كتب نحوية جديدة متقنة القواعد ، تلائم العقول الحديثة وتسهل الاحاطة بالعربية ، ومن الرجوع الى تعليم مبادىء العلوم العالية بالعربية في المدارس الثانوية دليلا على رغبة أكيدة في إحياء العربية ، وبرهاناً على أن أبناءها بدؤا يشعرون أن حياتهم بحياة لغتهم وأنهم مكلفون بحماية ذمارها . ولو تتابعت التآليف العلمية التي ظهرت في عهد محمد على واسماعيل ولم تحرم مصر من مواصلة تدريس العلوم العالية بالعربية لما أعوزنا اليوم تعبير في علم منها . ومهما بلغت درجة تحصيل العلم بلسان غريب فهضمه وإساغته لا يتمان إلا بالاستعانة على فهمه باللسان القومي . ونعتقد أن هذا المعجم وهو أبسط المعاجم الانجليزية العربية العلمية ، قد ألقى نوراً ساطعاً أمام الناهضين بالعربية والراغبين في تحرير ألفاظها العلمية الحديثة ، وإن لم يكن ذلل لهم أكثر العقبات فقد كشف لهم عن الثُّغَر التي تقف في طريقهم . وقد اعتمدت وزارة المعارف المصرية الاصطلاحات التي جاء بها فخطونا به خُطاً واسعة في سبيل توحيد الاوضاع العربية . وإن وجد بعض الطلاب في بعض من الالفاظ التي أثبتها وَحْشة على ألسنتهم فهذه ستزول بتداولها وتصبح بعد قريب خفيفة على سمعهم .

أسلوب المعجم في التعريب

الطرق التي عولنا عليها وأريناها جديرة بالاتباع

أما واختلاف أساليب الكتاب في الترجمة والتعريب ، وقصورها

قصورا فاحشا عن تأدية المعانى يقف عقبة فى سبيل نشر العلوم والفنون بلغتنا ، فانّنا لم نجد بدّا من تخير أسلوب نجرى عليه ونرجع الى القواعد الآتية .

القاعدة الاولى ـ الألفاظ الفرنجية أو الأعجمية التى عرفنا لها ما يقابلها أو يرادفها بالعربية ويؤدّى معناها تأديةصحيحة مميزةأثبتناها بمرادفاتها هذه ، مجتنبين الألفاظ الوحشية والحوشية ، بشرط التحقق من ورود هذه الالفاظ فى معاجم العربية ودواوينها ، أو كتب اللغة والادب وغيرها ، أو تواتر سماعها وان لم تذكرها هذه المصادر المؤلفة من عهد بعيد . وان اتّفق لنا أن اتّخذنا كلمة غير مأنوسة ، فما ذلك الا لعدم معرفتنا بغيرها يمكن استبدالها بها ؛ وسواء جرت بها العرب مجرى أوزانهم المألوفة ، وبصرف النظر عن أصلها سواء أكان يونانيا كحوت وسريس وقصدير وفَيْجَن و قدّ ومُخل ومالى وقين وبلارج وجهْراستى ،أم فارسيا كشِشْم وسذب وزرْدق وبارَم وكبروبنج وبابونَج وابريق وطرْجهار وأفيون ، أم سريانيا كبوْطقة ، أم لاتينيا كبال وقُبْيون ، أم قبطيا كتمساح وشقاقل وحُرّو كَّي ، أم حبشيا مثل زيبرة ، أم لم يكن جاريا على الاوزان العربية ولكن وردمرسوما بصورة واحدة كالا ونية وجُنْدبيدسْتر وقنطاريون وأغاريقون وأما رانطن وأنقَليس وكنْدرة ولم ننقض هذا المنهاج الااذا عرض عارض اضطرنا للشذوذ ونذكر من ذلك .

(١) لم نستعمل فعلا فرنجيا الا اذا لم نجدله فعلا عربيا يقابله ، فقلنا بسْتر وبلْزر ومغْنط وتمنط وترفن فى تعريب (Pasterize,

Poltzerize, Magnetize, -ed Trephine) كما قالوا من قبل كَهْرَبَ ونَوْزَزَ ودَرْهَمَ ومَسْرَهَمَ

(٢) لم نستعمل حرفا فرنجيا الا بما يقابله فى العربية ، الا فى بعض الاحوال القليلة مثل دى الفرنسية (دى صاد) (De Sade) وفون الالمانية (Von Jasch) أو أف الانجليزية تركناها على حالها مع أن هذه الاحرف تستعمل للنسبة أو الاضافة ويستغنى فى العربية عنها ولكن شاع استعمالها وترددت على الالسن ، هذا مع مراعاة اختلاف معاني حروف الجر فى العربية (١)

(٣) واذا شاع استعمال أحد الاسماء الفرنجية أو الاعجمية المألوفة وكان أدل على المعنى المراد من الكلمة العربية المبعوثة ، تخيرنا الفرنجي وفضّلنا استعماله مع ذكر اللفظ العربي للاستئناس. وذلك لاننا توخينا الفائدة الوقتية ؛ حتى يعم استعمال اللفظ العربي . وقد سرنا فى ذلك على سنّة السلف من علماء العرب المبرّزين كابن سينا وابن البيطار ، مثال ذلك تليفون (مِسَرّة) وتلغراف (الهاتف) وتلسكوب (مِرْصد ومِرْقب) وبارومتر (مِرْواز) ودينامو .

وقد فضلنا استعمال كلمة البريتون أو الباريطون Peritoneum المعربة قديما ، على كلمة الهُرْب الاصلية ، كما فضلنا الانتيمون (Antimony) على الأثمد وكلمة الزنك على التوتيا وكلمة سلْفات على

---

(١) قد تكون الباء الجارة للوصل أو للالصاق أو للاستعانة أو للمصاحبة وقد تأتى على معانى غيرها من الحروف كمن وعن وفى . وتكون اللام للتخصيص أو التمليك أو للعلة أو الصيرورة الخ . وقد تأتى بمعانى حروف غيرها كعن والى ومن وبعد وعند (راجع معانى حروف الجر فى كتب اللغة) .

كبريتات غير أننا نسوّى فى الاستعمال بين كثير من الكلمات المعربة والاصلية من أمثال الامونية والنشادر والروماتزم والرثية فى مقامات مختلفة ، مراعين فى ذلك طلاوة التركيب ؛ أو متخذين ذلك ضربا من الاحتياط ، كما فضلنا مثلا كلمة أو ذيما التى عربت قديما Oedema بدلا من التريل والاورطى (Aorta) كما ذكرها ابن سينا على الابهر توقية للمعنى وحراسة له ودلالة عليه .

القاعدة الثانية — الالفاظ والمفردات التى لم تقع علي مرادفات لها فى العربية ، ولكننا رجحنا وجود مرادفات لها فيها ؛ كنا نفرغ كل جهد فى البحث والتنقيب عنها فى مختلف المظان التى نظن وجودها فيها مهما كلفنا الوصول اليها من عناء ، والمعجم مشحون بأمثال مما ظفرنا به .

أما الالفاظ والاسماء التي لم يعرف لها فى مرادفات فى العربية فقد تخيرنا لها ألفاظا من العربية الفصحى اعتقدنا أنها تؤديها تأدية حسنة، أو اشتققنا لها من أصولها مقابلا أو جعلنا لها ألفاظا مأخوذة من مفاد المعنى . واذا تعسر ذلك رجعنا الى معانى الالفاظ وأصول اشتقاقها وترجمناها ترجمة دقيقة بما يفيد ذلك ؛ مع المحافظة التامة على أصول المعانى . ومن أمثال ذلك : مخروط الوجه أو مسنونه (Leptoporosopic) وذنن الرحم (Metrostaxis) والعصفور خاطف الذباب (Muscicarpa) ومستبطنة العين (Ophthalmoscope) وآكل النمل (Mellivora) ومستقواة الطلق (Tocometer).

وقد استعملنا الإضافة وحروف الجر لاختزال التراكيب . ومن أمثال ذلك . ادراك الموضع (Topesthesia) بول الزلال (Albuminuria)

بدلا من وجود زلال فى البول ، امتناع الامتزاج (Incompatibility) فقد الاستملاء (Agraphia) مَوَه الدم ومؤوهه (Hydraemia) شفع البصر (Diplopia) عوج للخلف (Retroflexion) انعاج للخلف ، مُسكنفاً للخلف (Retroflexed) بوْل السكر (Glycosuria) حابس العرق (Ischidrotic) حابس اللبن (Ischigalactic) بول الاينوسيت (Inosituria) مشى الدم (Melena ; Manorrhagia) عدم الاحتراق ، الاقامة على النار (Incombustibility) مِحْظَرِبة العين (Tonometer) مجهر الاصوات (Microphone) الخ ، كما قالوا قديما الام الجافية (Duramater) والام الحنونة (Piamater) والعنكبوتية (Arachnoid) ومنقار الغراب (Coracoid process).

القاعدة الثالثة — الاعلام الفرنجية التى شاع استعمالها فى العربية حافظنا على تصويرها بالرسم الذى رسمت به من قديم . والاعلام التى عربت قديما بلفظ مخالف لما تلفظ به الآن عند أهلها وكتبت بهجاء واحد بالاجماع، تابعنا السلف فى تصويره . أما ماعدا ذلك فقد صورناه كما يلفظه أهله أو باقرب ما يكون من لفظه الاصلى وتوخينا حسن التطبيق والصدق فى النقل وراعينا قوام العربية .

القاعدة الرابعة — النكرات الحديثة العهد بالوضع ، والتى لاوجود لمرادفات لها فى العربية، وعربت من قبل وشاع استعمال الالفاظ المعربة بصور معينة أثبتناها كما هى ، ولم نحاول وضع ألفاظ أو صور أخرى أمنا من اللبس وتشويش الاذهان . مثال ذلك : أوكسيجين وايدروجين وهدروجين ونيتروجين وآزوت وفصفور وفوسفور وكلوروماونومتر الخ

أما اذا لم نعثر على تعريب سابق شائع الاستعمال عربنا اللفظ وفقاً لمنهاجنا العام. وقد جارينا في ذلك أمم الغرب المتقدمة في الحضارة بمحافظتها على الاسماء التي وضعها المبتدعون والمخترعون لما ابتدعوا واحدثوا، فنجد مثلا الاسماء العلمية للحيوانات والنباتات واحدة في سائر اللغات الحية تنفيذ لرغبة الاتفاق الدولي المعروف. غير أننا في بعض المواضع وجدنا أن النكرات العربية ماهو أحكم من الفرنجية وأوفى بالمقصود في تأدية المعنى فأثبتناه.

الاسماء الكيميوية. التزمنا أن نجارى علماء الغرب بالنسبة الى ترجمة هذه الألفاظ التي تفقد دلالتها اذا عرّبت. فأبقينا الأصول على حالها كما أبقينا حروف الالحاق والتصدير، لأن لكل حرف من هذه الحروف معنى خاصاً، تواضعوا عليه ليدل على تركيب خاص. ولا مصلحة لنا في ايجاد معربات لهذه الاسماء الجديدة فهي تدخل في سائر اللغات على حالها، فان أوجدناها ابتعدنا عن الحركة العلمية الغربية. مثال ذلك الحامض السلفوريك (الكبريتيك) والسلفوروز (الكبريتوز) والتاسلفوريص (المتاكبريتيك) والهيبوسلفوريك والاسيتيك والسترات والسكروز والسكرين واللكتوز والجلوكوز والألبوموز والمورفين ولم نقل لبنوز أو زلالوز الخ

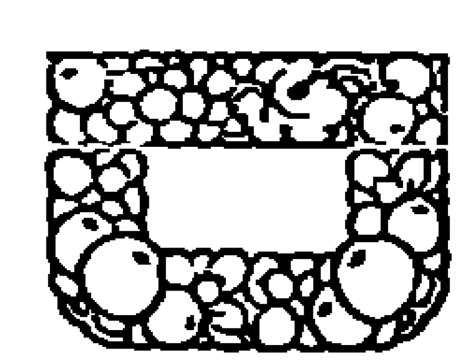
القاعدة الخامسة — كذلك تابعنا علماء الغرب في تصرير المفردات العلمية الأخرى التي لم يعرف لها مرادف عربي سواء أ كانت أسماء حيوانات أم نباتات أم حشرات أم أعضاء من أجسامها، وذلك حرصا على الوحدة العلمية التي لم تخالفها أمم الغرب المتقدمة علينا في العلوم، ولعدم الابتعاد

عن أصول هذه المصطلحات العلمية ، التى صارت بمثابة اسماء دولية ، تأخذ بها سائر الأمم ، ولانه لا ضرر من ذلك اذا قيس بالضرر الناشىء من تعدد المناهج فى التعريب ، أو مسخ الالفاظ وعدم الابقاء على أصولها.

وقد سبقنا من العرب المبرزين فى العلم من جرى على هذا الاسلوب كابن سينا وابن البيطار وغيرهما من الاعلام الذين ألفوا وعربوا فى العلوم الطبية والطبيعية على أنواعها . ومن أمثال ذلك أن ابن البيطار كان يذكر اسم النبات معربا من اليونانية نقلا عن ديسقوريدس ويحليه باسمه العربى المعروف فان لم يعرف له اسما عربيا استعار الاسم اليونانى وقد تابعناه وذكرنا أمام كل اسمه العلمى الفرنجى فقلنا فى .

(Brassica) براسيكة ومن صنوفها الكرنب والخردل واللفت والقنبيط والقرلى والسلجم والفجيلة .

كما قلنا فى (Althea) ألثيا ـ الخطمى ـ الخبازى ـ شحم المروج .



النقد والتأليف

البهاء زهير

بقلم الاستاذ أحمد الشايب

الاستاذ أحمد الشايب من أعلام الأدب العربي : له جولات نقدية قيمة نذكر منها بحثه فى تاريخ الغزل فى الادب العربى ، ودراساته للأخطل والشريف الرضى وابن حمديس وغيرهم . ومن ميزات أسلوبه الترسل الحر الذى يجعله قريباً الى الاسلوب الكلامى البليغ ، وهو أسلوب عرف به بعض الخطباء المطبوعين واشتهر به من نقادنا الدكتور طه حسين . ولكن الاستاذ الشايب على ما يقول عارفوه غير مقلد أحداً ، فانه خطيب مرتجل مجيد ، بل من أقدر أهل الخطابة الادباء فى مصر ، فروحه المدرسية الخطابية هى التى تتجلى عفواً فى كتابته . وهو من أبعد الأدباء عن التصنع والتقليد ، وقد جمع الى تضلعه من الآداب العربية عرفانه بآداب اللغة الانجليزية فكان له من ذلك أكبر عون فى مجال التأليف الدراسى .

وأمامنا الآن تأليفه الجديد (البهاء زهير) متناولا فيه بالبحث الحالة السياسية والاجتماعية التى كان يعيش فيها . ثم حياته وبيئته ، ثم تأثير كل ذلك فى نفسه ومظاهره فى شعره . ثم الكلام عن ألفاظه وأسلوبه ومعانيه وميزاته ومتناول كلامه وأخيراً موازنته بغيره من شعراء عصره . والحق يقال إن الاستاذ الفاضل برغم الفراغ المحدود لديه قد وفى بحثه توفية يغبط عليها ، كما تناوله بامعان دقيق ومهارة كبيرة ، ولم يكتف بالمراجع العربية بل استشهد فى تحليله بكتابات المستشرقين .

ويرى الاستاذ الشايب أن ديوان البهاء زهير لا يمثل كل شعره وليس من منظوم شبابه وحده كما يقال . ومما يعزز به نقصان الديوان شدة وفاء البهاء زهير للملك الصالح الذى استمر بجانبه حتى مات وكان من الحق عليه رثاؤه . قال : « ونحن لا نشك فى أنه رثاه وإن لم تذكر تلك المرثية فى الديوان صراحة ، فلقد تكون مفقودة أو متناثرة والأول أرجح لدينا » .

أما عن أسلوب الشاعر فيقول الاستاذ الشايب : « لشعر البهاء طابع مشهور يمتاز به بين شعراء اللغة العربية ذلك هو السهولة التى تمتنع على غيرها ولا يشاركه فيها أحد ، وتجدها واضحة فى جميع فنونه الشعرية ، حتى كأنك — إذ تقرأ شعره — تتحدث

بلغة عامية سهلة غير متأثرة بقيود الوزن والقافية . وهذا ما رغب الناس فى شعره واتخذوه نموذج السلاسة المصرية وصورة الحياة الشعبية أيضا فى معانيه وموضوعاته ، هذا الى عناية معتدلة بالبديع بخلاف ابن الفارض الذى ملأ به شعره حتى كاد يفسده . وزهير مفتون بالنكتة وحسن العبث والمزاح فى خفة روح ودعابة (بلدية) . فهو الشاعر الذى مصر الشعر العربى إلى درجة حسنة . ولكن البهاء مع هذا لايعد بين النابهين من حيث جزالة الأسلوب واختراع المعانى وقوة الروح الشاعرة ، وحسبه أنه يأتى بالمعانى العامية فيكسبها من فنه مكانة ويخلع عليها من أسلوبه روحا حية تجعلها أشبه بعيون المعانى .

وعندنا أن البهاء زهيرا ـ الذى كان من أئمة الأدب فى وقته ومن كبار المتضلعين من علوم العربية ـ لم يكن ليرتاح مطلقا إلى تقليد الأساليب القديمة ولا الى التعابير التى تملأ الفم والحلق ـ كما يقال ـ ثم توصف بالجزالة والروعة ! بل كان الرجل حساسا عظيم التأثر ببيئته وعصره فمثل كل ذلك أصدق تمثيل فى شعره الذى كان وما زال معدوداً المثال الأعلى للسلاسة وللرقة المصرية : وعندنا أن هذه الرقة هى شىء آخر غير ليونة الاسترخاء والتفكك المنفر الذى عابه الاستاذ البحراوى فى مقاله المشور بعددنا الماضى . وهى من خير الصفات التى جعلت الشعر المصرى الأصيل منسجما ليريكيا بطبيعته وصيرته القدوة المثلى للنظم الموسيقى . فاذا كانت شاعرية البهاء زهير موضع نزاع فى التقدير ونحن شخصيا لانعدها فى الطبقة الأولى . فلا شك فى أن أسلوبه السلس المؤثر آية فنية فى جميع الموضوعات التى عالجها ، ومرآة صادقة لصفاء الروح المصرية فى التعبير . وقد كان البهاء زهير من أخص الخاصة المتعلمين ، وكان بحرا فى معلوماته اللغوية والأدبية والتاريخية وبرغم ذلك أنف من التحذلق والتنطع فى التعبير ، وأرسل نفسه على سجيتها فى نظمه فانصف شاعريته كما أنصف سمعة الأدب المصرى .

ومهما اختلفنا مع الاستاذ الشايب فى بعض أحكامه فاننا نهنئه بجهوده القيم لانصاف هذا الشاعر المصرى الممتاز . وقديما قيل لايفهم الشاعر الا الشاعر ، والأستاذ الشايب كاتب وناقد وشاعر أيضا ، يزجيه الاخلاص وحب الانصاف الى ما يكتب ، فلا غرابة اذا جاء تأليفه عنوان الصدق والأمانة ، ولا بدع اذا ما استأهل الثناء الوافر والاعجاب بفضله .

قصص للاطفال

بقلم الاستاذ كامل كيلانى

ما كان لى أن اطرى أثراً أدبيا من آثار صديقى كامل كيلانى لولا أننى على يقين من أن تقديرى له ليس فيه من المجاملة شيء ، وليست عين الرضا هى التى انظر بها الى كتابه بل هى عين الانصاف التى ترى الحق فتصفه كما هو ، دون زيادة أونقصان ، واذا كان للعدو أن يكتب عن عدوه وأن ينصفه — مادام من طبعه الانصاف — فلا ضير أن يكتب الصديق عن صديقه ، مادام من طبعه الانصاف .

إن الكتاب هو أول كتاب من نوعه فى العربية وهو اسلوب مبتكر جديد فى التربية سبقنا اليه رجال الغرب وتخلف عنه رجال التربية عندنا ، وانى لأغبط اطفال اليوم الذين اسعدهم الحظ بهذه الحلقة التى تبشرنا أولها بما يتلوها ، والثمرة تدل على الشجرة كما يقول شاعر المعرة .

أما أسلوب الكتاب — فهو الى فصاحته — سهل ، وليست صوره الكلامية بأقل فتنانا من صوره المرسومة .

والحق أننا سئمنا — اطفالا ورجالا — تلك الكتب المدرسية السخيفة التى طالما اضطررنا الى قراءتها اضطراراً ، وليس لنا مندوحة عن الاشادة بذكر كل من يتصدى لمثل هذا العمل النافع !

ثم ماذا ؟ وكيف أقول فى كتاب اجمع كل من رآه — من كبار الكتاب وصغارهم على أنه كتاب نافع وضرورى ولم يشذ عن هذا الاجماع أحد من خصوم الاستاذ وانصاره على السواء ، وأن حاجة البنات اليه — كما يقول مؤلفه فى مقدمته — ليست بأقل من حاجة البنين !

ولعل ابدع ما وصف به هذا الكتاب قول الاستاذ الشاعر المبدع الدكتور ابى شادى من قصيدته الرائعة :

والطفل عبـــد للخيال وســـيد   فى النـاس يحكم آمرا مأمـورا
هو (مصطفاك) فما اصطفيت لذهنه   الا الذى ملأ الورود عطورا(١)
جـددت لذة «الف ليـلة» قادرا   ووهبتنا جـــزرا لها وقصـــورا!
وأعدت خلق (السـندباد) كأنه   أضحى نشـاركه منى وشـــعورا!

الى آخر هذه القصيدة الفنة التى لا يقدر على نظمها الا شاعر موهوب رائع الشاعرية ساحر البيان كالاستاذ أبى شادى!

وجماع القول ان الكتاب مشوق ونافع وضرورى: أما أنه مشوق فقد أجمع على ذلك كل من قرأه من الاطفال والكبار معا.

واما انه نافع فظاهر لكل من رأى سيل الركاكة والعجمة يطغى على اساليب اكثر الكتاب عندنا، ومتى ذكرنا أن الطفل لا يقرأ مثل هذا الكتاب بلغته العربية النقية وأساليبه المختارة الا انطبع فى ذهنه مثال من الكتابة الصحيحة الخالية من التكلف والعجمة . أدركنا عظم فائدته ونفعه .

وأما انه ضرورى فلأنه اول كتاب من نوعه . وليس لدى الاطفال كتاب آخر غير هذا الكتاب يحبب اليهم القراءة و يدفعهم الى الاستزادة منها . «وبعد» فهل يرى القارىء أننى جاملت أخى فى كلمة واحدة من كل ما كتبت ؟ اللهم اننى لم اعد الوصف الصحيح الذى يؤيده الواقع والحق . وليس فى كل ما قلت كلمة واحدة دفعنى اليها اسراف او شطط.

سيد ابراهيم

---

(١) يشير الى ولد المؤلف الذى اهدى اليه الكتاب واسمه مصطفى .

قصة

ثورة عواطف

هي قصة وكيف لا تكون قصة . أما من حيث كونها قصة فلا بأس بها ولكنى أحذر القارىء قبل أن يطرقها ، أحذره بأنه سيواجه نسقا كنائسيا . وأنا أزعم أنه كان الاحرى بمؤلفتها أن يسمى قصته « مريم المجدلية » أو ماشابه ذلك من الاسماء . وأنى مستعد لاقسم بأن هذه القصة الجيدة وغير الجيدة فى نفس الوقت طرزتها أنامل خورى أو شماس بين حيطان الدير . أجل فانك تشتم دراسة الكتاب المقدس من ثنايا سطورها . أجل الكتاب المقدس متجل فى نشيد الانشاد وآلام ايوب وحتى اثبت لك انى مصيب فيما ازعم . اسألك هل ينتظر من غير خورى أو شماس أن يقول « اجل اعلمى ياسيدتى الموقرة أنها الوردة النضرة التى كونها الله من خلاصة الذرات الاثيرية وسقاها من رحيق روحانيته الآلهية ونفخ فيها نسمات قدسيته السماوية . فثقى يامولاتى الفاضلة أن الله الذى جعلها اقنوما منزها عن ادناس البشر اذ صنع لهذا الاقنوم الممتاز بطهارته وجمال روحانيته ولطف جبلته الاثيرية هيكلا طاهراً يعتصم فيه وهو قلب خادمك المطيع الذى لاتشوهه نظرات الشهوات البشرية وهى فيه ملاك القداسة الآلهية الذى لاتستطيع يد الارجاس الشيطانية أن تلمسه وهى فيه الوردة الخالدة النضارة التى لاتستطيع أن تلفحها ريح الفساد الانسانى » ص ١٢ أليست هذه فقهنة اكليريكية واذا لم تكن فقهنة اكليريكية فكيف يتسرع احد الخوارنة فى وصف الحب والجمال بالله كيف يتسرع فهل يكتب ما يخالف ماسبق انى ازعم أن النسق فقهى اكليريكى وماعليك الا أن تقرأ أيضا مايلى لتثبت من ان ما ازعمه صحيح « آه يامريم العذراء . نظرة منك قبل الموت تنقل روحى الى الابدية سعيدة . ها مريم قادمة . انظروا مريم تبتسم . انظروا مريم تبكى . من أساء الى مريم . من جرح (خاطرها) (١) تعالى يامريم . لاتحزنى . لاتبكى . فى فؤادى عرشك المصون » ص ٢٢ . كذلك تقرأ « وسجد الى الارض وحاول

---

(١) عبثا حاولت ترجمة هذا الاصطلاح ونقله الى اللغة العربية فاستحسنت ان ابقيه باحرفه اللاتينية

تقبيل قدميا فنفرت منه وقالت للرب ! آلهك تسجد واياه وحده تعبد . لاتجلبني أيها الانسان ولاتتسفل الى اقدام العبد مبتعدا عن معبد الديان ، ص ١٣٢ واليس مايأتى اقتباس من المزامير كما ازعم ، فتنهدت وقالت بصوت خافت ملؤه الانفعال و التأثر . ومالى . ماذا رأيت ؟ رأيت شوكة فى عينى . احسست بنغصة فى فؤادى . ابصرت تمثال نفسى منتصبا أمام عينى . أرى قومى يحتفون بشيطان شقائى فى بيتى . ر باه لايستطيع قلب بشرى ان يرى ما أرى ، ص ١٤٠

وليعذرنى القارىء اذا كنت ازعم ولست ازعم الا ما اعتقده صحيحا أن الرواية ليست الا (هلوسة) رومية حرى بأن لايقرأهـا غير طالبات و طلبة العلوم الدينية فى الأديرة ولكن فيها نقط ضعف وكيف لايكون فيها نقط ضعف وهى تحوى (تشنيقا) غير مستحب مثل ، لايحسن بك يانبيلة أن تكونى فى فى بيتك قليلة الأدب مهما كان لسانك قبيحا إنى خارجة من منزلك ياقبيحة، ص ٧١ كذلك كان من المستحسن أن تستبدل رئيسة الدير بناظرة مدرسة (جحمرش) أومديرة ملجأ على الأقل لأننا لم نعهد حتى فى (أشلق) النساء التلفظ ببعض ما أجبرت رئيسة الدير (القديسة) على التلفظ به من هيام وغرام فى سياق القصة

أما من حيث اللغة فتعد القصة بحق فتحا أدبيا فى العربية وكيف لاتكون فتحاوفيها مثل نعم بغم ياعزيزى . إنى أرى فى هذه الرسالة بساط الرحمة . اقرأ اقرأ ، ص١٢٨ والذى أفهمه من بساط الرحمة ذلك الذى يحمل أمام عربة الميت الى مستقرها الأبدى فياله من بديع يلعب بالألباب ! وعبثا حاولت الاستمداد بعلوم الأزهر والسوربون لفك طلاسم مايأتى (١)

« فأطرقت الفتاة وهي تختلج كمن أصيب بالبردية، (٢) ص ٣٧ « ولكن فؤاده كان يفرفر » (٣) ص ٤٠ « وكان الأمير تحت السرسام » (٤) ص ٥٩ « ويحك لقد بترت اللق » (٥) ص ٩٣ وغير ذلك مثل تلفن(من تكلم بالتليفون)والطيفوئيد(بتفخيم التاء) والكروبيم والشاروبيم (الملائكة) وهي استنتاجات أسعفتنى بها مخيلتى

(١) يقول رصيفى الخبيث حسين محمود انه يعرف المعانى وأنا أرصدها كما هى دون مسئولية (٢) حمى الملاريا (٣) يخفق بشدة (٤) الوسواس (٥) خسرت الدور

السوربونية ولا أجد فى نفسى القوة الكافية لمنع الحسد الذى بدأ يتطرق اليها من رصيفى الخبيث الذى ألم بتعاريف عجز عن استيعابها محيط المحيط والفيروزبادى ولسان العرب ولا أجرؤ على تهنئة إدارة العصور بوجود ذلك المعجم الفريد فيها فقد يكون أفك كل النى ترجمه

ولم تخل الرواية من أبحاث سياسية طريفة فمثلا أنك تقرأ ص ٧٤ « مولاتى أكاد أشك أنك راهبة رئيسة دير للراهبات. يتراءى أنك بسمرك زمانك. ياللبلاغة ويا للبيان بالنظريات السياسية العالية !

وأنى أزعم أن المؤلف قد تعدى على نسقى فى الكتابة نسقى الطريف الحاوى للكثير من التكرار السقيم الممل المقصود منه التشويق الى ما سيذكر بعد ولكن يتضح للقارىء بكل أسف بعد اضاعة وقته فى قراءة عدة صفحات قائلة ان النتيجة لاتسترعى حتى ولا قليلا من الاهتمام (راجع ٨ و ٩ ثم ٩٠ و ٩١ و ٩٢ فهى بعض من كل)

مواقف حاسمه

فى تاريخ الاسلام

لمحمد عبد الله عنان

من السهل ملاحظة البون الشاسع ما بين مادة الفصلين الاولين المعنونين وثبة العرب وسياسة العرب الدينية وبين بقية فصول الكتاب فالمراجع العربية هى السائدة فى الفصلين الاولين فى حين تجد روح التفكير الاوروبى مائلة للفصول الاخرى فالفصلان الاولان مشوشان لدرجة ما وفيهما لف ودوران بل و بعض متناقضات مع شىء كثير من التحفظ مثلا « فلما ظهر النبى العربى الفى امة باسرها يحفزها تيار التقدم و يزكى عزائمها ظمأ العرفان والملك » بعد قوله « وكان السواد من البشر يطمح فى اقامة نظم اجتماعية أرقى وامثل » و يقصد بالبشر كافتهم فهل يعتقد الاستاذ ان هذه العدوى اشد تأثيراً من وجود اليهود والنساطرة بين المسلمين وتهيئو الجو الفكرى بتعاليم الصابئة والاحانفة وغيرهم ممن ثاروا على التقاليد القديمة كذلك نسى عامل الميل الى

النهب فقد كان من اقوى الاسباب التى حثت العرب على الانضمام الى الغزاة . اليس هذا السبب اوجه من فكرة الوحدة والتوحيد كذلك اغضى المؤلف عن الدور الهام التى لعبته القبائل العربية المتاخمة للرومان والفرس بتسهيل الغزو لاخوانهم . اما القول بان النصارى يلتجئون الى المسلمين لاعتبارهم هرقلا كافرا خارجا عن الدين فليس بالامر السهل هضمه اسمع ايضا « لان النصرانية وان كانت قد سادت مصر والشام لعهد الفتح العربى الا انها فرضت على شعبيهما بالسيف والنار ولم تلق اليهما فى اثواب واضحة » اليس الذى يفهم من هذا ان هذا الاجبار حدث قبل بضع سنوات من غزو العرب فهل هذا صحيح وهل اذا اجبر المصريون على اعتناق المسيحية قبل ذلك لعدة اجيال فقط يشعر الجيل الثالث او الرابع مثلا بحنين الى دينه القديم . ليس هناك شك فى ان المسيحية ظلت ردحا طويلا حاكمة على افكار أولئك القوم أبا عن جد . الم يكن الاجدر بالمؤلف ان يقول انه كان للفرق المسيحية دخل فى الموضوع ؟

وحتى كتابنا العصريون لا يملكون انفسهم من السقوط صرعى لا كاذيب الادب العربى فقد نقل المؤلف ان عمراً صولح عند فتح مصر على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوقه ليس منهم امرأة ولا صبى وشيخ على دينارين لكل رأس منهم فبلغ مجموع ماحصله ثمانية آلاف ألف درهم فنقل هذا دون تمحيص

فهل يعقل الاستاذ عنان ان مصر كانت تحوى فى زمن عمرو ٤٠٠٠٠٠٠ شابا ورجلا أو بمعنى آخر حوالى ١٦٠٠٠٠٠٠ نفس اذا قدرنا عدد الصبيه والاطفال والشيوخ بمثل عدد الشبان والرجال ثم قدرنا عدد الاناث بمثل مجموع عدد الذكور وكان هذا فى عهد الفوضى والانحطاط الاجتماعى !

اما الكتاب فى مجموعه فعظيم الفائدة وانا نحث القراء على اقتنائه

تاريخ العصور الوسطى

فى الشرق وفى الغرب

محمد فريد أبو حديد

ان اول ما تأخذه على المؤلف عدم اثباته للمراجع التى اعتمد عليها فالافضل فى الكتب التاريخية الرجوع فى الحديث بين آونة واخرى للمرجع وبالاقل فى المواضيع المهمة . وقد افلح المؤلف اكثر مما افلح الاستاذ عنان فى وصف كيفية تغلب جماعات

الهون على الدولة الرومانية . اما اذا سألتنى عن قيمة الكتاب فلا اجد الا اصطلاح « سلق بيض » قولا وافيا بالمرام فبينا يمر سريعا على بعض المواقف الحاسمة فى التاريخ تجده مهتما بذكر الرواحل التى اعدها ابوبكر للهجرة الى يثرب وكذلك يذكر اسم الشخص الذى تجسس على النبي و رفيقه وهما هاربان و يؤكد انه لم يتعرض لهما باذى وليس هذا فقط بل و يرصد لك مطلع نشيد بنات النجار (ويلقبهن بالنسوة) وهو

طلع البدر علينا　　من ثنيات الوداع

ولست اعرف السبب فى اغفال المؤلف لقصة الفيل وطير الابابيل مع حجارة السجيل. اعتقد ان فى امكان ايا كان الاستغناء عن مطالعة هذا الكتاب (السكلاس) وكم افضل تاريخ التمدن الاسلامى مثلا على هذه المجموعة الغير منسقة لتدرس فى المدارس الثانوية . اما مزية الكتاب الوحيدة فتنحصر فى حسن التبويب والاكثار من الخرائط التى يساعد وجودها المبتدئين على تفهم مايعرفونه نظريا من الكتب الاخرى. وربما يكون المؤلف معذورا لالتجائه الى عملية (السلق) هذه فقد يكون متبعا برنامج المعارف حرفا بحرف وفى هذه الحالة لا تقع المسئولية على الناقد بل على غيره .

الشفق الباكى

ديوان شعر من نظم الدكتور أبي شادى عدد صفحاته ١٣٣٤ صفحة من القطع المتوسط حسن الطبع والورق مشكول شكلا حسنا

و الشفق الباكى عنوان قصيدة من الديوان اليك بعض أبياتها :

لا الشعر شعر ولا الاوزان أوزان　　ان فاته من شعور الكون ميزان
هذا هو الشفق الباكى بحرقته　　وهذه السحب فيها الدمع نيران
باتت الشمس فارتاعت لفرقتها　　كما يراع لدفن الحسن هيمان .
وذلك الهيكل المصدوع يملؤه　　حزن ، وتطفو على مرآه أحزان .

وهــذه العمد — اللاتي يشققها ذكر وجد — يراها الآن تحنان .
وهذه الشمس في الاجيال تحرسها كأنما هي بعد الله رحمن !

ثم يذهب بك في القصيدة من جمال الفن الى جرى الغدير ، ومن التمثال الساكن إلى السحب في عليائها . ومن البلاد إلى القرية ، ومن التل يموت عند تنفس الصباح موت الشريد الى أن يرجع الى نفسه فيقول :

أما أنا فأنا الباكى الصبا حرقا ولن تعيد مضاع الانس أشجان
والنادب الحب . والحب الغرير إذا ولى فما لشهيد الحب سلوان
كأنما الشفق الباكى يمثلني لكن حزنى أصناف وألوان
الارض تشجى التياعا للفراق وإن جاء الصباح بوصل منه تزدان
فكيف بي وأنا المحروم في زمنى وكل عمرى تباريح وحدثان .

هـذا هو الشفق البـاكى . ولا شك فى أنه بكاء كثير الألوان مثير للنفس يبعث فيها من المعانى ويصبغها بألوان قل أن يبعثها فى النفس غير شفق باك كشفق أبي شادى . ولو لا أنه أصبح لكل شاعر « لزمة » أصبحت لاسمه بمثابة اضافة الى مضاف اليه كما يقال شوقى أمير الشعراء وحافظ شاعر النيل ورامى شاعر الشباب ، لقلنا بحق أن أبا شادى شاعر الوجدان . على أن لأبى شادى عندى بعض الهنات التى لا أظن أن كثيراً من الناس يراها فيه . وإحدى هذه الهنات تصريفه المعنى فى ألفاظ أضيق من أن تحمل المعنى الذى يجول فى مناحى خياله الخصب الوسيع . لذلك قد تقف أمام بيت من أبياته حائرا كيف تستشف مجمل ما قام فى خياله من ألفاظ يظهر فيها جليا انها أضيق من أن تعبر عن المعنى تعبيراً تاما . ولست أدرى أهذه من الشاعر منحى من مناحى الكمال أم أنها هنة تؤخذ عليه . على أن هذا فى شعره قليل

على أنى لا استطيع أن ألم فى صفحات قليلة كهذه ببعض ما فى الشفق الباكى من مناحى الابتكار وحسن الوضع وجمال النسق وقوة الشاعرية . فانى ولا شك أعتقد أن أبا شادى مطبوع على الشعر . وقد تنقلت هذه الفكرة عندى مذ كنت فى المدرسة الابتدائية فكنت أسمع أن شابا اسمه أبو شادى ينظم الشعر ويقول مقطوعات كانت تستهوى من عواطفى بقدر ما فى الشباب من عواطف وكنت أحفظ

وفريقاً من صحبي بعض ما يقول من أبيات قليلة من الشعر . ولقد طاوعته هذه السليقة طوال أيام عمره فنمت معه وشبت خفية مشبوبة ، فهو الآن من أكثر الشعراء شعراً ، وفى الوقت ذاته من أجودهم وأطبعهم على نظم القريض .

وانى ان أرسلت هذه الكلمات فانما أرسلها على سجيتها لا أقصد بها تحليلا أدبياً ولا تقريراً لقواعد يصح أن يقوم عليها النقد اذا ما أردت أن يكون موضوعه شعر صديق أجل فيه الخلق الكريم وصفاء النفس من خبائث علقت بنفوس غيره من شعراء هذا الجيل فبدلت حسنات ما يقولون بسيئات ماتعمل فيهم البيئة والوراثة إنما أصف صورة ما استحالت اليه نفسى وانا أقلب ديوان الشفق الباكى . ولعلك لا تجد فى الشفق الباكى من بكاء أمر ولا رثاء أبلغ من رثاء ناظمه للاخلاق ، وفى ظنى أن ما أصابه من أخلاق الناس كان بالغاً ، فصدر عنه فى شعر طلى واضح المعانى بكاء هو خير ما ترثى به الفضيلة فى عصر نحن احوج فيه الى الأخلاق منا الى العلم والفلسفة وانى لاحسب انه يخلق بنا أن نكون فى تواضعنا على ضعف ، من أن نكون أمة من العباقرة يأخذ بتلابيب أفرادها الغرور ، الذي لا أرى له من سبب الا الجهل بالأشياء والجهل بالأقدار ، والجهل بالمقاييس .

وانى ان أكبرت فى ديوان أبى شادى من شيء فانما أكبر فيه تواضع الأدب المرضى والموعظة الحسنة يسوقها فى غير تكلف وفى حسن من الاداء . وإن أكبرت فيه خلقا فانما أكبر فيه الحلم وكرم الأخلاق والتسامح ، تلك الصفات التى قد يراها البعض ضعفاً ، ولكنها لن تكون كذلك الا عند اللئيم ، ولا تكون الا قوة . ولكن فى نفس الأبى الكريم .

هذه نظرة عجلى فى الديوان وفى ناظمه . وما أظن الشعر الا صورة النفس . وما أظن أن نقداً يساق فى الشعر من غير أن يتناول شخصية الشاعر يكون كاملا . غير أن هذه النظرة العجلى سوف تتبعها نظرات نحلل فيها بعض القصائد والمقطوعات التى تنضوي عليها دفتى الديوان الكبير .